احزاب

وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب بني قريظه وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وآله على
قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت بن اخطب اغلق دونه حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناديه يا كعب افتح لي فقال
ويحك يا حيي انك رجل مشؤم انى قد عاهدت محمدا ولست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لي اكلمك
فقال ما انا بفاعل قال ان غلقت دوني الا على حشيشه تكره ان اكل منها معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز
الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على سادتها وقادتها قد عاهدوني ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا
ومن معه فقال كعب جئتني والله بذل الدهر بجهام قد هرق ماءه برعد وبرق وليس فيه خير فدعني ومحمدا وما انا عليه فلم ار من محمد
الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروة وهو الغارب حتى نبح له على ان اعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت
قريش وغطفان فلم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه
وبين رسول الله صلى الله عليه وآله فلما انتهى الخبر الى رسول الله صم بعث سعد بن معاذ بن النعمن بن امرء القيس عهد بني عبد الاشهل
وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحه وخوات بن
جبير فقالوا انطلقوا حتى تنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ام لا فان كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس
وان كانوا على الوفا فاجهروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم قالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد
فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه فقال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة ثم اقبلوا الى رسول
الله صم وآله وقالوا عضل القارة لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صم وآله خبيب بن عدي واصحابه اصحاب الرجيع
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتيهم العدو من فوقهم
ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر النفاق من بعض المنافقين فاقام رسول الله صلى الله عليه وآله واقام المشركون
عليه بضعا وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال الا الرمي بالنبل الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لوي
وعكرمة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل
بني كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق
فقالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحمت بهم في السبخة
بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب ع في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان نحوهم
وكان عمرو بن عبد ود فارس قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث واثبتته الجراح فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما
ليرى مشهده وكان يعد بالف فارس وكان يسمى فارس يليل لانه اقبل في ركب من قريش حتى اذا كانوا بيليل وهو واد قريب من بدر
عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لاصحابه امضوا فمضوا فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من ان يصلوا اليه فعرف بذلك وكان اسم الموضع
الذي حفر فيه الخندق المذاد وكان اول من طفره عمرو واصحابه فقيل في ذلك عمرو بن عبد كان اول فارس جزع المذاد وكان فارس
يليل وذكر ابن اسحق ان عمرو بن عبد كان ينادي من يبارز فقام علي وهو مقنع في الحديد فقال انا له يا نبي الله فقال انه عمرو اجلس
ونادى عمرو الا رجل وهو يؤنبهم ويقول اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها فقام علي ع فقال انا يا رسول الله ثم نادى الثالثة
فقال ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز ووقفت اذ جبن المشجع موقف البطل المناجز ان السماحة والشجاعة في الفتى
خير الغرائز فقام علي ع فقال يا رسول الله انا له فقال انه عمرو فقال وان كان عمرو فاذن له رسول الله صم وآله وفيما رواه لنا
السيد ابو الحمد الحسيني القايني عن الحاكم ابي القسم الحسكاني بالاسناد عن عمرو بن ثابت عن ابيه عن جده عن حذيفة قال فالبسه
رسول الله صم وآله درعه ذات الفضول واعطاه سيفه ذا الفقار وعممه عمامته السحاب على راسه تسعة اكوار ثم قال له تقدم
فقال لما ولى اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق راسه ومن تحت قدميه قال ابن اسحق فمشى اليه
وهو يقول لا تعجلن فقد اتيك مجيب صوتك غير عاجز ذو نية وبصيرة والصدق منجا كل فائز اني لارجو ان اقيم عليك نائحة الجنائز

احد

من ضربة جلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز فقال له عمرو من انت قال انا علي قال ابن عبد مناف قال انا علي بن ابي طالب فقال غيرك يا ابن
اخي من اعمامك من هو اسن منك فاني اكره ان اهريق دمك فقال علي ع لكني والله لا اكره ان اهريق دمك فغضب ونزل وسل سيفه
كانه شعلة نار ثم اقبل نحو علي مغضبا واستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدها واثبت فيها السيف واصاب راسه فشجه
وضربه علي على حبل العاتق فسقط وفي رواية حذيفة وتسيف علي رجليه بالسيف من اسفل فوقع على قفاه وثارت بينهما عجاجة
فسمع علي ع يكبر فقال رسول الله ص وآله قتله والذي نفسي بيده فكان اول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فاذا علي ع يمسح
سيفه بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب وقال يا رسول الله قتله فحز علي ع راسه واقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه
يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلا استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت ابن عمي ان
استلبه قال حذيفه فقال النبي ص وآله ابشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم وذلك انه لم يبق بيت من
المشركين الا وقد دخله وهن بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين الا وقد دخله عز بقتل عمرو وعن الحاكم ابي القسم ايضا
بالاسناد عن سفين الثوري عن زبيد اليامي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال كان يقرا وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وخرج اصحابه
منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق وتبادر المسلمين فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم
قتله اجمل من هذه ينزل احدكم اقاتله فقتله الزبير بن العوام وذكر ابن اسحق ان عليا ع طعنه في ترقوته حتى اخرجها من مراقه فمات في
الخندق وبعث المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وآله يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي ص وآله هو لكم لا ناكل ثمن الموتى
وذكر علي ع ابياتا منها نصر الحجارة من سفاهة رايه ونصرت رب محمد بصوابي فضربته وتركته متجدلا كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن اثوابه ولو انني كنت المقطر بزني اثوابي وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال ان عليا ع لما قتل عمرو بن عبد ود حمل
راسه فالقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقام ابو بكر وعمر فقبلا راس علي ع وروي عن ابي بكر بن عياش انه قال ضرب علي ع
ضربة ما كان في الاسلام ضربة اعز منها يعني ضربة عمرو بن عبد ود وضرب علي ع ضربة ما كان في الاسلام ضربة اشأم منها يعني ضربة
ابن ملجم قال ابن عباس ورمى حبان بن قيس بن العرقة سعد بن معاذ بسهم وقال خذها وانا ابن العرقة فقطع الكحل فقال سعد عرق الله
وجهك في النار اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه و
اخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قال وجاء نعيم بن مسعود الا شجعي
الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله اني قد اسلمت ولم يعلم بي احد من قومي فمرني بامرك فقال له رسول الله ص وآله
انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فانما الحرب خدعة فانطلق نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريضه فقال لهم اني لكم
صديق والله ما انتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة فان البلد بلدكم وبه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم وانما قريش وغطفان
بلادهم غيرها وانما جاؤوا حتى نزلوا معكم فان وجدوا فرصة انتهزوها وان راوا غير ذلك رجعوا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا
طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم تستوثقون به ان لا يبرحوا حتى يناجزوا محمدا فقالوا له قد اشرت براي ثم ذهب
فاتى ابا سفين واشراف قريش فقال يا معاشر قريش انكم قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا ودينه واني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي فقالوا نفعل
ما انت عندنا بمتهم فقال تعلمون ان بني قريضة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد فبعثوا اليه انه لا يرضيك عنا الا ان ناخذ
من القوم رهنا من اشرافهم وندفعهم اليك فتضرب اعناقهم ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فان بعثوا
اليكم يسالونكم نفرا من رجالكم فلا تعطوهم رجلا واحدا واحذروا ثم جاء غطفان فقال يا معشر غطفان اني رجل منكم ثم قال لهم
ما قال لقريش فلما اصبح ابو سفيان وذلك يوم السبت في شوال سنة خمس من الهجرة بعث اليهم ابو سفيان عكرمة بن ابي جهل في نفر
من قريش ان ابا سفيان يقول لكم يا معشر اليهود ان الكراع والخف قد هلكا وانا لسنا بدار مقام فاخرجوا الى محمد حتى نناجزه فبعثوا اليه
ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا
وتدعونا حتى نناجز محمدا فقال ابو سفين قد والله ما حذرنا هذا نعيم فبعث اليهم ابو سفيان انا لا نعطيكم رجلا واحدا فان شئتم ان تخرجوا

فتقاتلوا وان شيتم فاقعدوا فقالت اليهود هذا والله الذى قال لنا نعيم فبعثوا اليهم انا والله لا نقاتل حتى تعطونا رهنا وخذل الله بينهم و
بعث سبحانه عليهم الريح فى ليال شاتيه شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين قال محمد بن كعب قال حذيفة اليمان والله لقد رايتنا يوم الخندق
وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه الا الله وقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى ما شاء الله من الليل ثم قال الا رجل ياتينا بخبر
القوم يجعله الله رفيقى فى الجنة قال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد دعانى فلم اجد بدا من اجابته
قلت لبيك فقال اذهب فجئنى بخبر القوم ولا تحدثن شيا حتى ترجع قال فاتيت القوم واذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما
يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا يطمئن لهم قدر فانى لكذلك اذ خرج ابو سفين من رحله ثم قال يا معاشر قريش لينظر احدكم
من جليسه قال حذيفة فبدات بالذى عن يمينى فقلت من انت قال انا فلان ثم دعا ابو سفين براحلته فقال يا معشر قريش والله ما انتم
بدار مقام هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شئ ثم عجل فركب راحلته وانها لمعقوله ما حل عقالها
الا بعد ما ركبها قال فقلت فى نفسى لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيا فوترت قوسى ثم وضعت السهم فى كبد القوس وانا
اريد ان ارميه فاقتله فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله لا تحدثن شيا حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وهو يصلى فلما سمع حسى فرج بين رجليه فدخلت تحته وارسل على طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال ما الخبر فاخبرته
وروى الحاقظ بالاسناد عن عبد الله بن ابى اوفى قال دعا رسول الله صلى الله عليه وآله على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب
اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده و
نصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شئ بعده وعن سليمن بن صرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله حين اجلى عنه الاحزاب
الان نغزوهم ولا يغزوننا فكان كما قال صلى الله عليه وآله فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة
قوله تعالى هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا
هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا
عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا
تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ
رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ
يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي
الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا عشر آيات القراءة قرا حفص لا مقام لكم بضم الميم والباقون بفتحها
وقرا اهل الحجاز لاتوها بغير مد والباقون لآتوها بالمد وقرا يعقوب يساءلون بالتشديد والمد والباقون يسالون بالتخفيف وفى الشواذ قراءة
ابن عباس وابن يعمر وقتادة ان بيوتنا عورة وما هى بعورة بكسر الواو فى الموضعين وقراءة الحسن ثم سولوا الفتنة مرفوعة السين لا يجعل
فيها ياء ولا يمدها وقراءة ابن عباس لو انهم بدى فى الاعراب الحجة قال ابو على المقام يحتمل امرين احدهما لا موضع اقامة لكم وهذا
اشبه لانه فى معنى لا مقام بفتح الميم اى ليس لكم موضع تقومون فيه والآخر لا اقامة لكم ومن قصر قوله لاتوها فلانك تقول اتيت الشئ
اذا فعلته تقول اتيت الخير وتركت الشر ومعنى ثم سيلوا الفتنة لاتوها سيلوا فعل الفتنة لفعلوها ومن قرا لآتوها فالمعنى لاعطوها
اى لم يمتنعوا منها والمعنى لو قيل لهم كونوا مع المسلمين ومع المشركين لفعلوا ومن قرا يساءلون فانه يتساءلون بعضهم بعضا فادغم التاء فى
السين ومن قرا عورة بكسر الواو فانه شاذ من طريق الاستعمال وذلك لتحرك الواو بعد الفتحة والقياس ان يقول عارة كما قال رجل
مال وامراة مالة وكبش صاف ونعجة صافة ومثل عورة فى صحة الواو قولهم رجل عوز لا مال له وقول الاعشى وقد غدوت الى الحانوت
يتبعنى شاو مشل نشول شلشل شول وقوله سولوا من قولهم سال يسال كخاف يخاف فالعين على هذه اللغة واو وحكى ابو زيد قولهم هما

نصف الحزب

عشر ١٨

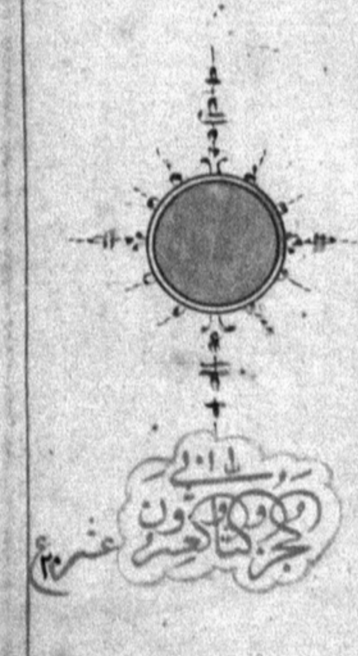
بيتا وكان كما يقال تيقا وماك والاقيس على هذا ان يقال سيلوكعيد واقيل واللغة الاخرى اشمام الضمة نحو سئلوا واللغة
الثالثة سولوا على اخلاص ضمة فعل الثانية اردا اللغات قال الشاعر وقول لا اهل له ولا مال اي وقيل وقال آخر نوط الى صلب
شديد الحمل اى نيط وفعلى بدى جمع باد فهو مثل غاز وغزي اللغة يقال هنا للقريب من المكان وهناك للبعيد وهنالك
للوسط بين القريب والبعيد وسبيله سبيل ذا وذلك وذاك والزلزال الاضطراب العظيم والزلزلة اضطراب الارض وقيل انه
مضاعف زل وتزلزل غيره والشدة قوة تدرك بالحاسة لان القوة التى هى القدرة لا تدرك بالحاسة وانما تعلم بالدلالة فلذلك
يوصف تعالى بانه قوى ولا يوصف بانه شديد والغرور ايهام المحبوب بالمكروه والغرور الشيطان قال الحرث بن حلزة لم يغروكم
غرورا ولكن رفع الآل جمعهم والضحاء ويثرب اسم ارض المدينة قال ابو عبيدة ان مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فى ناحية
من يثرب وقيل يثرب هى المدينة نفسها وذكر المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ان من اسماء المدينة يثرب وطيبة وطابة
والدار والسكينة وجابرة والمجبورة والمحبة والمحبوبة والعذراء والمرحومة والقاصمة ويندد فذلك ثلثة عشر اسما والعورة كل
شئ يتخوف منه فى ثغر او حرب ومكان معور ودار معورة اذا لم تكن حريزة القطر الناحية والجانب وجمعه اقطار ويقال طعنه
فقطره اذا القاه على احد قطريه اى احد شقيه والتعويق التثبيط والعوق الصرف ورجل عوق وعوقة يعوق الناس عن الخير والباس
الحرب واصله الشدة والاشحة جمع شحيح والشح البخل مع حرص يقال شح يشح ويشح بضم الشين وفتحها والسلق اصله الضرب
وسلق اى صاح ومنه خطيب مسلق ومصلق فصيح وسلقته بالكلام اسمعته المكروه وفى الحديث ليس منا من سلق وحلق اى
رفع صوته عند المصيبة وقيل هو ان تصك وجهها ومعنى حلق ان يحلق راسه وشعره عند المصيبة والحديد ضد الكليل والجمع
حداد والاحزاب الجماعات واحدها حزب وتحزبوا اى تجمعوا من مواضع والبادى الذى نزل البادية ومنه الحديث من بدا جفا اى
من نزل البادية كان فيه جفوة الاعراب والبداوة الخروج الى البادية بفتح الباء وكسرها قال القطامي من تكن الحضارة اعجبته
فاى اناس بادية ترانا الاعراب الضمير فى نخلت دخلت عماند الى البيوت الا يسيرا تقديره الا تلبثا يسيرا او زمانا يسيرا فهو صفة
ظرف او زمان محذوف واذا لا تمتعون لم يعمل اذا لوقوعه بين الواو والفعل وقد اعملت بعدان فى قول الشاعر لا تتركني فيهم شطيرا
انى اذا اهلك او اطيرا ولا يأتون حلم معطوف على صلة الموصول اى الذين يعوقون ولا يأتون وقوله الا قليلا تقديره الا زمانا قليلا
وان شئت الا اتيانا قليلا اشحة منصوب على الحال فى الموضعين وقيل هو نصب على الذم كالذى يغشى عليه من الموت اى تدور
اعينهم دورانا مثل دوران اعين الذى يغشى عليه من الموت فالكاف صفة مصدر محذوف وقد حذف بعد الكاف المضاف
والمضاف اليه هلم معناه اقبل وتعال واهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث هلم واصله هل لا مه فلما
جعلوهما شيئا واحدا حذفوا وغيروا واما بنو تميم فيصرفونه تصريف الفعل يقولون هلم يا رجل وهلما وهلموا وهلمي يا امراة وهلما وهلممن
يا نساء الا انهم يفتحون آخر الواحد البتة المعنى لما وصف سبحانه شدة الامر يوم الخندق قال هنالك ابتلى المؤمنون اى اختبروا
وامتحنوا ليظهر بذلك حسن ايمانهم وصبرهم على ما امرهم الله به من جهاد اعدائه فظهر من كان ثابتا قويا فى الايمان ومن كان
ضعيفا فيه وزلزلوا زلزالا شديدا اى حركوا بالخوف تحريكا شديدا وازعجوا ازعاجا عظيما وذلك ان الخايف يكون قلقا مضطربا
لا يستقر على مكانه قال الجبائى منهم من اضطرب عليه دينه واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض اي شك عن الحسن وقيل
ضعف فى الايمان ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ابن عباس ان المنافقين قالوا يعدنا محمد ان يفتح مداين كسرى وقيصر ونحن
لا نامن ان نذهب الى الخلاء هذا والله الغرور واذ قالت طائفة منهم يعنى عبد الله بن ابي واصحابه عن السدى وقيل هم بنو سالم
من المنافقين عن مقاتل وقيل ان القايل لذلك اوس بن قيظى ومن وافقه عن يزيد بن رومان يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
اى لا اقامة لكم ههنا او لا مكان لكم تقومون فيه للقتال اذا فتح الميم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة وارادوا الهرب من عسكر رسول
الله ص وآله ويستأذن فريق منهم النبي فى الرجوع الى المدينة وهو بنو حارثة وبنو سلمة يقولون ان بيوتنا عورة ليست بحريزة
مكشوفة ليست بحصينة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه بيوتنا خالية من الرجال تخشى عليها السراق عن الحسن وقيل قالوا بيوتنا مما يلي

العدو ولا نأمن على اهلنا عن قتادة فكذبهم الله تعالى فقال وماهى بعورة بل رفيعة السمك حصينة عن الصرم ان يريدون الا ما
يريدون الا فرارا وهربا من القتال ونصرة المؤمنين ولو دخلت اى ولو دخلت البيوت او دخلت المدينة عليهم اى لو دخل هؤلاء الذين
يريدون القتال وهم الاحزاب على الذين يقولون ان بيوتنا عورة وهم المنافقون من اقطارها اى من نواحى المدينة او البيوت
ثم سئلوا الفتنة لآتوها اى ثم دعوا هؤلاء الى الشرك لاشركوا فالمراد بالفتنة الشرك عن ابن عباس وما تلبثوا بها الا يسيرا وما احتبسوا
عن الاجابة الى الكفر الا قليلا عن قتادة وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطائهم الكفر الا قليلا حتى يعاجلهم الله بالعذاب
عن الحسن والفراء ثم ذكرهم الله سبحانه عهدهم مع النبى صم واكد بالثبات فى المواطن فقال ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اى
من قبل الخندق لا يولون الادبار اى بايعوا النبى صم وحلفوا له انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم ولا يرجعون عن مقاتلة
العدو ولا ينهزمون قال مقاتل يريد ليلة العقبة وكان عهد الله مسئولا لا يسئلون عنه فى الآخرة وانما جاء بلفظ الماضى تاكيدا ثم قال
سبحانه قل يا محمد للذين استاذنوك فى الرجوع واعتلوا بان بيوتهم يخاف عليها لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ان كان
حضر آجالكم فانه لا بد من واحد منهما وان هربتم فالهرب لا يزيد فى آجالكم واذا لا تمتعون الا قليلا معناه وان لم تحضر آجالكم وسلمتم
من الموت او القتل فى هذه الوقعة لم تمتعوا فى الدنيا الا اياما قلائل وانما فرق بين الموت والقتل لان القتل غير الموت فان الموت ضد
الحيوة عند من اثبته معنى وانتفاء الحيوة عند من لم يثبته معنى والقتل هو نقض البنية الحيوانية فالقتل يقدر عليه غير الله تعم والموت
لا يقدر عليه غيره قل يا محمد من ذا الذى يعصمكم من الله اى يدفع عنكم قضاء الله ويمنعكم من الله ان اراد بكم سوء اى عذابا وعقوبة او اراد بكم
رحمة اى نصرا وعزا فان احدا لا يقدر على ذلك غيره تعم ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلى امورهم ولا نصيرا ينصرهم ويدفع عنهم
ثم قال سبحانه قد يعلم الله المعوقين منكم وهم الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله صم والرو يثبطونهم ويشغلونهم لينصرفوا
عنه وذلك انهم قالوا لهم ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان وهؤلاء الاحزاب والقائلين لاخوانهم
يعنى اليهود قالوا لاخوانهم المنافقين هلم الينا اى تعالوا واقبلوا الينا ودعوا محمدا وقيل القائلون هم المنافقون قالوا لاخوانهم من
ضعفة المسلمين لا تحاربوا وخلوا محمدا فانا نخاف عليكم الهلاك ولا ياتون الباس اى ولا يحضرون القتال فى سبيل الله الا قليلا يخرجون
رياء وسمعة قدر ما يوهمون انهم معكم يعلم الله سبحانه احوالهم ولا يخفى عليه شئ منها عن السدى وقيل معناه ولا يحضرون القتال
الا كارهين يكون قلوبهم مع المشركين عن قتادة اشحة عليكم اى ياتون الناس اشحة عليكم اى بخلاء بالقتال معكم وقيل بخلاء بالنفقة
فى سبيل الله والنصرة عن قتادة ومجاهد ومعناه لا ينصرونكم ثم اخبر عن جبنهم فقال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
كالذى يغشى اى كعين الذى يغشى عليه من الموت وهو الذى قرب من حال الموت وغشيته اسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص بصره
فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص ابصارهم وتحار اعينهم من شدة خوفهم فاذا ذهب الخوف والفزع وجاء الامن والغنيمة سلقوكم
بالسنة حداد اى اذوكم بالكلام وخاصموكم بالسنة سليطة ذربة عن الفراء وقيل معناه بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة
يقولون اعطونا اعطونا ولستم احق بها منا عن قتادة قال فاما عند الباس فاجبن قوم واخذله للحق واما عند الغنيمة فاشح قوم وهو
قوله اشحة على الخير اى بخلاء بالغنيمة يشاحون المؤمنين عند الغنيمة وقيل معناه بخلاء بان يتكلموا بكلام فيه خير عن الجبائى اولئك يعنى
من تقدم وصفهم لم يؤمنوا كما آمن غيرهم ولما فعلوا ذلك فاحبط الله اعمالهم لانها لم تقع على الوجوه التى يستحق عليها الثواب
اذ لم يقصدوا بها وجه الله تعالى وفى هذا دلالة على صحة مذهبنا فى الاحباط لان المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس
الا ان جهادهم الذى لم يقارنه ايمان لم يستحقوا عليه ثوابا وكان ذلك الاحباط او كان نفاقهم على الله يسيرا اى هينا ثم وصف
سبحانه هؤلاء المنافقين فقال يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى يظنون الجماعات من قريش وغطفان واسد واليهود الذين
تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينصرفوا وقد انصرفوا وانما ظنوا قالوا ذلك لجبنهم وفرط جبنهم قهر المسلمين وان يات
الاحزاب اى وان يرجع الاحزاب اليهم ثانية للقتال يودوا لو انهم بادون فى الاعراب يسئلون عن انبائكم اى يود هؤلاء المنافقون
ان يكونوا فى البادية مع الاعراب يسئلون عن اخباركم ولا يكونوا معكم حذرا من القتل وتربصا للدوائر ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا

قليلا اى لو كان هؤلاء المنافقين معكم وفيكم لم يقاتلوا معكم الا قتالا يسيرا ليوهموا انهم فى جملتكم لا لينصروكم ويجاهدوا معكم
وقيل معناه قتالا قليلا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان لله تعالى لم يكن قليلا عن الجبائى ومقاتل قوله تعالى لقد كان لكم
فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب
عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا
خمس آيات القراءة قرأ عاصم اسوة بضم الالف حيث كان فى جميع القرآن والباقون بكسر الالف وهما لغتان ومعناهما قدوة
اللغة النحب النذر قال بشر بن ابى خازم وانى والهجاء لآل لام كذات النحب يوفى بالنذور والنحب الموت قال ذو الرمة
عشية فر الحارثيون بعدما قضى نحبه فى ملتقى الخيل هوبر وهو اسم رجل والنحب الخطر قال جرير بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا
عشية بسطام جرين على نحب اى على خطر والنحب المد فى السير يوما وليلة المعنى ثم حث سبحانه على الجهاد والصبر عليه فقال
لقد كان لكم معاشر المكلفين فى رسول الله اسوة حسنة اى قدوة صالحة يقال لى فى فلان اسوة اى لى به اقتداء والاسوة من الائتساء
كما ان القدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر والمعنى كان لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به فى نصرته والصبر معه فى مواطن
القتال كما فعل هو يوم احد اذ كسرت رباعيته وشج حاجبه وقتل عمه فهو اسوكم مع ذلك بنفسه فهلا فعلتم مثل ما فعله هو وقوله
لمن كان يرجوا الله بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد العموم للمؤمنين يعنى ان الاسوة برسول الله ص وآله انما يكون لمن كان يرجوا
الله اى يرجوا ما عند الله من الثواب والنعيم عن ابن عباس وقيل معناه يخشى الله ويخشى البعث الذى فيه جزاء الاعمال وهو قوله
واليوم الآخر عن مقاتل وذكر الله كثيرا وذلك ان ذاكر الله متبع لاوامره بخلاف الغافل عن ذكره ثم عاد سبحانه الى ذكر الاحزاب فقال
فقال ولما رأى المؤمنون الاحزاب اى ولما عاين المصدقون بالله ورسوله الجماعة التى تحزبت على قتال النبى ص وآله مع كثرتهم قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله واختلف فى معناه على قولين احدهما ان النبى صلى الله عليه وآله كان قد اخبرهم انه
يتظاهر عليهم الاحزاب ويقاتلونهم ووعدهم الظفر بهم فلما رأوهم تبين لهم مصداق قوله فكان ذلك معجزا له وما زادهم
مشاهدة عدوهم الا ايمانا اى تصديقا بالله ورسوله وتسليما لامره عن الجبائى والآخر ان الله تعالى وعدهم فى سورة البقرة بقوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا الى قوله ان نصر الله قريب ما سيكون من الشدة التى تلحقهم من عدوهم فلما رأوا
الاحزاب يوم الخندق قالوا هذه المقالة علما منهم انه لا يصيبهم الا ما اصاب الانبياء والمؤمنين قبلهم وزادهم كثرة المشركين تصديقا
ويقينا وثباتا فى الحرب عن قتادة وغيره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اى بايعوا ان لا يفروا فصدقوا فى لقائهم العدو
فمنهم من قضى نحبه اى مات او قتل فى سبيل الله فادرك ما تمنى فذلك قضاء النحب وقيل قضى نحبه معناه فرغ من عمله ورجع
الى ربه يعنى من استشهد يوم احد عن محمد بن اسحق وقيل معناه قضى اجله على الوفاء والصدق عن الحسن وقال ابن قتيبة اصل النحب
النذر وكان قوم نذروا ان يلقوا العدو وان يقاتلوا حتى يقتلوا او يفتح الله فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه اذا قتل وروى عن
انس بن مالك ان عمه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن اول قتال قاتله رسول الله ص وآله مع المشركين لئن ارانى الله قتالا
للمشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين وابرأ
اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فلقيه سعد دون احد فقال انا معك قال سعد فلم استطع ان اصنع ما صنع
فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم كنا نقول فيه وفى اصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر رواه البخارى فى الصحيح عن محمد بن سعيد الخزاعى عن عبد الاعلى عن حميد عن انس وقال ابن اسحق فمنهم من قضى نحبه
من استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصره او شهادة على ما مضى عليه اصحابه وما بدلوا تبديلا اى ما غيروا العهد
الذى عاهدوا ربهم كما غير المنافقون وقال ابن عباس من قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وانس بن النضر واصحابه

وقال الكلبي ما بدلوا العهد بالصبر ولا نكثوه بالفرار وروى الحاكم ابو القسم الحسكاني بالاسناد عن عمرو بن ثابت عن ابي اسحق عن علي ع
قال فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانا والله المنتظر وما بدلت تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي صدق المؤمنين
في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم ويعذب المنافقين بنقض العهد ان شاء او يتوب عليهم ان تابوا ويكون معناه انه سبحانه ان
شاء قبل توبتهم واسقط عقابهم وان شاء لم يقبل توبتهم وعذبهم فان اسقاط العقاب على المذهب الصحيح بالتوبة تفضل من الله تعم
لا يجب عقلا وانما علمنا ذلك بالسمع والاجماع على ان الله سبحانه يفعل ذلك والآية قاضية بما يقتضيه العقل من الحكم ويؤكد ذلك قوله
ان الله كان غفورا رحيما لان المدح انما يحصل اذا رحم سبحانه من يستحق العقاب ويغفر ما جاز له المؤاخذة به ولا مدح في مغفرة و
رحمة من يجب عليه غفرانه ورحمته وقيل معناه ويعذب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا ان شاء او يتوبوا عن الجبائي ثم
عاد سبحانه الى تعداد نعمة فقال ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب ابا سفيان وجنوده وغطفان ومن معهم من قبائل العرب
بغيظهم اي بغمهم الذي جاءوا به وحنقهم لم ينالوا خيرا اي لم يشفوا بنيل ما ارادوا ولم ينالوا خيرا املوه واراده من الظفر بالنبي صلى الله عليه وآله و
بالمؤمنين وانما سماه خيرا لان ذلك كان خيرا عندهم وقيل ارادوا بالخير المال كما في قوله وانه لحب الخير لشديد وكفى الله المؤمنين القتال
اي مباشرة القتال بما انزل على المشركين من الريح الشديدة الباردة التي ازعجتهم عن اماكنهم وبما ارسل من الملائكة وبما قذف في
قلوبهم من الرعب وقيل بعلي بن ابي طالب ع وقتله عمرو بن عبدود كان ذلك سبب هزيمة القوم عن عبد الله بن مسعود وهو المروي
عن ابي عبد الله ع وكان الله قويا اي قادرا على ما يشاء عزيزا لا يمتنع عليه شيء من الاشياء وقيل قويا في ملكه وسلطانه عزيزا في قهره وانتقامه
قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا * واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا * آيتان اللغة المظاهرة
المعاونة وهي زيادة القوة بان يكون المعاون ظهرا لصاحبه في الدفع عنه والظهير المعين والصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدها
صيصية يقال جد الله صيصية فلان اي حصنه الذي يمتنع به وكل ما امتنع به فهو صيصية ومنه يقال لقرون الظباء والبقر صياصي
ويقال ايضا لشوكة الديك وشوكة الحائك صيصة قال كوقع الصياصي في النسيج الممدد المعنى ثم ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بني
قريظة فقال وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا المشركين من الاحزاب ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله
ان لا ينصروا عليه عدوا من اهل الكتاب يعني من اليهود واتفق المفسرون على انهم بنو قريظة الا الحسن فانه قال هم بنو النضير والاول
اصح واليق بسياق الآيات لان بني النضير لم يكن في قتال اهل الاحزاب شيء وكانوا قد اجلوا قبل ذلك من صياصيهم اي من حصونهم وقذف
في قلوبهم الرعب اي القى في قلوبهم الخوف من النبي واصحابه المؤمنين فريقا تقتلون منهم يعني الرجال وتأسرون فريقا يعني الذراري
والنساء واورثكم اي اعطاكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها اي واورثكم ارضا لم تطؤها باقدامكم بعد وسيفتحها الله عليكم
وهي خيبر فتحها الله عليهم بعد بني قريظة عن ابن زيد ويزيد بن رومان ومقاتل وقيل هي مكة عن قتادة وقيل هم الروم وفارس عن
الحسن وقيل هي كل ارض تفتح الى يوم القيمة عن عكرمة وقيل هي ما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب عن ابي مسلم وكان
الله على كل شيء قديرا ظاهر المعنى غزوة بني قريظة روى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابيه قال لما انصرف
النبي ص وآله مع المسلمين من الخندق وضع عنه اللامة واغتسل واستحم تبداه جبرائيل ع فقال عذيرك من محارب الا اراك قد
وضعت اللامة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله ص وآله فزعا فعزم على الناس ان لا يصلوا صلوة العصر حتى يأتوا قريظة
فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم ان رسول الله ص وآله عزم علينا ان لا نصلي
حتى نأتي قريظة فانما نحن في عزمة رسول الله ص وآله فليس علينا اثم وصلى طائفة من الناس احتسابا وتركت طائفة منهم الصلوة
حتى غربت الشمس فصلوها حين جاؤا بني قريظة احتسابا فلم يعنف رسول الله ص وآله واحدا من الفريقين وذكر عروة انه بعث
علي بن ابي طالب ع على المقدمة ودفع اليه اللواء وامره ان ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله
ص وآله على آثارهم فمر على مجلس من الانصار في بني غنم ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وآله فزعموا انه قال مر بكم الفارس آنفا

قالوا مر بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال النبي صلى الله عليه وآله ليس ذلك بدحية ولكنه جبرائيل عليه
ارسل الى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب قالوا وسار علي ع حتى اذا دنى من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله
ص وآله فرجع علي ع حتى لقي رسول الله ص في الطريق وقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال اظنك سمعت
لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله فقال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنى رسول الله ص وآله من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير
هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم
الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان فلما ايقنوا
ان رسول الله ص وآله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر اليهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا
ثلثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هو قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا
على دمائكم واموالكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التورية ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم على هذا فهلموا فلنقتل ابناءنا ونساءنا
ثم نخرج الى محمد رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك لم نترك وراءنا نسلا يهمنا وان
نظهر لنجدن النساء والابناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فاذا ابيتم على هذا فان الليلة ليلة السبت وعسى
ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا فلعلنا نصيب منهم غرة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيها ما احدث من كان قبلنا فاصابهم
ما قد علمت من المسخ فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما قال الزهري وقال رسول الله ص وآله حين
سألوه ان يحكم فيهم رجلا اختاروا من شئتم من اصحابي فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله ص وآله فنزلوا على حكم سعد
بن معاذ فامر رسول الله صلى الله عليه وآله بسلاحهم فجعل في قبته وامر بهم فكتفوا واوثقوا وجعلوا في دار اسامة وبعث رسول الله ص
الى سعد بن معاذ فجيء به فحكم فيهم بان يقتل مقاتلتهم ويسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم اموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار
وقال للانصار انكم ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وفي
بعض الروايات لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة والرقعة جمع رقيع اسم سماء الدنيا فقتل رسول الله صلى الله عليه وآله
مقاتلتهم وكانوا زعموا ستمائة مقاتل وقيل اربعمائة وخمسين رجلا وسبى سبعمائة وخمسين وروي انهم قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم
الى رسول الله صلى الله عليه وآله ارسالا يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب افي كل موطن تقولون اما ترون الداعي لا ينزع ومن يذهب
منكم لا يرجع هو والله القتل واتي بحيي بن اخطب عدو الله عليه حلة فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة لئلا
يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما ابصر رسول الله ص وآله قال اما والله ما لمت نفسي على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال
ايها الناس انه لا بأس بامر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وآله
نساءهم وابناءهم واموالهم على المؤمنين وبعث بسبايا منهم الى نجد مع سعد بن زيد الانصاري فابتاع بهم خيلا وسلاحا قالوا
فلما انقضى شان بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله ص وآله الى خيمته التي ضربت في المسجد وروي عن جابر بن
عبد الله قال جاء جبرائيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له ابواب السماء وتحرك له
العرش فخرج رسول الله ص وآله فاذا سعد بن معاذ قد قبض قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا اربع آيات القراءة
قرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون والتشديد العذاب بالنصب وقرأ ابو جعفر واهل البصرة يضعف بالياء والتشديد العذاب
بالرفع والباقون يضاعف بالياء والالف فتح العين وقرأ اهل الكوفة غير عاصم ومن يقنت ويعمل صالحا يؤتها الجميع بالياء وقرأ روح
وزيد من تأت ومن تقنت وتعمل كلها بالتاء ونؤتها بالنون والباقون من يأت ومن يقنت بالياء وتعمل بالتاء نؤتها بالنون الحجة



قال ابو على ضاعف وضعف بمعنى فمن لم يسم الفاعل اسند الفعل الى العذاب ومن قرا بكسر العين فالفعل مسند الى ضمير اسم الله تعالى
والمعنى يضاعف لها العذاب ضعفين انها لما شاهدت من الزواجر الرادعة عن مواقعة الذنوب ينبغى ان تمتنع منها اكثر مما يمتنع من
لا يشاهد ذلك ويقال يضاعف لها العذاب فاذا عاد الضمير على المعنى من دون لفظه ولو عاد على لفظه لذكره ومن قرا يقنت بالياء فلان الفعل
مسند الى ضمير من ولم يتبين فاعل الفعل بعد فلما ذكر ما دل على ان الفعل لمؤنث حمل على المعنى فانث وكذلك قوله من آمن بالله ثم قال
فلا خوف عليهم ومن قرا كل ذلك بالياء فانه حمل على اللفظ دون المعنى ومن قرا من تأت بالتاء حمل على المعنى فكانه قال اية امرأة منكن اتت
بفاحشة ومثله فى الكلام كثير للبيان كقوله سبحانه ومنهم من يستمعون اليك وقول الفرزدق تعش فان عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من يا ذيب
يصطحبان اى مثل الذين يصطحبان قال ابن جنى ان يكون من هنا على الصلة اولى من ان يكون على الصفة اللغة الضعف مثل الشئ الذى
يضم اليه يقال ضاعفته اى زدت عليه مثله ومنه الضعف وهو نقصان القوة بان يذهب احد ضعفيها فهو ذهاب ضعف القوة
النزول قال المفسرون ان ازواج النبى صلى الله عليه وآله سالنه شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة فى النفقة وآذينه لغيرة
بعضهن على بعض فآلى رسول الله صلى الله عليه وآله منهن شهرا فنزلت آية التخيير وهو قوله قل لازواجك وكن يومئذ تسعا عايشه وحفصه
وام حبيبه بنت ابى سفيان وسودة بنت زمعه وام سلمة بنت ابى امية فهولاء من قريش وصفيه بنت حيى الخيبرية وميمونة بنت
الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وروى الواحدى بالاسناد عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وآله جالسا مع حفصه فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك ان اجعل بينى وبينك رجلا
قالت نعم فارسل الى عمر فلما ان دخل عليهما قال لها تكلمى فقالت له يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقا فرفع عمر يده فوجا وجهها ثم
رفع يده فوجا وجهها فقال له النبى صلى الله عليه وآله كف فقال عمر يا عدوة الله النبى يقول الا حقا والذى بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت
يدى حتى تموتى فقام النبى صلى الله عليه وآله فصعد الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغدى ويتعشى فيها فانزل الله تعالى هذه الايات
المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر نساء النبى صلى الله عليه وآله فقال مخاطبا للنبى صلى الله عليه وآله امرا له ان يخير ازواجه يا ايها النبى قل لازواجك ان
كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها اى سعة العيش فى الدنيا وكثرة المال فتعالين امتعكن اى اعطكن متعة الطلاق وقد مر
بيانها فى سورة البقرة وقيل امتعكن بتوفير المهر واسرحكن اى اطلقكن سراحا جميلا والسراح الجميل الطلاق من غير خصومة ولا مشاجرة
بين الزوجين وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة اى وان اردتن طاعة الله وطاعة رسوله والصبر على ضيق العيش والجنة
فان الله اعد للمحسنات اى العارفات المريدات الاحسان المطيعات له منكن اجرا عظيما واختلف فى هذه التخيير فقيل انه خيرهن
بين الدنيا والآخرة فان هن اخترن الدنيا وزينتها استانف حينئذ طلاقهن بقوله امتعكن واسرحكن عن الحسن وقيل خيرهن بين
الطلاق والمقام معه عن مجاهد والشعبى وجماعة المفسرين واختلف العلماء فى حكم التخيير على اقوال احدها ان الرجل اذا خير امراته
فاختارت زوجها فلا شئ وان اختارت نفسها تقع تطليقة واحده وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود واليه ذهب ابو حنيفه واصحابه
وثانيها انه اذا اختارت نفسها تقع ثلث تطليقات وان اختارت زوجها تقع واحدة وهو قول زيد بن ثابت واليه ذهب مالك
وثالثها انه اذا نوى الطلاق كان طلاقا والا فلا وهو مذهب الشافعى ورابعها انه لا يقع بالتخيير طلاق وانما كان ذلك للنبى صلى الله عليه وآله
خاصة ولو اخترن انفسهن لما خيرهن لبن منه فاما غيره فلا يجوز له ذلك وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام ثم خاطب سبحانه نساء
النبى صلى الله عليه وآله فقال يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة اى بمعصية ظاهرة يضاعف لها العذاب فى الآخرة
ضعفين اى مثلى ما يكون على غيرهن وذلك لان نعم الله سبحانه عليهن اكثر لمكان النبى صلى الله عليه وآله منهن ولنزول الوحى فى بيوتهن فاذا
كانت النعمة عليهن اعظم واوفر كانت المعصية منهن افحش والعقوبة بها اعظم واكثر وقال ابو عبيدة الضعفان ان يجعل الواحد
ثلثه فيكون عليهن ثلثة حدود لان ضعف الواحد مثله وضعفى الشئ مثلاه وقال غيره المراد بالضعف المثل فالمعنى انه يزاد فى
عذابها ضعف كما زيد فى ثوابها ضعف فى قوله نؤتها اجرها مرتين وكان ذلك على الله يسيرا اى كان عذابها على الله هينا عن مقاتل ومن
يقنت منكن لله ورسوله اى ومن تطع الله ورسوله والقنوت الطاعة وقيل معناه يواظب منكن على الطاعة لله ولرسوله ومنه القنوت

في الصلوة وهو المداومة على الدعاء المعروف وتعمل صالحا فيما بينها وبين ربها نؤتها اجرها مرتين اى نعطها ثوابها مثلى
ثواب غيرها وروى ابو حمزة الثمالى عن زيد بن على ع انه قال انى لارجوا للمحسنين منا اجرين واخاف على المسئ منا ان يضاعف
له العذاب ضعفين كما وعد ازواج النبى ص وآله وروى محمد بن ابى عمير عن ابرهيم بن عبد الحميد عن على بن عبد الله بن الحسين عن ابيه
عن على بن الحسين زين العابدين ع انه قال له رجل انكم اهل البيت مغفور لكم قال فغضب وقال نحن احرى ان يجرى فينا
ما اجرى الله فى ازواج النبى ص وآله من ان نكون كما تقول انا نرى لمحسننا ضعفين من الاجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب
ثم قرا الآيتين واعتدنا لها رزقا كريما اى هنيئا القدر عظيم الخطر وقيل ان الرزق الكريم ما سلم من كل آفة وقيل هو الثواب
الذى لا يحسن الابتداء بمثله قوله تعالى يا نساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى
فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله
ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات
الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين
فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما اربع آيات القراءة قرا اهل المدينة
وعاصم وقرن بفتح القاف وقرا الباقون وهبيرة عن حفص عن عاصم وقرن بكسر القاف وفى الشواذ قراءة الاعرج وابان
بن عثمان فيطمع الذى بكسر العين الحجة قال ابو على قوله وقرن لا يخلو اما ان يكون من القرار او من الوقار فان كان من الوقار
فهو مثل عدن وكلن مما حذف منه الفاء وهى واو فيبقى من الكلمة علن وان كان من القرار فيكون الامر اقررن فيبدل من العين
الياء كراهة التضعيف كما ابدل فى قيراط ودينار فيصير لها حركة الحرف المبدل منه ثم يلقى الحركة على الفاء فيسقط همزة الوصل لتحرك
ما بعدها فيقول قرن لان حركة الراء كانت كسرة فى تقرن الا ترى ان القاف متحركة بها واما من فتح فقال قرن فمن لم يجز قررت بالمكان
اقر فان فتح الفاء عنده لا يجوز ومن قرا جاز ذلك جاز على قوله قرن كما جاز قرن وهى لغة حكاها الكسائى وقال ابو عثمن يقال
قررت به عينا اقر فكلا يقال قررت فى هذا المعنى وقررت فى المكان فانا اقر فيه ولا يقال لو اقررت فى هذا المعنى ومن قرا فيطمع
الذى بالكسر فهو معطوف على فلا تخضعن اى فلا يطمع الذى فى قلبه مرض فكلاهما منهى عنه الا ان النصب اقوى لانه يكون
بمعنى ان طمعه يسبب عن خضوعهن بالقول واذا كان عطفا كان نهيا لهن وله وليس فيه دليل على ان الطمع واقع من اجلهن
اللغة التبرج اظهار المراة محاسنها ماخوذ من البرج وهو السعة فى العين وطعنة برجاء اى واسعة وفى اسنانه برج اذا تفرق
ما بينها الاعراب قوله ليذهب اللام يتعلق بمحذوف تقديره واراد ته ليذهب ويجوز ان يتعلق بيريد اهل البيت منصوب على المدح
تقديره اعنى اهل البيت ويجوز ان يكون منادى مضافا ويجوز فى العربية جر اللام ورفعها فالجر على ان يكون بدلا من كم والرفع
على المدح المعنى ثم اظهر سبحانه فضيلتهن على ساير النسوان بقوله يا نساء النبى لستن كاحد من النساء قال الزجاج لم يقل كواحدة
من النساء لان احدا للنفى العام وقال ابن عباس يعناه ليس قدركن عندى كقدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم على وانا
بكن ارحم وثوابكن اعظم لمكانكن من رسول الله ان اتقيتن الله شرط عليهن التقوى ليبين سبحانه ان فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن
بالنبى ص وآله فلا تخضعن بالقول اى لا ترققن القول ولا تلن الكلام للرجال ولا تخاطبن الاجانب مخاطبة تؤدى الى طمعهم فيكن
كما تفعل المراة التى تظهر الرغبة فى الرجال فيطمع الذى فى قلبه مرض اى نفاق وفجور عن قتادة وقيل من فى قلبه شهوة للزنا عن عكرمة
وقيل ان المراة مندوبة اذا خاطبت الاجانب الى الغلظة فى المقالة لان ذلك ابعد من الطمع فى الريبة وقلن قولا معروفا اى
مستقيما جميلا بريا من التهمة بعيدا من الريبة موافقا للدين والاسلام وقرن فى بيوتكن امرهن سبحانه بالاستقرار فى بيوتهن والمعنى
اثبتن فى منازلكن والزمنها وان كان من وقر يقر فمعناه كن اهل وقار وسكينة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى اى لا تخرجن على
عادة النساء فى الجاهلية ولا تظهرن زينتكن كما كن يظهرن ذلك وقيل التبرج التبختر والتكبر فى المشى عن قتادة ومجاهد وقيل هو ان

تلقی الخمار علی راسها ولا تشده فیواری قلائدها وقرطیها فیبدو ذلک منها عن مقاتل والمراد بالجاهلیة الاولی ما کان قبل الاسلام
عن قتادة وقیل ما کان بین آدم ونوح ثمان مائة سنة عن الحکم وقیل ما بین عیسی ومحمد عن الشعبی قال وهذا لا یقتضی ان یکون بعدها
جاهلیة فی الاسلام لان الاول اسم للسابق تأخر عنه غیره او لم یتأخر وقیل ان معنی تبرج الجاهلیة الاولی انهم کانوا یجوزون ان تجمع
امرأة واحدة زوجها وخلا فتجعل لزوجها نصفها الاسفل ولخلها نصفها الاعلی یقبلها ویعانقها ثم قال واقمن الصلوة ای ادینها فی اوقاتها
بشرائطها وآتین الزکوة المفروضة فی اموالکن واطعن الله ورسوله فیما یأمرکن به وینهاکن عنه ثم قال سبحانه انما یرید الله لیذهب
عنکم الرجس اهل البیت ویطهرکم تطهیرا قال ابن عباس الرجس عمل الشیطان وما لیس لله فیه رضا والبیت التعریف فیه للعهد
والمراد به بیت النبوة والرسالة والعرب تسمی ما یلتجی الیه بیتا ولهذا سموا الانساب بیوتا وقالوا بیوتات العرب یریدون النسب
قال الا یا بیت بالعلیا بیت ولولا حب اهلک ما اتیت الا یا بیت اهلک اوعدونی کانی کل ذنبهم جنیت یرید بیت النسب
وبیت النبوة والرسالة کبیت النسب وقال الفرزدق بیت زرارة محتب بفنائه ومجاشع وابو الفوارس نهشل لا یحتبی بفناء
بیتک مثلهم ابدا اذا عد الفعال الاکمل وقیل البیت البیت الحرام واهله هم المتقون علی الاطلاق لقوله ان اولیاؤه الا المتقون وقیل
البیت مسجد الرسول صلی الله علیه وآله ومن سکنه رسول الله فیه ولم یخرجه ولم یسد بابه عنه وقد اتفقت الامة باجمعها علی ان المراد باهل
البیت فی الآیة اهل بیت نبینا صلی الله علیه وآله ثم اختلفوا فقال عکرمة اراد ازواج النبی صلی الله علیه وآله لان الآیة متوجهة الیهن
وقال ابو سعید الخدری وانس بن مالک وواثلة بن الاسقع وعایشة وام سلمة ان الآیة مختصة برسول الله صلی الله علیه وآله وعلی وفاطمة
والحسن والحسین علیهم السلام ذکر ابو حمزة الثمالی فی تفسیره حدثنی شهر بن حوشب عن ام سلمة قال جاءت فاطمة علیها السلام الی النبی صلی الله علیه وآله تحمل
حریرة لها فقال ادعی زوجک وابنیک فجاءت بهم فطعموا ثم القی علیهم کساء له خیبریا وقال اللهم هؤلاء اهل بیتی وعترتی فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا فقلت یا رسول الله وانا معهم فقال انت الی خیر وروی الثعلبی فی تفسیره ایضا بالاسناد عن ام سلمة
ان النبی صلی الله علیه وآله کان فی بیتها فاتته فاطمة علیها السلام ببرمة فیها حریرة فقال لها ادعی زوجک وابنیک فذکرت الحدیث نحو ذلک
ثم قالت فانزل الله تعالی انما یرید الله الآیة قالت فاخذ فضل الکساء فغشاهم به ثم اخرج یده فالوی بها الی السماء ثم قال اللهم هؤلاء
اهل بیتی وخاصتی فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا فادخلت راسی البیت وقلت وانا معکم یا رسول الله قال انک الی خیر وباسناده
قال مجمع دخلت مع امی علی عایشة فسألتها امی ارایت خروجک یوم الجمل قالت انه کان قدرا من الله فسألتها عن علی علیه السلام فقالت تسألینی
عن احب الناس کان الی رسول الله صلی الله علیه وآله وزوج احب الناس کان الی رسول الله صلی الله علیه وآله لقد رایت علیا وفاطمة وحسنا
وحسینا وجمع رسول الله صلی الله علیه وآله بثوب علیهم ثم قال اللهم هؤلاء اهل بیتی وحامتی فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا قالت
فقلت یا رسول الله انا من اهلک قال تنحی فانک الی خیر وباسناده عن ابی سعید الخدری عن النبی صلی الله علیه وآله قال نزلت هذه
الآیة فی خمسة فیّ وفی علی وحسن وحسین وفاطمة واخبرنا السید ابو الحمد قال حدثنا الحاکم ابو القسم الحسکانی قال حدثونا
عن ابی بکر السبیعی قال حدثنا ابو عروبة الحرانی قال حدثنا ابن مصفی قال حدثنا عبد الرحیم بن واقد عن ایوب بن سیار عن محمد بن
المنکدر عن جابر قال نزلت هذه الآیة علی النبی صلی الله علیه وآله ولیس فی البیت الا فاطمة والحسن والحسین وعلی علیهم السلام انما
یرید الله لیذهب عنکم الرجس اهل البیت فقال النبی صلی الله علیه وآله اللهم هؤلاء اهل بیتی وحدثنا السید ابو الحمد قال حدثنا الحاکم
ابو القسم باسناده عن زاذان عن الحسن بن علی قال لما نزلت آیة التطهیر جمعنا رسول الله صلی الله علیه وآله وایاه فی کساء لام سلمة خیبری ثم قال اللهم
هؤلاء اهل بیتی وعترتی والروایات فی هذا کثیرة من طریق العامة والخاصة لو قصدنا علی ایرادها لطال الکتاب وفیما اوردناه کفایة
واستدلت الشیعة علی اختصاص الآیة بهؤلاء الخمسة علیهم الصلوة والسلام بان قالوا لفظة انما محققة لما اثبت بعدها نافیة لما لم یثبت
فان قول القایل انما لک عندی درهم وانما فی الدار زید یقتضی انه لیس عنده سوی الدرهم ولیس فی الدار سوی زید واذا تقرر ذلک فلا
تخلو الارادة فی الآیة ان تکون هی الارادة المحضة او الارادة التی یتبعها التطهیر واذهاب الرجس ولا یجوز الوجه الاول لان الله سبحانه
قد اراد من کل مکلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لاهل البیت دون سایر الخلق ولان هذا القول یقتضی المدح والتعظیم لهم بغیر شک

ولا شبهة ولا مدح فى الارادة المجردة فثبت الوجه الثانى وفى ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح وقد علمنا ان عدا
من ذكرناه من اهل البيت عليهم السلم غير مقطوع على عصمته فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم ومتى قيل ان صدر
الآية وما بعدها فى الازواج فالقول فيه ان هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء فى كلامهم وانهم يذهبون من خطاب الى غيره و
يعودون اليه والقرآن من ذلك مملو وكذلك كلام العرب واشعارهم ثم عاد سبحانه الى ذكر الازواج فقال واذكرن ما يتلى فى بيوتكن
من آيات الله والحكمة معناه واشكرن الله تعالى اذ صيركن فى بيوت يتلى فيها القرآن والسنة عن قتادة وقيل اذكرن اى احفظن ذلك
وليكن منكن على بال ابدا لتعملن بموجبه وهذا حث لهن على حفظ القرآن والاخبار ومذاكرتهن بهما والخطاب وان اختص
بهن فغيرهن يشاركهن فيه لان بناء الشريعة على القرآن والسنة ان الله كان لطيفا باوليائه خبيرا بجميع خلقه وقيل لطيفا فى تدبير
خلقه وايصال المنافع اليهم خبيرا بما يكون منهم وبمصالحهم ومفاسدهم فيأمرهم بفعل ما فيه صلاحهم واجتناب ما فيه فسادهم
قال مقاتل بن حيان لما رجعت اسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابى طالب دخلت الى نساء رسول الله صم وآله
فقالت هل نزل فينا شىء من القرآن قلن لا فاتت رسول الله صم فقالت يا رسول الله ان النساء لفى خيبة وخسارة فقال ومم ذلك
قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال قال فانزل الله تعالى هذه الآية ان المسلمين والمسلمات اى المخلصين الطاعة لله والمخلصات
من قوله ورجلا سلما لرجل اى خالصا وقيل معناه ان الداخلين فى الاسلام من الرجال والنساء وقيل يعنى المستسلمين لاوامر الله
والمنقادين له من الرجال والنساء والمؤمنين والمؤمنات اى والمصدقين بالتوحيد والمصدقات والاسلام والايمان واحد عند اكثر
المفسرين وانما كرر لاختلاف اللفظين وقيل انهما مختلفان فالاسلام الاقرار باللسان والايمان التصديق بالقلب ويعضده قوله
قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقيل الاسلام هو اسم الدين والايمان التصديق به قال البلخى فسر رسول الله صم وآله
المسلم والمؤمن بقوله المسلم من سلم المؤمنون من يده ولسانه والمؤمن من آمن جاره بوائقه وما آمن بى من بات شبعان وجاره طاو
والقانتين والقانتات يعنى الدائمين على الاعمال الصالحات والدائمات وقيل يعنى الداعين والداعيات والصادقين فى ايمانهم
وفيما ساءهم وسرهم والصادقات والصابرين على طاعة الله وعلى ما يبتليهم الله به والصابرات والخاشعين اى المتواضعين لله تعالى
والخاشعات وقيل معناه الخائفين والخائفات والمتصدقين اى المخرجين الصدقات والزكوات والمتصدقات والصائمين لله تعالى
بنية صادقة والصائمات والحافظين فروجهم من الزنا وارتكاب الفجور والحافظات فروجهن وحذف لدلالة الكلام عليه و
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات الله كثيرا وحذف ايضا للدلالة الكلام عليه اعد الله لهم اى لهؤلاء الموصوفين بهذه الخصال والصفات مغفرة
لذنوبهم واجرا عظيما فى الآخرة وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى صم وآله قال اذا ايقظ الرجل اهله من الليل فتوضيا وصليا كتبا
من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال مجاهد ولا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن
ابى عبد الله ع انه قال من بات على تسبيح فاطمة ع كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات قوله تع وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا
قَضَى اللّٰهُ وَرَسُولُهُ اَمْرًا اَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ اَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا وَاِذْ تَقُولُ لِلَّذِى اَنْعَمَ
اللّٰهُ عَلَيْهِ وَاَنْعَمْتَ عَلَيْهِ اَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللّٰهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللّٰهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللّٰهُ اَحَقُّ اَنْ
تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى اَزْوَاجِ اَدْعِيَائِهِمْ اِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولًا
مَا كَانَ عَلَى النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللّٰهُ لَهُ سُنَّةَ اللّٰهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللّٰهِ وَيَخْشَوْنَهُ
وَلَا يَخْشَوْنَ اَحَدًا اِلَّا اللّٰهَ وَكَفَى بِاللّٰهِ حَسِيبًا مَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا
خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة وهشام ان يكون بالياء والباقون بالتاء وقرا عاصم وحده وخاتم النبيين بفتح التاء والباقون بكسرها
الحجة قال ابو على التانيث والتذكير حسنان وهذه الآية تدل على ان ما فى قوله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة نفى وليست
بموصولة ومن كسر التاء من خاتم فانه ختمهم فهو خاتمهم ومن فتح التاء فمعناه آخر النبيين لا نبى بعده قال الحسن خاتم الذى ختم به
قال المبرد خاتم فعل ماض على وزن فاعل وهو فى معنى ختم النبيين على هذا الوجه بانه مفعول به وفى حرف عبد الله ولكن نبيا ختم

النبيين اللغة قال الزجاج الخيرة التخيير وقال علي بن عيسى الخيرة ارادة اختيار الشيء على غيره والوطر الارب والحاجة وقضاء
الشهوة قال وكيف ثواي في المدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر قال الخليل الوطر كل حاجة تكون لك فيها همة فاذا بلغها
البالغ قيل قد قضى وطره واربه الاعراب سنة الله منصوب على المصدر تقديره سن الله سنة الذين يبلغون يجوز ان
يكون رفعا على المدح تقديره هم الذين يبلغون رسالات الله ويجوز ان يكون نصبا على اعني الذين ولكن رسول الله تقديره
ولكن كان رسول الله وخاتم النبيين ولو قرئ رسول الله وخاتم النبيين بالرفع لجاز اي ولكن هو رسول الله وخاتم النبيين
النزول نزلت في زينب بنت جحش الاسدي وكانت بنت اميمة بنت عبد المطلب بنت عمة رسول الله ص وآله فخطبها
رسول الله ص وآله على مولاه زيد بن حارثة ورأت انه يخطبها على نفسه فلما علمت انه يخطبها على زيد ابت وانكرت وقالت
انا ابنة عمتك فلم اكن لافعل وكذلك قال اخوها عبد الله بن جحش فنزل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية يعني عبد الله بن جحش
واخته زينب فلما نزلت الآية قالت رضيت يا رسول الله وجعلت امرها بيد رسول الله ص وآله وكذلك اخوها فانكحها رسول
الله ص وآله زيدا فدخل بها وساق اليها رسول الله ص وآله عشرة دنانير وستين درهما مهرا وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين
مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالت خطبني عدة من قريش فبعثت اختي حمنة بنت
جحش الى رسول الله صلى الله عليه وآله استشيره فاشار بزيد فغضبت اختي وقالت اتزوج بنت عمتك مولاك ثم اعلمتني
فغضبت اشد من غضبها فنزلت الآية فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقلت زوجني ممن شئت فزوجني من
زيد وقيل نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي ص وآله فقال قد قبلت وزوجها زيد بن
حارثة فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله ص وآله فزوجنا عبده فنزلت الآية عن ابن زيد وذكر علي بن ابراهيم
في تفسيره ان رسول الله ص وآله كان شديد الحب لزيد وكان اذا ابطأ عليه زيد اتى منزله فيسال عنه فابطأ عليه يوما فاتى
رسول الله صلى الله عليه وآله منزله فاذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبا بفهر لها فدفع رسول الله ص وآله الباب
فلما نظر اليها قال سبحان الله خالق النور تبارك الله احسن الخالقين ورجع فجاء زيد واخبرته زينب بما كان فقال لعلك
وقعت في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله فهل لك ان اطلقك حتى يتزوجك رسول الله ص وآله فقالت اخشى ان
تطلقني ولا يتزوجني فجاء زيد الى رسول الله تمام القصة فنزلت الآية واذ تقول للذي انعم الله عليه الآية المعنى لما تقدم ذكر
نساء النبي ص وآله عقبه سبحانه بذكر زيد وزوجته فقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله اي اوجب الله و
رسوله امرا والزماه وحكما به ان يكون لهم الخيرة اي الاختيار من امرهم على اختيار الله تعم والمعنى ان كل شيء امر الله تعم به او
حكم به فليس لاحد مخالفته وترك ما امر به الى غيره ومن يعص الله ورسوله فيما يختاره له فقد ضل ضلالا مبينا اي ذهب
عن الحق ذهابا ظاهرا ثم خاطب النبي ص وآله فقال واذ تقول اي واذكر يا محمد حين تقول للذي انعم الله عليه بالهداية الى الايمان
وانعمت عليه بالعتق وقيل انعم الله بمحبته رسوله وانعم الرسول عليه بالتبني عن السدي والثوري وهو زيد بن حارثه
امسك عليك زوجك يعني زينب يقول احبسها ولا تطلقها وهذا الكلام يقتضي مشاجرة جرت بينهما حتى وعظه الرسول
وقال له امسكها واتق الله في مفارقتها ومضارتها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه و الذي
اخفاه في نفسه هو انه ان طلقها زيد تزوجها وخشي من لائمة الناس ان يقولوا امره بطلاقها ثم تزوجها وقيل ان الذي اخفاه
في نفسه ان الله سبحانه اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال له اريد ان اطلق زينب قال له امسك
عليك زوجك فقال سبحانه لم قلت له امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك روي ذلك عن علي بن
الحسين ع وهذا التاويل مطابق لتلاوة الآية وذلك انه سبحانه اعلم انه يبدي ما اخفاه ولم يظهر غير التزويج فقال زوجناكها
فلو كان الذي اضمره محبتها او ارادة طلاقها لاظهر الله تعم ذلك مع وعده بانه يبديه فدل ذلك على انه انما عوتب على قوله امسك
عليك زوجك مع علمه بانها تكون زوجته وكتمانه ما اعلمه الله به حيث استحى ان يقول لزيد ان التي تحتك ستكون امرأتي قال

البلخي ويجوز ايضا على ما يقوله ان النبي ص وآله استحسنها فتمنى ان يفارقها زيد فيتزوجها وكتم ذلك لان هذا التمني قد طبع عليه
البشر ولا حرج على احد ان يتمنى شيئا استحسنه وقيل انه ع انما اضمر ان يتزوجها ان طلقها زيد من حيث انها كانت ابنة عمته فاراد
ضمها الى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل باقاربه عن الجبائى قال فاخبر الله سبحانه الناس والحال مضمرة من ايثار ضمها الى
نفسه ليكون ظاهره مطابقا لباطنه ولهذا المعنى قال ع لاصحابه يوم فتح مكة وقد جاء عثمن بعبد الله بن سعد بن ابي سرح يستامنه
وكان ص وآله قبل ذلك قد اهدر دمه ولم يقتله فلما رآى عثمن استحيى من رده وسكت طويلا ليقتله بعض المؤمنين ثم آمنه بعد تردد
المسئلة من عثمن وقال ما كان منكم رجل رشيد يقوم الى هذا فيقتله فقال له عباد بن بشر يا رسول الله ان عيني ما زالت في عينك انتظارا
ان تومى الى فاقتله فقال ع ان الانبياء لا يكون لهم خائنة اعين فلم يستحب ع الاشارة بقتل كافر وان كان مباحا وقيل كان النبي ص وآله
يريد ان يتزوج بها اذا فارقها ولكنه عزم ان لا يتزوجها مخافة ان يطعنوا عليه فانزل الله هذه الآية كيلا يمتنع عن فعل المباح خشية الناس
ولم يرد بقوله والله احق ان تخشيه خشية التقوى لانه كان يتقى الله حق تقاته ويخشاه فيما يجب ان يخشى فيه ولكنه اراد خشية
الاستحياء لان الحيا كان غالبا على شيمته الكريمة ص كما قال سبحانه ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيى منكم وقيل ان زينب كانت شريفة فزوجها
النبي ص وآله من زيد مولاه ولحقها بعض العايف فاراد ع ان يزيد ها شرفا بان يتزوجها لانه كان السبب في تزويجها من زيد فعزم ان يتزوج
بها اذا فارقها وقيل ان العرب كانوا ينزلون الادعياء منزلة الابناء في الحكم فاراد ع ان يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية فكان يخفى
في نفسك تزويجها لهذا الغرض كيلا يقول الناس انه تزوج بامرأة ابنه ويعرفونه بما هو منزه عنه ولهذا قال امسك عليك زوجك عن ابي مسلم
ويشهد لهذا التاويل قوله فيما بعد فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا معناه فلما مضى زيد حاجته من نكاحها فطلقها وانقضت عدتها ولم يكن في قلبه ميل اليها ولا وحشة من فراقها فان معنى القضاء
هو الفراغ من الشيء على التمام زوجناكها اى اذنالك في تزويجها وانما فعلنا ذلك توسعة على المؤمنين حتى لا يكون عليهم اثم في ان يتزوجوا
ازواج ادعيائهم الذين تبنوهم اذا قضى الادعياء منهن حاجتهن وفارقوهن فبين سبحانه ان الغرض في ذلك ان لا يجرى المتبنى في تحريم
امرأته اذا طلقها على المتبنى مجرى الابن من النسب او الرضاع في تحريم امرأته اذا طلقها على الاب وكان امر الله مفعولا اى كاينا لا محالة وفى
الحديث ان زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي ص وآله وتقول زوجنى الله من النبي ص وآله وانتن انما زوجكن اولياؤكن وروى ثابت
عن انس بن مالك قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ص وآله لزيد اذهب فاذكرها على قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب
ابشرى ارسلنى نبى الله يذكرك ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل عليها بغير اذن لقوله تعالى زوجناكها وفى رواية
اخرى قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في نفسى حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ص وآله
ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب ابشرى ان رسول الله ص وآله يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربى
فقامت الى مسجدها ونزل زوجناكها فتزوجها رسول الله ص وآله ودخل بها وما اولم على امرأة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم
الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وعن الشعبى قال كانت زينب تقول للنبى ص وآله انى ادل عليك بثلث ما من نسائك امرأة تدل
بهن جدى وجدك واحد وانى انكحنيك الله في السماء وان السفير جبرائيل ع ثم قال سبحانه ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له
اى ما كان على النبى اثم وضيق فيما احل الله له من التزويج بامرأة الابن المتبنى وقيل فيما فرض واوجب عليه من التزويج بها ليبطل
حكم الجاهلية في الادعياء سنة الله في الذين خلوا من قبل اى كسنة الله في الانبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهم في نفى الحرج
عنهم وعن اممهم بما احل الله سبحانه لهم من ملاذهم وقيل في كثرة الازواج كما فعله داود وسليمن ع فكان لداود مائة امرأة ولسليمن
ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقيل اراد اشارة بالنسبة الى ان النكاح من سنة الانبياء كما قال ع النكاح من سنتى فمن رغب عنه فقد
رغب عن سنتى وكان امر الله قدرا مقدورا اى كان ما ينزل الله على انبيائه من الامر الذى يريد قضاء مقضيا وقيل معناه جاريا
على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهة الحكمة وقيل ان القدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان وعليه
قول الشاعر واعلم بان ذا الجلال قد قدر فى الصحف الاولى التى كان سطر ثم وصف سبحانه الانبياء الماضين واثنى عليهم فقال

الذين يبلغون رسالات الله ان يؤدونها الى من بعثوا اليهم ولا يكتمونها ويخشونه اى ويخافون الله مع ذلك فى ترك ما اوجبه عليهم
ولا يخشون احدا الا الله ولا يخافون من سوى الله فيما يتعلق بالاداء والتبليغ وفى هذا دلالة على ان الانبياء لا يجوز عليهم التقية
فى تبليغ الرسالة ومتى قيل فكيف قال لنبينا ع وتخشى الناس فالقول انه لم يكن ذلك فيما يتعلق بالتبليغ وانما خشى ع المقالة القبيحة
فيه والعاقل كما يتحرز من المضار يتحرز من اساءة الظنون به والقول السئ فيه ولا يتعلق شئ من ذلك بالتكليف وكفى بالله حسيبا اى
حافظا لاعمال خلقه ومحاسبا مجازيا عليها ولما تزوج ع زينب بنت جحش قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فقال سبحانه ما كان
محمد ابا احد من رجالكم الذين لم يلدهم وفيه بيان انه ليس باب زيد فيحرم عليه زوجته فان تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب
نسب لا سبب له لا حرمة لامراته ولهذا اشار اليهم فقال من رجالكم فتعلقعلد لوص وآله اولاد ذكور ابرهيم والقسم والطيب والمطهر
فكان ابا هم وقد صح انه قال للحسن ان ابنى هذا سيد وقال ايض للحسن والحسين عليهما السلم ابناى هذان امامان قاما او قعدا او
قال ع ان كل بنى بنت ينتسبون الى ابيهم الا اولاد فاطمه فانى انا ابوهم وقيل اراد بقوله رجالكم البالغين من رجال ذلك الوقت ولم
يكن احد من ابنائه رجلا فى ذلك الوقت ولكن رسول الله اى ولكن كان رسول الله لا يترك ما اباحه الله تعم بقول الجهال وقيل ان
الوجه فى اتصال ربما قبله انه اراد سبحانه ليس يلزم طاعته ع وتعظيمه لمكان النسب بينه وبينكم ولمكان الابوة بل انما يجب ذلك
عليكم لمكان النبوة وخاتم النبيين اى واخر النبيين ختمت النبوة منه فشريعته باقية الى يوم الدين وهذا تفضيل له اختص بها من بين
ساير المرسلين فان قيل ان اليهود يدعون فى موسى ع مثل ذلك فالجواب ان بعض اليهود يدعى ان شريعته لا تنسخ وهم مع ذلك يجوزون
ان يكون بعده انبياء ونحن اذا اثبتنا نبوة نبينا ص واله بالمعجزات القاهرة وجب نسخ شريعته بذلك وكان الله بكل شئ عليما
لا يخفى عليه شئ من مصالح العباد وصح الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه واله فقال انما مثلى فى الانبياء كمثل رجل
بنى دارا فاكملها وحسنها الا موضع لبنة فكان من دخل فيها فنظر اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة قال ص واله فانا موضع
اللبنة ختم بى الانبياء رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما قوله تع يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ
أَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ
وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا
ثمانى آيات المعنى ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه واله
قال من عجز عن الليل ان يكابده وجبن عن العدو ان يجاهده وبخل بالمال ان ينفقه فليكثر ذكر الله عز وجل ثم اختلف فى معنى الذكر
الكثير فقيل هو ان لا ينساه ابدا عن مجاهد وقيل هو ان يذكره سبحانه بصفاته العلى واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به وقيل هو
ان يقول سبحن الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر على كل حال عن مقاتل وقد روى عن ائمتنا عليهم السلم انهم قالوا من قالها ثلثين
مرة فقد ذكر الله كثيرا وعن زرارة وحمران ابنى اعين عن ابى عبد الله ع قال من سبح تسبيح فاطمة عليها السلم فقد ذكر الله ذكرا كثيرا وروى
الواحدى باسناده عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء جبرائيل ع الى النبى ص واله فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد ما علم وزنة ما علم وملأ ما علم قال من قالها كتب الله له ست خصال
كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان افضل من ذكره الليل والنهار وكن له غرسا فى الجنة وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر
اليابسة وينظر الله اليه ومن نظر اليه لم يعذبه وسبحوه بكرة واصيلا اى نزهوه سبحانه عن جميع ما لا يليق به بالغداة والعشى والاصيل
العشى وقيل يعنى به صلوة الصبح وصلوة العصر عن قتادة وقيل صلوة الصبح وصلوة العشاء خصهما بالذكر لان لهما مزية على
غيرهما من حيث ان ملائكة الليل والنهار يجتمعون فيهما وقال الكلبى اما بكرة فصلوة الفجر واما اصيلا فصلوة الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وتسمى الصلوة تسبيحا لما فيها من التسبيح والتنزيه هو الذى يصلى عليكم وملائكته الصلوة من الله المغفرة
والرحمة عن سعيد بن جبير والحسن وقيل الثناء عن ابى العاليه وقيل هى الكرامة عن سفين واما صلوة الملائكة فهى دعاؤهم عن ابن

حسن حزب

عباس وابى العالية وقيل طلبهم انزال الرحمة من الله تع ليخرجكم من الظلمات الى النور اى من الجهل بالله تعالى الى معرفته فشبه
الجهل بالظلمات وشبه المعرفة بالنور لان هذا يقود الى الجنة وذاك يقود الى النار وقيل من الضلالة الى الهدى بالطاعة وهدايته
وقيل من ظلمات النار الى نور الجنة وكان بالمؤمنين رحيما خص المؤمنين بالرحمة دون غيرهم لانه سبحانه جعل الايمان بمنزلة العلة
فى ايجاب الرحمة والنعمة والعظمة التى هى الثواب تحيتهم يوم يلقونه سلام اى يحيى بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بان يقولوا لهم
السلامة لكم من جميع الآفات ولقاء الله سبحانه معناه لقاء ثوابه كما سبق القول فيه وروى عن البراء بن عازب انه قال يوم يلقون ملك
الموت لا يقبض روح مؤمن الا سلم عليه فعلى هذا يكون المعنى تحيته المؤمن من ملك الموت يوم يلقونه ان يسلم عليهم وملك الموت
مذكور فى الملائكة واعد لهم اجرا كريما اى ثوابا جزيلا ثم خاطب نبيه صه وآله فقال يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا على امتك
فيما يفعلونه من طاعة او معصية وايمان او كفر لتشهد لهم وعليهم يوم القيمة ونجازيهم بحسبه ومبشرا اى مبشرا لمن اطاعنى
واطاعك بالجنة ونذيرا لمن عصاك وعصانى بالنار وداعيا اى وبعثناك داعيا الى الله والاقرار بوحدانيته وامتثال اوامره
ونواهيه باذنه اى بعلمه وامره وسراجا منيرا يهتدى بك فى الدين كما يهتدى بالسراج والمنير الذى يصدر النور من جهته اما بفعله
واما لانه سبب له فالقمر منير والسراج منير بهذا المعنى والله منير السموات والارض وقيل عنى بالسراج المنير القرآن والتقدير وبعثناك
ذا سراج منير فحذف المضاف عن الزجاج وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا زيادة على ما يستحقونه من الثواب ولا تطع
الكافرين والمنافقين هو مفسر فى اول السورة ودع اذيهم اى واعرض عن اذيهم فانى ساكفيك امرهم اذا توكلت على وعملت بطاعتى
فان جميعهم فى سلطانى بمنزلة ما هو فى قبضة عبدى وقيل معناه وكف عن اذيهم ومقاتلتهم وذلك قبل ان يومر بالقتال عن الكلبى وتوكل
على الله اى واسند امرك الى الله يكفك عليهم وكفى بالله وكيلا اى كافيا ومتكفلا بما يسند اليه النظم انما اتصلت الآية بما تقدمها
من قوله ولكن رسول الله فانه من عليهم برسالته وامرهم بان يشكروه على ذلك وقوله هو الذى يصلى عليكم يتصل بما قبله من امره بالذكر
والتقدير ان الله عز اسمه مع غناه عنكم يذكركم فانتم اولى بان تذكروه وتقبلوا عليه مع احتياجكم اليه وقيل انه سبحانه عدد نعمته
على المؤمنين وعد من جملتها صلوته عليهم ثم بين ارسال النبى صه وآله اليهم مع جلالة قدره وعلو امره قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا
يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات
عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها خالصة
لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما

عشر

آيتان القراءة فى الشواذ قراءة ابى بن كعب والحسن والثقفى ان وهبت بفتح الالف الحجة قال ابن جنى تقديره لان وهبت نفسها
اى انها تحل له من اجل ان وهبت نفسها له وليس يعنى بذلك امرأة بعينها قد كانت وهبت نفسها له وانما محصوله انها ان وهبت
امرأة نفسها للنبى حلت له من اجل هبتها اياه فالحل انما هو مسبب عن الهبة متى كانت ويؤكد ذلك القراءة بالكسر فصح به الشرط
الاعراب العامل فى الظرف من قوله اذا نكحتم ما يتعلق به لكم والتقدير اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن لم
يثبت لكم عليهن عدة مما افاء الله عليك الجار والمجرور فى موضع نصب على الحال من الضمير المحذوف فى قوله وما ملكت يمينك اى ملكته
ان وهبت نفسها للنبى جزاء الشرط محذوف تقديره ان وهبت نفسها احللناها له وجزاء الشرط الذى هو ان اراد النبى ان يستنكحها
الشرط والجزاء المتقدم تقديره ان اراد النبى ان يستنكحها ان وهبت نفسها له احللناها له وان يستنكحها فى موضع نصب بانه
مفعول اراد خالصة لك نصب على الحال والهاء فيه للمبالغة المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر النساء فقال يا ايها الذين آمنوا اذا
نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اى من قبل ان تدخلوا بهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اى تستوفونها
بالعدد وتحصونها عليها بالاقراء او بالاشهر اسقط الله سبحانه العدة عن المطلقة قبل المسيس لبراءة رحمها فان شاءت تزوجت من
يومها فمتعوهن قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فاذا فرض لها صداقا فلها نصفه ولا تستحق المتعة وهو المروى عن ائمتنا

عليهم السلم والاية محمولة عندنا على التي لم يسم لها مهر فيجب لها المتعة وسرحوهن سراحا جميلا اى طلقوهن طلاق السنة من غير ظلم
عليهن عن الجبائي وقيل سرحوهن ... فانه ليس عليها عدة فلا يلزمها المقام في منزل الزوج سراحا جميلا بغير جفوة ولا اذية
وقيل السراح الجميل هو دفع المتعة بحسب اليسرة والعسرة عن حبيب بن ابي ثابت قال كنت قاعدا عند علي بن الحسين ع فجاءه رجل
فقال اني قلت يوم اتزوج فلانة فهي طالق فقال اذهب فتزوجها فان الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقرأ هذه الآية
ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اى اعطيت مهورهن
والايتاء قد يكون بالاداء وقد يكون بالالتزام وما ملكت يمينك اى واحللنا لك ما ملكت يمينك من الاماء مما افاء الله عليك من
الغنائم والانفال فكانت من الغنائم مارية القبطية ام ابنه ابرهيم ومن الانفال صفية وجويرية اعتقهما وتزوجهما وبنات عمك
اى واحللنا لك بنات عمك وبنات عماتك يعني نساء قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نساء بني زهرة اللاتي هاجرن
معك الى المدينة وهذا انما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي اى واحللنا لك
امرأة مصدقة بتوحيد الله تعالى وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المؤمنة ان وهبت نفسها منك لا تحل لك ان اراد النبي ان يستنكحها
اى ان آثر النبي نكاحها ورغب فيها خالصة لك من دون المؤمنين اى خالصة لك دون غيرك قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لك
دون غيرك وهولك حلال وهذا من جملة خصائصه ص وآله في النكاح فكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة ولا ينعقد ذلك لاحد غيره
واختلف في انه هل كانت عند النبي ص وآله امرأة وهبت نفسها له ام لا فقيل انه لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له عن ابن عباس ومجاهد
وقيل بل كانت ميمونة بنت الحرث بلا مهر قد وهبت نفسها للنبي في رواية اخرى عن ابن عباس وقتادة وقيل هي زينب بنت خزيمة
ام المساكين امرأة من الانصار عن الشعبي وقيل هي امرأة من بني اسد يقال لها ام شريك بنت جابر عن علي بن الحسين ع والضحاك و
مقاتل وقيل هي خولة بنت حكيم عن عروة بن الزبير وقيل انها لما وهبت نفسها للنبي قالت عائشة ما بال النساء يبذلن انفسهن
بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشة ما ارى الله الا يسارع في هواك فقال ص وآله وانك ان اطعت الله سارع في هواك قد علمنا
ما فرضنا عليهم في ازواجهم معناه قد علمنا ما اخذنا على المؤمنين في ازواجهم من المهر والحصر بعدد مخصوص ووضعناه عنك
تخفيفا عنك وما ملكت ايمانهم وما اخذنا عليهم في ملك اليمين لان لا يقع لهم الملك الا بوجوه معلومة من الشرى والهبة والارث
والسبي واجبنا لك غير ذلك وهو الصفي الذي تصطفيه لنفسك من السبي وانما خصصناك على علم منا بالمصلحة من غير محاباة ولا جزاف
لكيلا يكون عليك حرج اى ليرتفع عنك الحرج وهو الضيق والاثم وكان الله غفورا للذنوب عباده رحيما بهم او رحيما بك في رفع الحرج عنك
قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا او تخفوه
فان الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر
الا الاعشى وعباس واهل المدينة ترجي بغير همز والباقون بالهمز وقرأ ابو عمرو ويعقوب لا تحل بالتاء والباقون بالياء وسهل
ابو حاتم بغير فيهما الحجة قال ابو علي جاء في هذا الحرف الهمز وغيره وكذلك ارجيت وارجأت فالقراءة بكل واحد من الامرين حسنة
والياء والتاء في لا تحل حسنان لان النساء تانيثه ليس بحقيقي انما هو تانيث الجمع فالتانيث حسن والتذكير كذلك اللغة
الارجاء هو التاخير ويكون من تبعيد وقت الشيء عن وقت الشيء غيره ومنه الارجاء في فساق اهل الصلوة وهو تاخير حكمهم بالعقاب

الى الله والايواء ضم القادر غيره من الاحياء الذين هم من جنس ما يعقل الى ناحيه يقال آويت الانسان آويه ايواء واوى
هو ياوى اويا اذا انضم الى ما ثير ويقال آنى الطعام يأنى انا مقصورا اذا بلغ حالة النضج وادركه واذا فتح مد فقيل اناء قال الحطيه
وآنيت العشاء اذا سهيل او الشعرى فطال بى الاناء والاستيناس ضد الاستيحاش والانس ضد الوحشه الاعراب ذلك ادنى ان تقر
تقديره من ان تقر والى ان تقر اعينهن كلهن تاكيد للضمير وهو النون فى يرضين ولو نصب جاز على تاكيد قوله هن فى آتيتهن غير ناظرين
منصوب على الحال ولا مستانسين معطوف عليه فهو حال معطوف على حال قبله تقديره ولا تدخلوا مستانسين لحديث آخر
النزول نزلت الآية الاولى حين غار بعض امهات المومنين على النبى صم وآله وطلب بعضهن زيادة النفقه فهجرهن شهرا حتى نزلت
آية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن بين الدنيا والآخرة وان يخلى سبيل من اختار الدنيا ويمسك من اختار الله ورسوله على انهن
امهات المؤمنين ولا ينكحن ابدا على انه يؤوى من يشاء ويرجى من يشاء منهن ويرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعضهن ولم
يقسم لبعضهن او فضل بعضهن على بعض فى النفقة والقسمة والعشرة او سوى بينهن والامر فى ذلك اليه يفعل ما يشاء وهذه من
خصائصه ع فرضين بذلك كله واخترنه على هذا الشرط فكان ع يسوى بينهن على هذا الا امرأة منهن اراد طلاقها وهى سودة بنت
زمعة فرضيت بترك القسم وجعلت يومها لعايشه عن ابن زيد وغيره وقيل لما نزلت آية التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول
اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت الآية فكان ممن ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة
وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان ممن آوى اليه عايشة وحفصه وام سلمة وزينب فكان يقسم بينهن على السوى
لا يفضل بعضهن على بعض عن ابن رزين ونزلت آية الحجاب لما بنى رسول الله صم وآله بزينب بنت جحش واولم عليها قال انس
اولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت اليه امى ام سليم بحيس فى تور من حجارة فامرنى رسول الله صم وآله ان ادعو اصحابه
الى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون ثم يجئ القوم فيأكلون ويخرجون قلت يا نبى الله قد دعوت
حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج وبقى ثلثه نفر يتحدثون فى البيت فاطالوا المكث فقام صم وآله وقمت
لكى يخرجوا فمشى حتى بلغ حجرة عايشه ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم جلوس مكانهم فنزلت الآية وروى
مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال وكان رسول الله صم وآله يريد ان يخلو له المنزل لانه كان حديث عهد بعرس وكان محبا
لزينب وكان يكره اذى المؤمنين وقيل كان رسول الله صم وآله يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشه وكانت
معهم فكره صم وآله ذلك فنزلت آية الحجاب عن مجاهد ونزل قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الى آخر الآية فى رجل من الصحابة قال
لئن قبض رسول الله صم وآله لانكحن عايشة بنت ابى بكر عن ابن عباس قال مقاتل هو طلحة بن عبيد الله وقيل ان رجلين قالا اينكح
محمد نساءنا ولا ننكح نساءه والله لئن مات لننكحن نساءه وكان احدهما يريد عايشه والآخر يريد ام سلمة عن ابى حمزة الثمالى
المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه صم وآله بخيره فى نسائه فقال ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء اى تؤخر وتبعد من
تشاء من ازواجك وتضم اليك من تشاء منهن واختلف فى معناه على اقوال احدها ان المراد تقدم من تشاء من نسائك فى الايواء
اليك وهو الدعاء الى الفراش وتؤخر من تشاء فى ذلك وتدخل من تشاء منهن فى القسم ولا تدخل من تشاء عن قتادة قال وكان عليه
يقسم بين ازواجه واباح الله له ترك ذلك وثانيها ان المراد تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد اليك من تشاء منهن بعد عزلك
اياها بلا تجديد عقد عن مجاهد والجبائى وابى مسلم وثالثها ان المراد تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء عن ابن عباس و
رابعها ان المراد ترك نكاح من تشاء منهن وتنكح منهن من تشاء عن الحسن وكان صم وآله اذا خطب امرأة لم يكن لغيره ان يخطبها
حتى يتركها او يتزوجها وخامسها تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن انفسهن لك وتؤويها اليك وتترك من تشاء منهن فلا
تقبلها عن زيد بن اسلم والطبرى قال ابو جعفر وابو عبد الله من ارجى لم ينكح ومن آوى فقد نكح ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح
عليك اى ان اردت ان تؤوى اليك امرأة ممن عزلتهن عن ذلك وتضمها فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب ولا اثم عليك فى
ابتغائها اباح الله سبحانه له ترك القسم فى النساء حتى يؤخر من يشاء عن وقت نوبتها ويطأ من يشاء فى غير وقت نوبتها وله ان

يعزل من يشآء وقوله ان يرد المعزولة ان شاء فضله الله تعالى بذلك على جميع الخلق ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ولا يرضين
بما اتيتهن كلهن معناه انهن اذا علمن ان له ردهن الى فراشه بعد ما اعتزلهن قرت اعينهن ولم يحزن وعلم يرضين بما يفعله النبي عليه من
التسوية والتفضيل لانهن يعلمن انه لم يطلقهن عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ذلك اطيب لنفوسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان تلك
الرخصة لك من الله تعالى ويرضين بما اعطيتهن من التسوية والتفضيل عن قتادة وقرة العين عبارة من السرور وقيل ذلك للمعرفة
منهن بانك اذا اعتزلت واحدة كان لك ان تؤديها بعد ذلك ادنى الى سرورهن وقرة اعينهن عن الجبائي وقيل معناه نزول الرخصة من الله تعالى
اقر لاعينهن وادنى الى رضاهن بذلك لعلمهن بما لهن في ذلك من الثواب في طاعة الله تعالى ولو كان ذلك من قبلك لحزن وحملن
ذلك على ميلك الى بعضهن والله يعلم ما في قلوبكم من الرضا والسخط والميل الى بعض النساء دون بعض وكان الله عليما بمصالح عباده
حليما في ترك معاجلتهم بالعقوبة لا يحل لك النساء من بعدي من النساء اللواتي احللناهن لك في قوله انا احللنا لك ازواجك
اللاتي آتيت اجورهن الآية وهي ستة اجناس النساء اللاتي اتيتهن اجورهن اي اعطاهن اجورهن وبنات عمه وبنات عماته
وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه ومن وهبت نفسها له يجمع ما شاء من العدد لا يحل له غيرهن من النساء عن ابي بن
كعب وعكرمة والضحاك وقيل يريد المحرمات في سورة النساء عن ابي عبد الله ع وقيل معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات
ولا ان تبدل بهن اي ولا ان تتبدل الكتابيات بالمسلمات لانه لا ينبغي ان يكن امهات المؤمنين الا ما ملكت يمينك فاحل له ان يتسراهن
عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله وهن التسع صرت
مقصورا عليهن وممنوعا من غيرهن ولا ان تستبدل بهن غيرهن ولو اعجبك حسنهن اي وقع في قلبك حسنهن مكافاة لهن
على اختيارهن الله ورسوله عن الحسن والشعبي وقيل ان التي اعجبه صلى الله عليه وآله حسنها اسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن ابي طالب
عنها وقيل انه منع من طلاق من اختارته من نسائه كما امر بطلاق من لم تختره فاما تحريم النكاح عليه فلا عن الضحاك وقيل
ايضا ان هذه الآية منسوخة وابيح له بعدها تزويج ما شاء فروي عن عائشة انها قالت ما فارق رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا حتى
حلل له من النساء ما اراد وقوله ولا ان تبدل بهن من ازواج فقيل ايضا في معناه ان العرب كانت تعطي احدهم زوجته
رجلا فيأخذ بها زوجته منه بدلا عنها فنهى عن ذلك وقيل في قوله ولو اعجبك حسنهن يعني ان اعجبك حسن ما حرم عليك
من جملتهن ولم يحللن لك وهو المروي عن ابي عبد الله ع وكان الله على كل شيء رقيبا اي عالما حافظا عن الحسن وقتادة
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه نهاهم سبحانه عن دخول دار النبي صلى الله عليه وآله بغير
اذنه وهو قوله الا ان يؤذن لكم اي في الدخول يعني الا ان يدعوكم الى طعام فادخلوا غير ناظرين اناه اي غير منتظرين ادراك
الطعام فيطول مقامكم في منزله والمعنى لا تدخلوها بغير اذنه قبل نضج الطعام انتظار النضجه فيطول لبثكم ومقامكم ولكن اذا دعيتم
فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا اي فاذا اكلتم الطعام فتفرقوا واخرجوا ولا مستأنسين لحديث اي ولا تدخلوا فتقعدوا بعد
الاكل متحدثين يحدث بعضكم بعضا ليؤنسه به ثم بين المعنى في ذلك فقال ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اي طول
مقامكم في منزل النبي صلى الله عليه وآله يؤذيه لضيق منزله ويمنعه الحياء ان يأمركم بالخروج من المنزل والله لا يستحيي من الحق اي لا يترك
ابانة الحق فيأمركم بتعظيم رسوله وترك دخول بيته من غير اذنه والامتناع عما يؤدي الى اذاه وكراهته قال ابو عايشة حسب
الثقلاء ان الله سبحانه لم يحتملهم فقال اذا طعمتم فانتشروا وقال بعض العلماء هذا ادب ادب الله به الثقلاء واذا سألتموهن
متاعا فسئلوهن من وراء حجاب يعني اذا سألتم ازواج النبي صلى الله عليه وآله شيئا تحتاجون اليه فسئلوهن من وراء ستر قال مقاتل
امر الله المؤمنين ان لا يكلموا نساء النبي صلى الله عليه وآله الا من وراء حجاب وروى مجاهد عن عايشة قالت كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وآله حيسا
في قعب فمر بنا عمر فدعاه فاكل فاصابت اصبعه اصبعي فقال حس لو اطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب ذلكم اي سؤالكم اياهن
المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الريبة ومن خواطر الشيطان التي تدعو الى ميل الرجال الى النساء والنساء الى
الرجال وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اي ليس لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وآله بمخالفة ما امر في نسائه ولا في شيء من الاشياء ولا ان

٢٠٨

حزب ٢٢ اجزو

ع

عشر

تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اى من بعد وفاته المعنى ولا يحل لكم ان تتزوجوا واحدة من نسائه بعد مماته كما لا يحل لكم ان
تؤذوه فى حال حيوته وقيل من بعده اى من بعد فراقه فى حيوته كما قال بئسما خلفتمونى من بعدى ان ذلكم كان عند الله عظيما
من الظواهر والسراير فهذا تهديد وروى عن حذيفة انه قال لامرأته ان سرك ان تكونى زوجتى فى الجنة فلا تزوجى بعدى فان
المرأة لآخر ازواجها فلذلك حرم الله على ازواج النبى صلى الله عليه وآله ان يتزوجن بعده وروى ان النبى صلى الله عليه وآله سئل عن المرأة يكون لها زوجان
فتموت فتدخل الجنة لايهما تكون قال لاحسنهما خلقا كانت معه فى دار الدنيا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ولما نزلت
آية الحجاب قال الآباء والابناء لرسول الله صلى الله عليه وآله ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله قوله لا جناح عليهن فى آبائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ان يرينهن ولا يحتجبن عنهم ولا نسائهن قيل يريد نساء المؤمنين
لا نساء اليهود والنصارى فيصفن نساء رسول الله صلى الله عليه وآله لازواجهن ان رأينهن عن ابن عباس وقيل يريد جميع النساء ولا
ما ملكت ايمانهن يعنى العبيد والاماء واتقين الله اى اتركن معاصيه وقيل اتقين عقاب الله من دخول الاجانب عليكن
ان الله كان على كل شىء شهيدا اى حفيظا لا يغيب عنه شىء قال الشعبى وعكرمة وانما لم يذكر العم والخال لئلا ينعتاهن لابنائهما
قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا
واثما مبينا يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين
وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا سبع آيات
القراءة فى الشواذ قراءة الحسن فصلوا عليه الحجة انما جاز دخول الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط وذلك ان الصلوة
انما وجبت عليه منا لان الله قد صلى عليه وملائكته فجرى مجرى قول القائل قد اعطيتك فخذ فى انما وجب عليك الاخذ من
اجل العطية اللغة الجلباب خمار المرأة الذى يغطى راسها ووجهها اذا خرجت لحاجة والارجاف اشاعة الباطل للاغتمام
به واصله الاضطراب ومنه يقال للبحر رجاف لاضطرابه فارجاف الناس بالشىء اضطرابهم بالخوض فيه ومنه ترجف
الراجفة والاغراء الدعاء الى تناول الشىء بالتحريض عليه يقال اغراه بالشىء اغراء فغرى به اى اولع به الاعراب يدنين فى موضع جزم
بانه جواب شرط مقدر وتقديره قل لازواجك ادنين عليكن من جلابيبكن فانك ان تقل ذلك يدنين ملعونين نصب على الذم
اينما ثقفوا اخذوا شرط وجزاء واين ظرف لثقفوا ومعمول له وانما جاز ذلك لان الجازم فى الاصل ان المحذوف وصار اينما يتضمنها
فتغنى عنها وتقوم مقامها ولا يجوز ان يعمل فيه اخذوا لانه جواب الشرط ولا يعمل الجواب فيما قبل الشرط المعنى لما صدر سبحانه
هذه الصورة بذكر النبى صلى الله عليه وآله وقرن فى اثناء السورة ذكر تعظيمه ختم ذلك بالتعظيم الذى ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه فقال
ان الله وملائكته يصلون على النبى معناه ان الله يصلى على النبى ويثنى عليه بالثناء الجميل ويبجله باعظم التبجيل وملائكته
يصلون عليه ويثنون عليه باحسن الثناء ويدعون له بازكى الدعاء يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو حمزة
الثمالى حدثنى السدى وابو سعيد الانصارى ويزيد بن ابى زياد عن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية
قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وآل
ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد حدث عن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم
على النبى صلى الله عليه وآله فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك و
بركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه به الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد ش عن ابى بصير قال
سالت ابا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقلت كيف صلوة الله على رسوله فقال يا ابا محمد تزكيته فى السموات العلى فقلت قد عرفت صلوتنا

عليه فكيف التسليم فقال هو التسليم له فى الامور فعلى هذا يكون معنى قوله وسلموا تسليما انقاد والاوامره وابذلوا الجهد فى طاعته
اى قولوا السلم عليك يا رسول الله ص وعن انس بن مالك عن ابى طلحة قال دخلت على النبى صه وآله فلم اره اشد استبشارا منه يومئذ
ولا اطيب نفسا قلت يا رسول الله ما رايتك قط اطيب نفسا ولا اشد استبشارا منك اليوم فقال وما يمنعنى وخرج انفا جبرائيل من
عندى قال قال الله تعالى من صلى عليك صلوة صليت بها عليه عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيات وكتبت له عشر حسنات
ان الذين يؤذون الله ورسوله قيل هم الكافرون والمنافقون والذين وصفوا الله بما لا يليق به وكذبوا رسوله وكذبوا عليه فعلى
هذا يكون معنى يؤذون يخالفون امره ويصفونه بما هو منزه عنه ويشبهونه بغيره فان الله عز اسمه لا يلحقه اذى ولكن لما كانت
مخالفة الامر فيما بيننا يسمى اذى خوطبنا بما نتعارفه وقيل يؤذون الله يلحدون فى اسمائه وصفاته وقيل معناه يؤذون رسول الله
فقدم ذكر الله على وجه التعظيم اذ جعل اذى رسوله اذى له تشريفا له وتكريما فكانه يقول لو جاز ان ينالنى اذى من شئ لكان ينالنى من هذا
واتصاله برما قبله انه كانه يقول صلوا عليه ولا تؤذوه فان من اذاه فهو كافر ثم اوعد عليه بقوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة اى يبعدهم الله
من رحمته ويحل بهم وبال نقمته بحرمان زيادات الهدى فى الدنيا والخلود فى النار فى الآخرة واعد لهم فى الآخرة عذابا مهينا اى مذلا لهم
حدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القسم الحسكانى قال حدثنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ قال حدثنا احمد بن محمد بن ابى دارم الحافظ
قال حدثنا على بن احمد العجلى قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا ارطاة بن حبيب قال حدثنى ابو خالد الواسطى وهو آخذ بشعره
قال حدثنى زيد بن على بن الحسين وهو آخذ بشعره قال حدثنى رسول الله صه وآله وهو آخذ بشعره فقال من اذى شعرة منك فقد اذانى
ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله فعليه لعنة الله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اى يؤذونهم بغير ان عملوا
ما يوجب اذاهم فقد احتملوا بهتانا اى فقد فعلوا ما هو فى عظم الاثم مع البهتان وهو الكذب على الغير يواجهه به فجعل ايذاء المؤمنين
والمؤمنات مثل البهتان وقيل يعنى بذلك اذية اللسان فيتحقق فيها البهتان واثما مبينا اى ومعصية ظاهرة قال قتادة والحسن اياكم و
اذى المؤمنين فان الله تعالى يغضب له وقيل نزلت فى قوم من الزناة كانوا يمشون فى الطرقات ليلا فاذا راوا امراة غمزوها وكانوا يطلبون
الاماء عن الضحاك والسدى والكلبى ثم خاطب النبى صه وآله فقال يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن
من جلابيبهن اى قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب وهى الملاءة التى تشتمل بها المراة عن الحسن وقيل الجلباب مقنعة المراة اى
يغطين جباههن ورؤسهن اذا خرجن لحاجة بخلاف الاماء اللاتى يخرجن مكشفات الرؤس والجباه عن ابن عباس ومجاهد وقيل
اراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار وما تتستر به المراة عن الجبائى وابى مسلم ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اى ذلك اقرب
الى ان يعرفن بسترهن انهن حرائر ولسن باماء فلا يؤذيهن اهل الريبة فانهم كانوا يمازحون الاماء وربما كان يتجاوز المنافق
الى ممازحة الحرائر فاذا قيل لهم فى ذلك قالوا حسبناهن اماء فقطع الله عذرهم وقيل معناه ذلك ادنى الى ان يعرفن بالستر والصلاح
ولم يتعرض لهن عن الجبائى وكان الله غفورا رحيما اى ستارا للذنوب عباده رحيما بهم ثم اوعد سبحانه هؤلاء الفساق فقال لئن لم
ينته المنافقون اى لئن لم يمتنع المنافقون والذين فى قلوبهم مرض اى فجور وضعف عن الايمان وهم الذين لا دين لهم عما
ذكرناه من مراودة النساء وايذائهن والمرجفون فى المدينة وهم المنافقون ايضا الذين كانوا يرجفون بالاخبار الكاذبة المضعفة لقلوب
المؤمنين بان يقولوا اجتمع المشركون فى موضع كذا قاصدين لحرب المسلمين ونحو ذلك ويقولون لسرايا المسلمين انهم قتلوا
وهزموا وفى الكلام حذف وتقديره لئن لم ينته هؤلاء عن اذى المسلمين وعن الارجاف بما يشغل قلوبهم لنغرينك بهم اى لنسلطنك عليهم
يا محمد عن ابن عباس والمعنى امرناك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة وقد حصل الاغراء بهم بقوله جاهد الكفار والمنافقين عن
ابى مسلم وقيل لم يحصل الاغراء بهم لانهم انتهوا عن الجبائى قال ولو حصل الاغراء لقتلوا وشردوا واخرجوا عن المدينة ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا اى ثم لا يساكنونك فى المدينة الا يسيرا وهو ما بين الامر بالقتل وبين قتلهم ملعونين اى مطرودين منفيين عن
المدينة مبعدين عن الرحمة وقيل ملعونين على السنة المؤمنين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا اى اينما وجدوا وظفر بهم اخذوا و
قتلوا ابلغ القتل سنة الله فى الذين خلوا من قبل والسنة الطريقة فى تدبير الحكم وسنة رسول الله صه وآله طريقته التى اجراها بامر الله تعم

فاصفت

فاضيفت اليه ولا يقال سنه اذا فعلها مرة او مرتين لان السنة الطريقة الجارية والمعنى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء
ويرجفون بهم ان يقتلوا حيثما ثقفوا عن الزجاج ولن تجد لسنة الله تبديلا اى تحويلا وتغييرا اى لا ينبغى لاحد تغييرها ولا
قلبها عن جهتها لانه سبحانه القادر الذى لا يتهيأ لاحد منعه مما اراد فعله قوله تعالى يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها
عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا
ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه
الله مما قالوا وكان عند الله وجيها سبع آيات القراءة قرا ابن عامر ويعقوب وسهل ساداتنا بالالف وكسر التاء والباقون سادتنا بغير
الف وقرا عاصم كبيرا بالباء والباقون كثيرا بالثاء وفى الشواذ قراءة عيسى بن عمر يوم تقلب وجوههم وقراءة ابن مسعود والاعمش
وكان عبد الله وجيها الحجة قال ابو على سادة فعلة مثل كتبة وفجرة قال سليل قرم سادة مثل زادة يبدون اهل الجمع يوم المحصب
ووجه الجمع بالالف والتاء انهم قد قالوا الطرقات والمعنات فى جمع معن وقال الاعشى جندك التالد الطريف من السادات
اهل القباب والآكال قال ابو الحسن هى عربية والكبر مثل العظم والكثرة اشبه بالموضع لانهم يلعنون مرة بعد مرة وقد جاء
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فالكثرة اشبه بالمرار المتكررة من الكبر وقوله يوم تقلب وجوههم تقديره يوم تقلب السعير وجوههم
نسب الفعل الى النار لما كان التقليب فيها كما قال بل مكر الليل والنهار لوقوع المكر فيهما وعليه قول رؤبة فنام ليلى وتجلى همى وقوله عبد الله
لا نفهم منه وجاهته عند الله فقراءة الناس المشهورة اقوى منه لاسناده وجاهته الى الله سبحانه المعنى ثم قال سبحانه يسئلك يا محمد الناس
عن الساعة يعنى القيمة قل انما علمها عند الله لا يعلمها غيره وما يدريك يا محمد اى اى شىء يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اى انت
لا تعرفه ثم قال لعل الساعة تكون قريبا اى قريبا مجيئها ويجوز ان يكون امره ان يجيب كل من يسئله عن الساعة بهذا فيقول لعل
ما تستبطيه قريب وما تنكره كائن ويجوز ان يكون تسلية له اى فاعلم انه قريب فلا يضيق صدرك باستهزائهم باخفائها ان الله
لعن الكافرين واعد لهم سعيرا اى نارا تستعر وتلتهب خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ينصرهم ولا نصيرا يدفع عنهم يوم تقلب وجوههم
فى النار العامل فى يوم تقلب قوله واعد لهم سعيرا والتقليب تصريف الشىء فى الجهات ومعناه تقلب وجوه هؤلاء السائلين عن
الساعة واشباههم من الكفار فتسود وتصفر وتصير كالحة بعد ان لم تكن وقيل معناه تنقل وجوههم من جهة الى جهة فى النار فيكون
ابلغ مما يصل اليها من العذاب يقولون متمنين متاسفين يا ليتنا اطعنا الله فيما امرنا به ونهانا عنه واطعنا الرسولا فيما دعانا اليه وقالوا
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا والسيد المالك المعظم الذى يملك تدبير السواد الاعظم وهو الجمع الاكثر قال مقاتل هم المطعمون فى غزوة
بدر وقال طاوس هم العلماء والوجه ان المراد جميع قادة الكفر وائمة الضلال فاضلونا السبيلا اى اضلنا هؤلاء عن سبيل الحق
وطريق الرشاد ربنا آتهم ضعفين من العذاب بضلالهم فى نفوسهم واضلالهم ايانا اى عذبهم مثلى ما تعذب غيرهم والعنهم
لعنا كثيرا مرة بعد اخرى وزدهم غضبا الى غضبك وسخطا الى سخطك ثم خاطب سبحانه المظهرين للايمان فقال يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا اى لا تؤذوا محمدا صلى الله عليه وآله كما آذى بنوا اسرائيل موسى فان حق النبى ان يعظم و
يبجل لا ان يؤذى واختلفوا فيما اوذى به موسى على اقوال احدها ان موسى وهرون صعدا الجبل فمات هرون فقالت بنوا اسرائيل
انت قتلته فامر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا انه قد مات وبرأه الله من ذلك
عن على عليه السلام وابن عباس واختاره الجبائى وثانيها ان موسى عليه السلام كان حييا ستيرا يغتسل وحده فقالوا ما يتستر منا الا لعيب فى جلده اما برص
او ادرة فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى عليه السلام فرآه بنوا اسرائيل عريانا كاحسن الرجال خلقا فبرأه الله
مما قالوا رواه ابو هريرة مرفوعا وقال قوم ان ذلك لا يجوز لان فيه اشهار النبى صلى الله عليه وآله وابداء سوءته على رؤس الاشهاد وذلك ينفر عنه
وثالثها ان قارون استاجر مومسة لتقذف موسى عليه السلام بنفسها على رؤس الملا فعصمه الله من ذلك على ما مر ذكره عن ابى العالية ورابعها
انهم آذوه حيث نسبوه الى السحر والجنون والكذب بعد ما راوا الآيات عن ابى مسلم وكان عند الله وجيها اى عظيم القدر رفيع

المنزلة يقال وجه وجاهة فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان عند الله حظيا لا يسأله شيئا الا اعطاه قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما اربع آيات المعنى ثم امر سبحانه اهل الايمان والتوحيد
بالتقوى والقول السديد فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى اتقوا عقاب الله باجتناب معاصيه وفعل واجباته وقولوا قولا سديدا
اى صوابا بريا من الفساد خالصا من شائب الكذب واللغو موافق الظاهر للباطن وقال الحسن وعكرمة صادقا يعنى كلمة التوحيد
لا اله الا الله وقال مقاتل هذا يتصل بالنهى عن الايذاء اى قولوا قولا صوابا ولا تنسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله الى ما لا يحل ولا يليق به يصلح
لكم اعمالكم معناه ان فعلتم ذلك يصلح لكم اعمالكم بان يلطف لكم فيها حتى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد ويوفقكم
لما فيه الصلاح والرشاد وقيل معناه يزك اعمالكم ويتقبل حسناتكم عن ابن عباس ومقاتل ويغفر لكم ذنوبكم باستقامتكم فى الاقوال
والافعال ومن يطع الله ورسوله فى الاوامر والنواهى فقد فاز فوزا عظيما اى فقد افلح فلاحا عظيما وقيل فقد ظفر برضوان الله و
كرامته انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال اختلف فى معنى الامانة فقيل هى ما امر الله تعالى به من طاعته ونهى عنه
من معصيته عن ابى العالية وقيل هى الفرائض والاحكام التى اوجبها الله على العباد عن ابن عباس ومجاهد وهذان القولان متقاربان وقيل
هى امانات الناس والوفاء بالعهود واولها ايتمان آدم عليه السلام ابنه قابيل على اهله وولده حين اراد التوجه الى مكة عن امر ربه فخان قابيل
اذ قتل هابيل عن السدى والضحاك واختلف فى معنى عرض الامانة على هذه الاشياء وقيل فيه اقوال احدها ان المراد العرض على اهلها
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعرضها عليهم هو تعريفه اياهم ان فى تضييع الامانة الاثم العظيم وكذلك فى ترك اوامر الله
واحكامه فبين سبحانه جرأة الانسان على المعاصى واشفاق الملائكة من ذلك فيكون المعنى عرضنا الامانة على اهل السموات و
الارض والجبال من الملائكة والانس والجن فابين ان يحملنها اى فابى اهلهن ان يحملوا تركها وعقابها والمأثم فيها واشفقن منها
اى واشفقن اهلهن من حملها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا لنفسه بارتكاب المعاصى جهولا بموضع الامانة فى استحقاق
العقاب على الخيانة فيها عن ابى على الجبائى وقال اذا لم يصح حمله على نفس السموات والارض والجبال فلا بد ان يكون المراد به اهلها
لانه يجب ان يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لان ذلك لا يصح الا فيهم ولا بد ان يكون المراد بحمل الامانة تضييعها لان نفس الامانة
قد حملتها الملائكة وقامت بها قال الزجاج كل من خان الامانة فقد حملها ومن لم يحمل الامانة فقد اداها وكذلك كل من اثم فقد
احتمل الاثم قال الله سبحانه وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فقد اعلم سبحانه ان من باء بالاثم يسمى حاملا للاثم وهو قول الحسن
لانه قال الكافر والمنافق حملا الامانة اى خاناها ولم يطيعا وانشد بعضهم فى حمل الامانة بمعنى الخيانة قول الشاعر اذا انت لم تبرح تؤدى
امانة وتحمل اخرى افدحتك الودايع واقول ان الظاهر لا يدل على ذلك لانه يجوز ان يكون المراد بالحمل هنا قبول الامانة لان الشاعر
جعله فى مقابلة الاداء لانه قال اذا كنت لا تزال تقبل امانة وتؤدى اخرى شغلت زمانك بقبول الودايع وادائها فاثقلتك وثانيها
ان معنى عرضنا عارضنا وقابلنا فان عرض الشئ على الشئ ومعارضته به هو اداء الامانة ما عهد الله سبحانه الى عباده من امره و
نهيه وانزل فيه الكتب وارسل الرسل واخذ عليه الميثاق والمعنى ان هذه الامانة فى جلالة موقعها وعظم شأنها لو قيست بالسموات
والارض والجبال وعورضت بها لكانت هذه الامانة ارجح واثقل وزنا ومعنى قوله فابين ان يحملنها ضعفن عن حملها كذلك
واشفقن منها لان الشفقة ضعف القلب ولذلك صار كناية عن الخوف الذى يضعف عنده القلب ثم قال ان هذه الآية التى
من صفتها انها اعظم هذه الاشياء العظيمة تقلدها الانسان فلم يحفظها بل حملها وضيعها الظلمه على نفسه ولجهله بمبلغ
الثواب والعقاب عن ابى مسلم وثالثها انه على وجه التقدير الا انه اجرى عليه لفظ الواقع لان الواقع ابلغ من المقدر
ومعناه لو كانت السموات والارض والجبال عاقلة ثم عرضت عليها الامانة وهى وظايف الدين اصولا وفروعا وما ذكرناه من الاقاويل
فيها بما فيها من الوعد والوعيد عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر اجسامها وشدتها وقوتها ولامتنعت من حملها خوفا من القصور

عن

عن اداء حقها ثم حملها الانسان مع ضعف جسمه ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله وعلى هذا ما روى عن ابن عباس انها عرضت على
نفس السموات والارض فامتنعت من حملها والثانيها ان معنى العرض والاباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام بل المراد تعظيم شان
الامانة لا مخاطبة الجماد والعرب تقول سالت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب وانما هو اخبار عن الحال عبر عنه بذكر الجواب
والسؤال ويقول اتى فلان بكذب لا تحمله الجبال وقال سبحانه فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وخطاب من
لا يفهم لا يصح وقال الشاعر فاجهشت للتوباد حين رايته وكبر للرحمن حين رآنى والتوباد اسم جبل فقلت له اين الذين عهدتهم بجنبك
في خفض وطيب زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان وقال آخر فقال لى الجراذ جبته وكيف
يحسب ضربا ضربا فالامانة على هذا ما اودع الله السموات والارض والجبال من الدلائل على وحدانيته وربوبيته فاظهرتها والانسان
الكافر كتمها وجحدها لظلمه وجهله وبالله التوفيق ولم يرد بقوله الانسان جميع الناس بل هو مثل قوله ان الانسان لفي خسر وان
الانسان لربه لكنود فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه والانبياء والاولياء والمؤمنون عن عموم هذا اللفظ خارجون ولا يجوز ان يكون
الانسان محمولا على آدم ع لقوله ان الله اصطفى آدم فكيف يكون من اصطفاه الله من جميع خلقه موصوفا بالظلم والجهل ثم بين
سبحانه الغرض الصحيح والحكمة البالغة في عرضه هذه الامانة فقال ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركات يعني بتضييع
الامانة قال الحسن هما اللذان حملاها ظلما وجهلا ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بحفظهم الامانة ووفائهم بها وهذا هو الغرض
بالتكليف عند من عرف المكلف والمكلف والمعنى انا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان
المؤمن فيتوب الله عليه ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات وكان الله غفورا اي ستار الذنوب المؤمنين رحيما بهم

مكية عدد آيها خمس وخمسون آية شامي اربع في الباقين اختلافها آية عن يمين وشمال شامي فضلها ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا وروى ابن اذينه
عن ابي عبد الله ع قال من قرأ الحمدين جميعا سبأ وفاطر في ليلة لم يزل ليلته في حفظ الله وكلائته فان قراهما في نهاره لم يصبه
في نهاره مكروه واعطى من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه تفسيرها لما ختم الله سورة الاحزاب ببيان الغرض
في التكليف وانه سبحانه يجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته افتتح هذه السورة بالحمد على نعمته وكمال قدرته قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم خمس آيات القراءة
قرأ اهل المدينة والشام عالم الغيب بالرفع وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب بالجر واللام قبل الالف والباقون عالم الغيب
بالجر وقرأ ابن كثير وحفص ويعقوب من رجز اليم وفي الجاثية ايضا بالرفع والباقون بالجر الحجة قال ابو علي الجر على قوله الحمد لله عالم
الغيب وقال غيره عالم الغيب بالجر صفة لقوله وربي او بدل منه فاما الرفع فيجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالم
الغيب ويجوز ان يكون ابتداء وخبره لا يعزب وعلام ابلغ من عالم والرجز العذاب بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز فانزلنا على الذين
ظلموا رجزا من السماء واذا كان العذاب يوصف باليم كان نفس العذاب جاز ان يوصف به وجر في اليم ابين لانه اذا كان عذاب
من عذاب اليم كان العذاب الاول اليما واذا اجري الاليم على العذاب كان المعنى عذاب اليم من عذاب فالاول اكثر فائدة اللغة
الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ونقيضه الذم وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم فمنه ما هو اعلى ومنه
ما هو ادنى والاعلى ما يقع على وجه العبادة ولا يستحقها الا الله سبحانه لان احسان الله عز اسمه لا يوازيه احسان احد من المخلوقين
ويستحق الحمد على الاحسان والانعام فلا يستحق احد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه والولوج الدخول والعروج الصعود
المعارج الدرج من هذا وعزب يعزب ويعزب اذا بعد وفي الحديث من قرأ القرآن في اربعين ليلة فقد عزب اي بعد عهده بما

حسن

بما ابتداء منه ولمبطال تلاوته الاعراب ليجزى الذين آمنوا يتعلق بقوله لا يعزب المعنى الحمد لله معناه قولوا الحمد لله وهو تعريف لوجوب
الشكر على نعم الله سبحانه وتعليم الكيفية الشكر الذى له ما فى السموات وما فى الارض اى الذى يملك التصرف فى جميع ما فى السموات وجميع
ما فى الارض ليس لاحد الاعتراض عليه ولا منعه وله الحمد فى الآخرة اى هو المستحق للحمد على افعاله الحسنى فى الدارين لكونه منعما فيهما
والآخرة وان كانت ليست بدار تكليف فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تع بل العباد ملجئون الى ذلك لمعرفتهم الضرورية بنعم الله
عليهم من الثواب والعوض وضروب التفضيل ومن حمد اهل الجنة قولهم الحمد لله الذى هدينا لهذا والحمد لله الذى صدقنا وعده وقيل انما
يحمده اهل الجنة لا على جهة التعبد ولكن على جهة السرور والتلذذ بالحمد ولا يكون عليهم فيه تعب ولا مشقة وقيل يحمده اهل الجنة
على نعمه وفضله ويحمده اهل النار على عدله وهو الحكيم فى جميع افعاله لانها كلها واقعة على وجه الحكمة الخبير بجميع المعلومات يعلم ما
يلج فى الارض اى ما يدخل فيها من مطر او كنز او ميت وما يخرج منها من زرع ونبات او جوهر او حيوان وما ينزل من السماء من مطر او
رزق او ملك وما يعرج فيها اى يصعد فيها من الملائكة واعمال العباد فهو يجرى جميع ذلك على تقدير تقتضيه الحكمة وتدبير توجبه
المصلحة وهو الرحيم بعباده مع علمه بما يعملون من المعاصى فلا يعاجلهم بالعقوبة ويمهلهم للتوبة الغفور اى الساتر عليهم
ذنوبهم فى الدنيا المتجاوز عنها فى العقبى كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال الذين كفروا يعنى منكرى البعث والنشور
لا تأتينا الساعة اى القيمة قل لهم يا محمد بلى وربى اى وحق الله ربى الذى خلقنى واوجدنى لتأتينكم القيمة عالم الغيب
يعلم كل شئ يغيب عن العباد علمه لا يعزب عنه اى لا يفوته مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض بل هو عالم بجميع ذلك ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين يعنى اللوح المحفوظ وقد مضى هذا مفسر فى سورة يونس كذب الله سبحانه فى هذه الآية
الكفار الجاحدة للبعث وبين ان القيمة آتية كائنة لا محالة وامر رسوله ع بان يحلف على ذلك تاكيدا له ثم مدح نفسه بانه يعلم
ما غاب عن العباد علمه مما هو كائن وسيكون ولم يوجد بعد ثم قال ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى انما اثبت ذلك فى الكتاب
المبين ليكافيهم بما يستحقونه من الثواب على صالح اعمالهم اولئك لهم مغفرة لذنوبهم وستر لها ولهم مع ذلك رزق كريم اى هنئ
لا ينغص فيه ولا تكدير وقيل هو الجنة عن قتادة والذين سعوا فى آياتنا معاجزين مسابقين ومعجزين مثبطين وقد مضى تفسير
هذه الآية فى سورة الحج اولئك لهم عذاب من رجز اى سيئ العذاب عن قتادة اليم اى مؤلم النظم وجه اتصال قوله عالم الغيب بما
قبله انه سبحانه لما حكى عن المشركين ما يضاد الاقرار له بالربوبية والاعتراف بالنعمة من انكار القيمة ذكر بعده ان من يعلم افعال العباد
وما يستحقونه من الجزاء لو لم يجعل دار اخرى يجازى فيها المحسن على احسانه والمسئ على اساءته وينتصف للمظلوم من الظالم كان
ذلك خروجا عن موجب الحكمة قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط
العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل
الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب اربع آيات القراءة
قرأ حمزة والكسائى وخلف ان يشاء يخسف بهم او يسقط بالياء فى الجميع والباقون كل ذلك بالنون وادغم الكسائى وحده الفاء
فى الباء فى نخسف بهم الحجة قال ابو على حجة النون قوله ولقد آتينا داود فالنون اشبه بآتينا وحجة الياء قوله افترى على الله كذبا
فحمل على اسم الله قال وادغام الفاء فى الباء لا يجوز لان الفاء فى باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا وانحدر الصوت
به الى الفم حتى اتصل بمخرج الثاء حتى جاء مثل الجدث والجدف والمغافير والمغاثير فتعاقبا للمقاربة بينهما فلما اتصلت بمخرج الثاء
صارت بمنزلة حرف من تلك الحروف فلم يجز ادغامها فى الباء لانه اذا اتصل بما ذكرنا صار بمنزلة حرف من ذلك الموضع فكما ان ذلك
الحرف الذى اتصل بالفاء لا يدغم فى الباء كذلك الفاء لا تدغم فى الباء وكذلك لا يجوز ان يدغم الفاء فى الباء لزيادة صوتها المتصل بحرف
من حروف الفم الاعراب ويرى يحتمل ان يكون منصوبا عطفا على ليجزى ويحتمل ان يكون مرفوعا على الاستيناف والذى انزل اليك فى
موضع نصب لانه مفعول يرى وهو فصل وهو الحق مفعول ثان ليرى وقوله اذا مزقتم قال الزجاج اذا فى موضع نصب بمزقتم ولا يجوز

نصف الحزب

٢١١

ان يعمل فيها جديد لان ما بعد ان لا تعمل فيما قبلها والتقدير هل ندلكم على رجل يقول لكم اذا مزقتم تبعثون ويكون اذا منزلة ان الجزاء تعمل
فيها الذي يليها قال قيس بن الخطيم اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب والمعنى يكون وصلها والدليل عليه
جزم فنضارب ويجوز ان يكون العامل في اذا مضمرا يدل عليه انكم لفي خلق جديد ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يقول لكم اذا مزقتم
بعثتم قال ابو علي ان جعل موضع اذا نصبا بمزقتم لزمك ان يحكم على موضعه بالجزم لان هذه اذا لا يجوز ان تنتصب به حتى يقدر
جزم الفعل الذي هو الشرط بها والجزم بها لا يسوغ ان يحمل عليه الكتاب لان ذلك انما يكون في ضرورة الشعر فان حمل موضع اذا على
النصب والفعل غير مقدر في موضعه الجزم لم يجز لانها اذا لم يجازيها اضيفت الى الفعل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا فيما قبله وموضع
الفعل الواقع بعد اذا خفض فكما لم يجز زيدا غلام ضارب عندك تريد غلام ضارب زيدا عندك فكذلك لا يجوز ان يكون موضع اذا نصبا
بمزقتم فالتقدير ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق بعثتم او نشرتم وما اشبه ذلك من الافعال التي يكون قوله انكم لفي خلق جديد دالا عليه ومفسرا
له ولان قد يحذف الفعل قبل اذا كان سائغا فيكون التقدير ينبئكم فيقول لكم تبعثون اذا مزقتم كل ممزق ويكون جواب اذا على هذا
التقدير مضمرا كانه تبعثون اذا مزقتم كل ممزق بعثتم فيستغني اذا عن اظهار الجواب اذا تقدمها ما يدل عليه نحو انت ظالم ان فعلت
وكذلك يحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه اذا وقع بعد كلام غير واجب نحو الامر والاستفهام وما اشبه ذلك فافهم ذلك فانه فصل
جليل الموقع في الفوائد خرجته من كلام ابي علي افترى اصله ءافترى دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فاسقطتها المعنى ثم ذكر
سبحانه المؤمنين واعترافهم بما جحده من تقدم ذكرهم من الكافرين فقال ويرى الذين اوتوا العلم اي ويعلم الذين اعطوا المعرفة
بوحدانية الله وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وآله عن قتادة وقيل هم المؤمنون من اهل الكتاب عن الضحاك وقيل هم كل من اوتوا العلم
بالدين وهذا اولى لعمومه الذي انزل اليك من ربك يعني القرآن هو الحق اي يعلمونه الحق لانهم يتدبرونه ويتفكرون فيه
فيعلمون بالنظر والاستدلال انه ليس من قبيل البشر فهؤلاء لطف الله سبحانه لهم بما ادّاهم الى العلم فكانه سبحانه قد آتاهم العلم
وقوله ويهدي اي ويعلمون انه يهدي يعني القرآن ويرشد الى صراط العزيز الحميد اي دين القادر الذي لا يغالب المحمود على
جميع افعاله وهو الله تعالى وفي هذه الآية دلالة على فضيلة العلم وشرف العلماء وعظم اقدارهم ثم عاد سبحانه الى الحكاية
عن الكفار فقال وقال الذين كفروا اي قال بعضهم لبعض او القادة للاتباع على وجه الاستبعاد والتعجب هل ندلكم على رجل
يعنون محمدا صلى الله عليه وآله اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد اي يزعم انكم تبعثون بعد ان تكونوا عظاما ورفاتا وترابا
وهو قوله اذا مزقتم كل ممزق اي فرقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع واكلتكم الارض او السباع والطيور والجديد المستأنف المعاد والمعنى
انكم يجدد خلقكم بان تنشروا وتبعثوا افترى على الله كذبا معناه هل كذب على الله متعمدا حين زعم انا نبعث بعد الموت وهو استفهام
تعجب وانكار ام به جنة اي جنون فهو يتكلم بما لا يعلم ثم رد الله سبحانه عليهم قولهم فقال بل ليس الامر على ما قالوا من الافتراء
والجنون الذين لا يؤمنون بالآخرة اي هؤلاء الذين لا يصدقون بالبعث والجزاء والثواب والعقاب في العذاب في الآخرة
والضلال البعيد من الحق في الدنيا وعظهم سبحانه ليعتبروا فقال افلم يروا اي افلم ينظر هؤلاء الكفار الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض كيف احاطت بهم وذلك ان الانسان حيث ما نظر رأى السماء والارض قدامه وخلفه وعن يمينه وشماله
فلا يقدر على الخروج منها وقيل معناه افلم يتدبروا ويتفكروا في السماء والارض فيستدلوا بذلك على قدرة الله على اهلاكهم فقال
ان نشأ نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا من السماء اي قطعة من السماء تغطيهم وتهلكهم ان في
ذلك لآية معناه ان فيما ترون من السماء والارض لدلالة على قدرة الله على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم لكل عبد منيب
اناب الى الله ورجع الى طاعته افلا يرتدع هؤلاء عن التكذيب بآيات الله والانكار لقدرته على البعث قوله تعالى

ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما
تعملون بصير ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن
يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود

عشر

وقليل من عبادى الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين

خمس آيات القراءة قرا يعقوب وعبيد بن عمير والاعرج والطير بالرفع وقراء ساير القراء والطير بالنصب وقرا ابو بكر ولسليمن الريح بالرفع والباقون بالنصب وقراء ابن كثير وابو عمرو كالجوابى بياء فى الوصل الدال ابن كثير ويقف بياء وابو عمرو بغير ياء والباقون بغير ياء فى الوصل والوقف وقراء اهل المدينة وابو عمرو وابن فليح ونبيد منساته بغير همز وقرا ابن عامر منسأته بهمزة ساكنة والباقون منسأته بهمزة مفتوحه وقرا يعقوب تبينت الجن بضم التاء والباء وكسر الياء والباقون تبينت بفتح الجميع وفى الشواذ قرآءة ابن عباس والضحاك تبينت الانس وهو قرآءة على بن الحسين زين العابدين وابو عبد الله عليهما السلم الحجة قال الزجاج اما الرفع فى والطير ففيه وجهان احدهما ان يكون نسقا على الياء فى اوبى المعنى ياجبال رجعى التسبيح معه انت والطير والآخر ان يكون معطوفا على لفظ جبال النداء ياجبال والطير واما النصب ففيه ثلثه اوجه احدها ان يكون عطفا على فضلا اى آتينا داود منا فضلا والطير بمعنى وسخرنا له الطير حكى ذلك ابو عبيدة عن ابى عمرو بن العلاء والثانى ان يكون نصبا على النداء ويكون معطوفا على محل جبال كانه قال ادعوا الجبال والطير والثالث ان يكون منصوبا على معنى مع والمعنى اوبى معه ومع الطير قال ابو على من قرا ولسليمن الريح بالنصب حمله على التسخير فى قوله وسخرنا له الريح تجرى بامره ويقوى ذلك قوله ولسليمن الريح عاصفه ووجه الرفع ان الريح اذا سخرت لسليمن جاز ان يقال له الريح على معنى له تسخير الريح فالرفع الى هذا يؤول الى معنى النصب لان المصدر المقدر فى تقدير الاضافة الى المفعول به قال والقياس فى الجوابى ان يثبت الياء مع الالف واللام وانما وقف ابو عمرو بغير ياء لانه فاصلة او مشبه بها من حيث تم الكلام ومن حذف الياء فى الوصل والوقف فلان هذا النحو قد يحذف كثيرا والقياس فى همزة منسأته اذا خففت الهمزة منها ان تجعل بين بين الا انهم خففوا همزتها على غير القياس قال الشاعر انشده ابو الحسن اذا دببت على المنسأة من هرم فقد تباعد عنك اللهو والغزل واما قوله تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وهكذا هو فى مصحف عبد الله ويؤول الى هذا المعنى قرآءة يعقوب تبينت الجن اللغة التاويب الترجيع بالتسبيح قال سلامة بن جندل يومان يوم مقامات واندية ويوم سير الى الاعداء تاويب اى رجوع بعد رجوع والسابغ التام من اللباس وسرد الحديد نظمه قال الشاعر على بن ابى العاصى دلاص حصينة احاد المدى سردها واذالها وقال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع وهو ماخوذ من سرد الكلام يسرده سردا اذا تابع بين حروفه بعض قال المبرد لا يسمى محرابا الا ما يرتقى اليه بدرج قال عدى بن زيد كدمى العاج فى المحاريب او كالبيض فى الروض زهره مستنير وقال وضاح اليمن ربة محراب اذا جئتها لم القها او ارتقى سلما والتماثيل صور الاشياء واحدها تمثال واصله من المثول وهو القيام كانه نصب قايما ومنه الحديث من سره ان يمثل له الناس فليتبوء مقعده من النار والجوابى جمع جابية وهى الحوض العظيم يجبى فيه الماء قال الاعشى تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق والمنساة العصى الكبيرة التى يسوق بها الراعى غنمه مفعلة من نسأت الناقة والبعير اذا زجرته الاعراب ان اعمل سابغات ان هاهنا فى تاويل التفسير والقول وهى تدعى المفسرة بمعنى اى كانه قيل والناله الحديد اى اعمل سابغات والتقدير قلنا له اعمل ويكون فى معنى لان يعمل وانما اتصل ان هذه بلفظ الامر ومثله من الكلام ارسل اليه ان قم الى فلان وقدر مفعوله محذوف اى قدر الخلق والمسامير وقوله غدوها شهر ورواحها شهر فى موضع نصب على الحال والتقدير غدوها مسيرة شهر ورواحها كذلك فحذف المضاف والعامل فى الحال معنى التسخير فى قوله ولسليمن الريح ومن يعمل فى موضع نصب على تقدير وسخرنا من الجن من يعمل شكرا يجوز ان يكون مفعولا اعملوا على تقدير اشكروا شكرا كما يقول احمد الله شكرا فيكون مفعولا مطلقا وهو المصدر ويجوز ان يكون مفعولا له ومفعول اعمل محذوف وتقديره اعملوا الطاعة شكرا وقوله ان لو كانوا يعلمون الغيب ان هذه مخففه من الثقيلة على تقدير انهم لو كانوا يعلمون قال ابو على والتقدير فلما خر تبين امر الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب فحذف المضاف فان لو كانوا بدل من الجن ولفظ تبين هنا لازم غير متعد مثله فى قوله وتبين لكم كيف فعلنا بهم وقوله فلما تبين له اعلم ان الله على كل شىء قدير والمعنى فلما انكشف الانس امر الجن من جهلهم بالغيب وذلك لان الجن ما ادعوا وانما اعتقد الانس فيهم انهم يعلمون الغيب فابطل الله عقيدتهم فيهم بموت سليمن عم المعنى لما تقدم ذكر عباد الله المنيبين وصله بذكر داود وسليمن

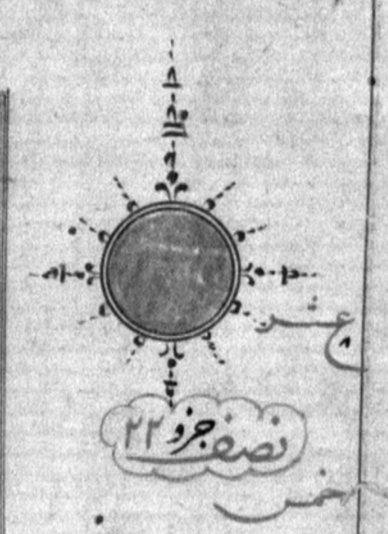
عم فقال ولقد آتينا داود منا فضلا معناه ولقد اعطينا داود من عندنا نعمة واحسانا اى فضلناه على غيره بما اعطيناه من النبوة
والكتاب وفصل الخطاب والمعجزات ثم فصل سبحانه ما اعطاه فقال يا جبال اوبى معه والطير اى قلنا للجبال يا جبال سبحى معه اذا سبح عن
ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد قالوا امر الله الجبال ان يسبح معه اذا سبح فسبحت معه وتاويله عند اهل اللغة رجعى معه
التسبيح من آب يئوب ويجوز ان يكون سبحانه فعل فى الجبال ما تاتى به منها التسبيح معجزا واما الطير فيجوز ان يسبح له من التمييز ما
يتاتى منه ذلك بان يزيد الله فى فطنته فيفهم وقيل معناه سيرى معه فكانت الجبال والطير تسير معه اينما سار وكان ذلك معجزة له
عن الجبائى والتاويب السير بالنهار وقيل معناه ارجعى الى مراد داود فيما يريده من حفر واستنباط عين واستخراج معدن ووضع
طريق والنا له الحديد فصار فى يده كالشمع يعمل به ما يشاء من غير ان يدخله النار ولا ان يضربه بالمطرقة عن قتادة ان اعمل سابغات
اى قلنا له اعمل من الحديد دروعا تامات واتما الان الله تعم الحديد لداود عم لانه احب ان ياكل من كسب يده فالان الحديد له
وعلمه صنعة الدروع وكان اول من اتخذها فكان يبيعها وياكل من ثمنها ويطعم عياله ويتصدق منه وروى عن الصادق عم قال
ان الله تعالى اوحى الى داود عم نعم العبد انت لولا انك تاكل من بيت المال فبكى داود عم اربعين صباحا فالان الله له الحديد
وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا فباعها بثلثمائة وستين الفا فاستغنى عن بيت المال
وقدر فى السرد اى عدل فى نسج الدروع ومنه قيل لصانعها سراد وزراد والمعنى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر
الحلق وقيل السرد المسامير التى فى حلق الدروع عن قتادة وحكى ان لقمن حضر داود عند اول درع عملها فجعل يتفكر فيها ولا يدرى
ما يريد بها ولم يسئله حتى فرغ منها ثم قام ولبسها وقال نعم جنة الحرب هذه فقال لقمن عند ذلك الصمت حكم وقليل فاعله
واعملوا صالحا اى وقلنا اعمل انت واهلك الصالحات وهى الطاعات شكرا لله سبحانه على عظيم نعمه انى بما تعملون بصير اى انى عالم
بما تفعلونه لا يخفى على شئ من اعمالكم ثم ذكر سبحانه سليمن وما آتيه من الفضل والكرامة فقال ولسليمن الريح اى وسخرنا لسليمن الريح
غدوها شهر ورواحها شهر اى مسير غدو تلك الريح المسخرة له شهر ومسير رواح تلك الريح مسيرة شهر والمعنى انها كانت تسير
فى اليوم مسيرة شهرين للراكب قال قتادة وكان يغدو مسيرة شهر الى نصف النهار ويروح مسيرة شهر الى آخر النهار وقال الحسن
كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر من ارض اصفهان وبينهما مسيرة شهر للمسرع ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما
مسيرة شهر تحمل الريح مع جنوده اعطاه الله الريح عوضا من الصافنات الجياد واسلنا له عين القطر اى اذبنا له عين النحاس
واظهرناها له قالوا اجريت له عين الصفر ثلثة ايام بلياليهن جعلها الله له كالماء وانما يعمل الناس بما اعطى سليمن منه ومن الجن من
يعمل بين يديه باذن ربه المعنى وسخرنا له من الجن من يعمل بحضرته وامام عينه ما يامرهم من الاعمال كما يعمل الآدمى بين يدى الآدمى
بامر ربه وكان يكلفهم الاعمال الشاقة مثل عمل الطين وغيره وقال ابن عباس سخرهم الله لسليمن وامرهم بطاعته فيما يامرهم به ومن يزغ منهم عن امرنا
من طاعة سليمن نذقه من عذاب السعير اى من عذاب النار فى الآخرة عن اكثر المفسرين وفى هذا دلالة على انهم كانوا مكلفين وقيل معناه
نذيقه العذاب فى الدنيا وان الله سبحانه وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمن ضربه ضربة احرقته يعملون له
ما يشاء من محاريب وهى البيوت الشريفة وقيل هى القصور والمساجد يتعبد فيها عن قتادة والجبائى قال وكان مما عملوا بيت
المقدس وقد كان الله عز وجل سلط على بنى اسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير فى يوم واحد فامرهم داود ان يغتسلوا ويبرزوا
الى الصعيد بالذرارى والاهلين ويتضرعوا الى الله تعالى لعله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد وارتفع داود عم
فوق الصخرة فخر ساجدا يبتهل الى الله تعم وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤسهم حتى رفع الله عنهم الطاعون فلما ان شفع الله داود عم
فى بنى اسرائيل جمعهم داود عم بعد ثلث وقال لهم ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا الشكر بان تتخذوا من هذا الصعيد الذى
رحمكم فيه مسجدا ففعلوا واخذوا فى بناء بيت المقدس فكان داود عم ينقل الحجارة لهم على عاتقه وكذلك خيار بنى اسرائيل حتى
رفعوه قامة ولداود عم يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة فاوحى الله تعم الى داود عم ان تمام بنائه يكون على يدى ابنه سليمن عم
فلما صار لداود عم ابن اربعين ومائة سنة توفاه الله تعم واستخلف سليمن عم فاحب اتمام بنيان بيت المقدس فجمع الجن والشياطين

وقسم عليهم الاعمال فخص كل طائفة منهم بعمل فارسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والمها الابيض الصافى من معادنه وامر
ببناء المدينة من الرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط ولما فرغ من بناء المدينة ابتدأ
فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والاحجار من اماكنها
وفرقة ياتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب وفرقة ياتونه بالدر من البحار فاتى من ذلك بشئ لا يحصيه الا الله ثم احضر الصناع
وامرهم بنحت تلك الاحجار حتى صيروها الواحا ومعالجة تلك الجواهر واللآلى قال وبنى سليمن ع المسجد بالرخام الابيض والاصفر
والاخضر وعمده باساطين المها الصافى وسقفه بالواح الجواهر وفصص سقوفه وحيطانه باللآلى واليواقيت والجواهر وبسط ارضه
بالواح الفيروزج فلم يكن فى الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضئ فى الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع
احبار بنى اسرائيل فاعلمهم انه بناه لله تعـ واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمن بن داود ع
حتى غزا بخت نصر بيت المقدس بنى اسرائيل فخرب المدينه وهدمها ونقض المسجد واخذ ما فى سقوفه وحيطانه من الذهب
والفضة والدرر واليواقيت والجواهر فحملها الى دار مملكته من ارض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمن ع من بناء بيت
المقدس تغلقت ابوابه فعالجها سليمن ع فلم تنفتح حتى قال فى دعائه بصلوات ابى داود الا فتحت الابواب ففتحت الابواب ففرغ
سليمن عشرة آلاف من قراء بنى اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا ياتى ساعة من ليل ولا نهار الا ويعبد الله فيه
وتماثيل يعنى صورا من نحاس وشبه وزجاج ورخام كانت الجن تعملها ثم اختلفوا فقال بعضهم كانت صورا لحيوانات وقال
آخرون يعملون صور السباع والبهائم على كرسيه ليكون اهيب له فذكر انهم صوروا اسدين اسفل كرسيه ونسرين فوق عمودى كرسيه
شبه فكان اذا اراد ان يصعد الكرسى بسط الاسدان ذراعيهما واذا علا الكرسى نشر النسران اجنحتهما فظللاه من الشمس ويقال ان
ذلك كان مما لا يعرفه احد من الناس فلما حاول بخت نصر صعود الكرسى بعد سليمن ع حين غلب على بنى اسرائيل لم يعرف كيف كان
يصعد سليمن ع فرفع الاسد ذراعيه فضرب ساقه فدقها فوقع مغشيا عليه فما جسر بعده احد ان يصعد ذلك الكرسى قال الحسن
ولم يكن يومئذ التصاوير محرمة وهى محظورة فى شريعة نبينا صلعم وآله فانه قال لعن الله المصورين ويجوز ان يكره ذلك فى زمن دون
زمن وقد بين سبحانه ان المسيح ع كان يصور بامر الله من الطين كهيئة الطير وقال ابن عباس كانوا يعملون صور الانبياء والعباد فى
المساجد ليقتدى بهم وروى عن الصادق ع انه قال والله ما هى تماثيل النساء والرجال ولكنها الشجر وما اشبهه وجفان كالجواب اى صحاف
كالحياض التى يجبى فيها الماء اى يجمع وكان سليمن ع يصلح طعام جيشه فى مثل هذه الجفان فانه لم يمكنه ان يطعمهم فى مثل قصاع الناس
لكثرتهم وقيل انه كان يجتمع على كل جفنة الف رجل ياكلون بين يديه وقدور راسيات اى ثابتات لا يزلن عن امكنتهن لعظمهن
عن قتادة وكانت باليمن وقيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع انفسهم وكان سليمن يطعم جنده ثم نادى سبحانه آل داود وامرهم
بالشكر على ما انعم به عليهم من هذه النعمة العجيبة لان نعمته على سليمن نعمة عليهم فقال اعملوا آل داود شكرا اى قلنا لهم يا آل داود
اعملوا بطاعة الله شكرا له على ما آتيكم من النعم عن مجاهد وفى هذا دلالة على وجوب شكر النعمة وان الشكر طاعة المنعم وتعظيمه وفيه
اشارة ايضا الى ان لقرابة انبياء الله اثرا فى القرب الى رضاء الله حيث خص آل داود بالامر وقليل من عبادى الشكور والفرق
بين الشكور والشاكر ان الشكور من تكرر منه الشكر والشاكر من وقع منه الشكر قال ابن عباس اراد به المؤمن الموحد وفى هذا
دلالة على ان المؤمن الشاكر يقل فى كل عصر فلما قضينا عليه الموت اى فلما حكمنا على سليمن بالموت وقيل معناه اوجبنا على سليمن
الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته اى ما دل الجن على موته الا الارضة ولم يعلموا موته حتى اكلت عصاه فسقط
فعلموا انه ميت وقيل ان سليمن ع كان يعتكف فى مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل واكثر يدخل فيه طعامه
وشرابه ويتعبد فيه فلما كان فى المرة التى مات فيها لم يكن يصبح يوما الا تنبت شجرة كان يسألها فتخبره عن اسمها وضرها ونفعها
فرأى يوما نبتا فقال ما اسمك قال الخروب قال لاى شئ انت قال للخراب فعلم انه يموت فقال اللهم عم على الجن موتى ليعلم الانس
انهم لا يعلمون الغيب وكان قد بقى من بنائه سنة فقال لاهله لا تخبروا الجن بموتى حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه وكان متكيا

على عصاه فمات وبقي قايما سنة وتم البناء ثم سلط الله على منسأته الارضة حتى اكلتها فخر ميتا فعرف الجن موته وكان يحسبونه حيا لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك وقيل ان في اماتته قايما وبقائه كذلك اغراضا منها اتمام البناء ومنها ان يعلم الانس ان الجن لا يعلم الغيب وانهم في ادعاء ذلك كاذبون ومنها ان يعلم ان من حضر اجله فلا يتاخر اذ لم يؤخر سليمن مع جلالته وروى انه اطلعه الله على حضور وفاته فاغتسل وتحنط وتكفن والجن في عملهم وروى ابو بصير عن ابي جعفر عم قال ان سليمن عم امر الشياطين فعملوا له قبة من قوارير فبينا هو قايم متكي على عصاه في القبة ينظر الى الجن كيف يعملون وهم ينظرون اليه لا يصلون اليه اذا رجل معه في القبة فقال من انت قال انا الذي لا اقبل الرشى ولا اهاب الملوك فقبضه وهو قايم متكي على عصاه في القبة قال فبقوا سنة يعملون له حتى بعث الله الارضة فاكلت منسأته وفي حديث آخر عن ابي عبد الله ع قال فكان آصف يدبر امره حتى دبت الارض فلما خر اى سقط سليمن ميتا تبينت الجن اى ظهرت الجن فانكشف للناس ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين معناه في الاعمال الشاقة وانما سماها عذابا للمشاق التي فيها الا انه كان عذابا فليس الا ان يكون ذلك عبادة لهم او بمنزلة ما يعوضون عليه اى ما عملوا مسخرين لسليمن وهو ميت وهم يظنون انه حي وقيل ان المعنى تبينت عامة الجن وضعفتهم ان رؤساهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يوهمونهم انهم يعلمون الغيب ما لبثوا لانهم كانوا يوهمونهم انهم يعلمون الغيب وقيل معناه تبينت الانس ان الجن كانوا لا يعلمون الغيب فانهم كانوا يوهمون الانس انهم يعلمون الغيب وانما قال تبينت الجن كما يقول من يناظر غيره ويلزمه الحجة هل تبين لك انك على باطل وعلى هذا يدل قراءة من قرا تبينت الانس وقد مضى بيانه وذكر اهل التاريخ ان عمر سليمن كان ثلثا وخمسين سنة مدة ملكه منها اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدا في بناء بيت المقدس اربع سنين مضين من ملكه والله اعلم واما الوجه في عمل الجن تلك الاعمال العظيمة فهو ان الله تعالى زاد في اجسامهم وقوتهم وغير خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطافتهم ورقة اجسامهم على سبيل الاعجاز الدال على نبوة سليمن فكانوا بمنزلة الاسراء في يده وكانوا يتهيا لهم الاعمال التي كان يكلفهم اياها ثم لما مات عم جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهيا لهم في هذا الزمان شي من ذلك قوله تعالى لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ خمس آيات القراءة قرا مسكنهم على التوحيد بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسر الكاف الكسائي وخلف والباقون مساكنهم على الجمع وقرا اكل خمط مضافا غير منون اهل البصرة وقرا الباقون بالتنوين غير مضاف وقرا اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب وهل نجازي بالنون الا الكفور بالنصب وادغم الكسائي اللام من هل في النون وغيره لم يدغم والباقون يجازى بالياء وفتح الزاى والكفور بالرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير وهشام بعد بين اسفارنا بالتشديد على لفظ الامر وقراه يعقوب وسهل ربنا بالضم باعد بالالف وفتح الباء والعين والدال مخففة وهو قراءة محمد بن علي الباقر ع وابن عباس وقرا الباقون ربنا بالنصب باعد بالالف على الدعاء وفي الشواذ قراءة بن يعمر ومحمد بن السميقع ربنا بالنصب بعد بفتح الباء والدال وضم العين بين اسفارنا بالرفع الحجة قال ابو علي من قرا مساكنهم اتى باللفظ وفقا للمعنى لان لكل ساكن مسكنا ومن قرا مسكنهم فيشبه ان يكون جعل المسكن مصدرا وحذف المضاف والتقدير في مواضع سكناهم فلما جعل المسكن كالسكنى والسكون افرد كما يفرد المصادر وهذا اشبه من ان تحمله على نحو كلوا في بعض بطنكم وعلى هذا قوله تعم في مقعد صدق اى في موضع قعود الا ترى ان لكل واحد من السمعين موضع قعود واما شبه في الكاف الفتح لان اسم المكان والمصدر من باب يفعل على المفعل وقد يشذ عن القياس نحو هذا كما جاء المسجد وسيبويه يحمله على اسم البيت

وكذلك المطلع الا ان ابا الحسن يقول ان المسكن اذا كسرته لغة كثيرة وهي لغة الناس اليوم والفتح لغة اهل الحجاز
فاما الاضافة في اكل خمط فان ابا عبيدة قال الخمط كل شجرة مرة ذات شوك والاكل الجنى فعلى هذا التفسير يحسن الاضافة
وذلك ان الاكل اذا كان الجنى فان جنى كل شجرة منه وغير الاضافة ليس في حسن الاضافة لان الخمط انما هو اسم شجرة وليس
بوصف فاذا لم يكن وصفا لم يجر على ما قبله كما يجري الوصف على الموصوف والبدل ليس بالسهل ايضا لانه ليس هو هو ولا
بعضه لان الجنى من الشجرة وليس الشجرة من الجنى فيكون اجراؤه عليه على وجه عطف البيان كانه بين ان الجنى لهذا الشجر
ومنه قال ابو الحسن الاحسن في كلام العرب ان يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل دار آجر وثوب خز قال فاكل خمط قراءة
كثيرة وليست جيدة في العربية وحجة من قرأ وهل نجازي بالنون قوله جزيناهم ومن قرأ يجازى على بناء الفعل للمفعول
به فان المجازي ايضا هو الله تعالى وانما خص الكفور بالجزاء لان المؤمن قد يكفر عن سيآته قال الله سبحانه ويتجاوز عن سيآتهم
وقال ان الحسنات يذهبن السيآت وليس كذلك الكافر فانه يجازى بكل سوء يعمله واما ادغام الكسائي اللام في النون
فجائز حكاه سيبويه والبيان احسن واما قوله ربنا باعد بين اسفارنا فذكر سيبويه ان فاعل وفعل يجيئان بمعنى
كقولهم ضاعف وضعف وقارب وقرب واللفظان جميعا على معنى الطلب والدعاء قال ابن جني بين نصب
نصب المفعول به اي بعد وباعد مسافة اسفارنا وليس نصبه على الظرف يدلك على ذلك قراءة من قرأ بعد
بين اسفارنا كما تقول بعد مدى اسفارنا فرفعه دليل كونه اسما وعليه قوله كان رماحهم اشطان بئر بعيد بين
جاليها جرور اي بعيد مدى جاليها او مسافة جاليها اللغة العرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة اخذ من عرامة
الماء وهو ذهابه كل مذهب قال الاعشى ففي ذاك للمؤتسي اسوة ومأرب قفى عليه العرم رخام بنته لهم حمير اذا جاء ماؤهم
لم يرم وقيل العرم اسم واد كان يجتمع فيه سيول من اودية شتى وقيل العرم هنا اسم الجرذ الذي نقب عليهم السكر وهو الذي
يقال له الخلد وقيل العرم المطر الشديد الاعراب اية اسم كان جنتان رفع على انه بدل من آية ويجوز ان يكون خبر مبتدا
محذوف كانه قيل ما الآية فقال الآية جنتان وعن يمين وشمال صفة لجنتان فعلى هذا يقف على قوله آية ويبتدي
بقوله جنتان كلوا من رزق ربكم اي يقال كلوا من رزق ربكم منها فحذف العائد من الصفة الى الموصوف كما حذف القول
بلدة طيبة تقديره هذه بلدة طيبة والله رب غفور المعنى ثم اخبر سبحانه عن قصة سبا بما دل على حسن عاقبة الشكور
وسوء عاقبة الكفور فقال لقد كان لسباء وهو ابو عرب اليمن كلها وقد تسمى به القبيلة وفي الحديث عن فروة بن مسيك
انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وآله عن سبا ارجل هو ام امرأة فقال هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم
منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج والاشعرون وانمار وحمير فقال رجل من القوم ما انمار قال الذين منهم
خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان فالمراد بسبا ههنا القبيلة الذين هم اولاد سبا بن
يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم اي في بلدهم آية اي حجة على وحدانية الله عز اسمه وكمال قدرته وعلامة على
سبوغ نعمته ثم فسر سبحانه الآية فقال جنتان عن يمين وشمال اي بستانان عن يمين من اتاهما وشماله وقيل عن يمين
البلد وشماله وقيل انه لم يرد جنتين اثنتين والمراد كانت ديارهم على وتيرة واحدة اذ كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم
متصلة بعضها ببعض وكان من كثرة النعم ان المرأة كانت تمشي والمكتل على راسها فيمتلي بالفواكه من غير ان تمس بيدها شيئا
وقيل ان الآية المذكورة هي انه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الغريب اذا دخل
بلدهم وفي ثيابه قمل ودواب ماتت عن ابن زيد وقيل ان المراد بالآية خروج الازهار والثمار من الاشجار على اختلاف
الوانها وطعومها وقيل انها كانت ثلث عشرة قرية في كل قرية نبي يدعوهم الى الله سبحانه يقولون لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له
اي كلوا مما رزقكم الله في هذه الجنان واشكروه يزدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم بلدة طيبة اي هذه بلدة مخصبة نزهة
ارضها عذبة تخرج النبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوام الموذية وقيل اراد به صحة هوائها وعذوبة مائها

وسلامة تربتها وانه ليس فيها شيء مؤذي في القيظ ولا برد مؤذي في الشتاء ورب غفور اى والله رب غفور اى والله رب
غفور اى كثير المغفرة للذنوب فاعرضوا عن الحق ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا من دعاهم الى الله من انبيائه فارسلنا
عليهم سيل العرم وذلك ان الماء كان يأتي ارض سبا من اودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما
فسدوا ما بين الجبلين فاذا احتاجوا الى الماء نقبوا السد بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلما كذبوا
رسلهم وتركوا امر الله بعث الله جرذا نقبت ذلك الردم وفاض الماء عليهم فاغرقهم عن وهب وقد مر تفسير العرم وقال
ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق وبدلناهم بجنتيهم اللتين فيهما انواع الفواكه والخيرات جنتين اخراوين
سماهما جنتين لازدواج الكلام كما قال ومكروا ومكر الله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ذواتى اكل خمط واثل اى
صاحبتى اكل وهو اسم لثمر كل شجرة وثمر الخمط البرير قال ابن عباس والخمط هو الاراك وقيل هو شجر الغضا وقيل هو
كل شجر له شوك والاثل الطرفا عن ابن عباس وقيل ضرب من الخشب عن قتادة وقيل هو السمر وشيء من سدر قليل يعني
ان الاثل والخمط كان اكثر فيهما من السدر وهو النبق قال قتادة كان شجرهم خير شجر فصيره الله شر شجر بسوء اعمالهم ذلك
اى ما فعلنا بهم جزيناهم بما كفروا اى بكفرهم وهل يجازى بهذا الجزاء الا الكفور الذى يكفر بنعم الله تعم وقد استدل
الخوارج بهذا على ان مرتكب الكبيرة كافر وهذا الاستدلال غير سديد من حيث انه سبحانه انما بين بذلك انه لا يجازي
بهذا النوع من العذاب الذى هو الاستيصال الا الكافر ويجوز ان يعذب الفاسق بغير ذلك العذاب وقيل ان معناه
هل يجازى بجميع سيآته الا الكافر لان المؤمن قد يكفر عنه بعض سيآته وقيل ان المجازاة من التجازي وهو التقاضي اى
لا يقتضى ولا يرتجع ما اعطى الا الكافر وانهم لما كفروا النعمة اقتضوا ما اعطوا اى ارتجع منهم عن ابي مسلم وجعلنا بينهم
وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة اى وقد كان من قصتهم انا جعلنا بينهم وبين قرى الشام التى باركنا فيها بالماء
والشجر قرى متواصلة وكان متجرهم من ارض اليمن الى الشام وكانوا يقيلون بارض ويبيتون باخرى حتى يرجعوا وكانوا
لا يحتاجون الى زاد من وادى سبا الى الشام ومعنى الظاهرة ان الثانية كانت ترى من الاولى لقربها منها وقدرنا
فيها السير اى جعلنا السير من القرية الى القرية مقدارا واحدا نصف يوم وقلنا لهم سيروا فيها اى فى تلك القرى ليالى
واياما اى ليلا شئتم السير او نهارا امنين من الجوع والعطش والسباع وكل المخاوف وفى هذا اشارة الى تكامل نعمه عليهم كما
انه كذلك فى الحضر ثم اخبر سبحانه انهم بطروا وبغوا فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اى اجعل بيننا وبين الشام فلوات و
مفاوز لنركب اليها الرواحل ونقطع المنازل وهذا كما قالت بنو اسرائيل لما ملوا النعمة اخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها
بدلا من المن والسلوى وظلموا انفسهم بارتكاب الكفر والمعاصى فجعلناهم احاديث لمن بعدهم يتحدثون بامرهم
وشانهم يضربون بهم المثل فيقولون تفرقوا ايادى سبا اذا تشتتوا اعظم التشتت ومزقناهم كل ممزق اى فرقناهم فى
كل وجه من البلاد كل تفريق ان فى ذلك لآيات اى دلالات لكل صبار على الشدائد شكور على النعماء وقيل لكل صبار عن
المعاصى شكور للنعم بالطاعات القصة الكلبى عن ابى صالح قال القت طريفة الكاهنة الى عمرو بن عامر الذي
يقال له مزيقيا بن ماء السماء وكانت قد رأت فى كهانتها ان سد مارب سيخرب وانه سيأتى سيل العرم فيخرب الجنتين
فباع عمرو بن عامر امواله وسار هو وقومه حتى انتهوا الى مكة فاقاموا بها وما حولها فاصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يدرون
ما الحمى فدعوا طريفة فشكوا اليها الذى اصابهم فقالت لهم قد اصابنى الذى تشكون وهو مفرق بيننا قالوا فماذا تأمرين قالت
من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد وكانت ازد عمان ثم قالت من كان منكم ذا جلد
وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر فكانت خزاعة ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل
المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وكانت الاوس والخزرج ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير
وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وعوير وهما من ارض الشام وكان الذى سكنوها ال جفنة بن غسان ثم قالت من كان يريد



لخم والخمير والملك والتامير فملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وعوير وهما من ارض الشام فكان الذى سكنوها ال جفنة بن
غسانه ثم قالت من كان يريد منكم الشياب الدقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المذاق فليلحق بارض العراق
وكان الذى سكنوها ال جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا
فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله
وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون ست آيات القراءة قرا اهل الكوفة صدق بتشديد الدال
والباقون بتخفيفها وقرا يعقوب وسهل صدق بالتشديد ابليس بالنصب ظنه بالرفع وقرا ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم
الا الاعشى والبرجمى اذن بضم الهمزة والباقون بفتحها وقرا ابن عامر ويعقوب فزع بضم الفاء والزاء والباقون بضم الفاء وكسر
الزاء وفى الشواذ قراءة الحسن بخلاف وقتادة بفتح الفاء والزاى والغين والتشديد وعن الحسن ايضا فرغ بضم الفاء وبالراء
والتشديد وعنه وعن قتادة بضم الفاء وبالراء والتخفيف الحجة قال ابو على معنى التخفيف فى صدق انه صدق ظنه
الذى ظنه بهم من متابعتهم اياه اذا اغويهم وذلك نحو قوله فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ولاغوينهم
اجمعين فهذا ظنه لانه لم يقل ذلك عن تيقن فظنه على هذا ينتصب انتصاب المفعول به ويجوز ان ينتصب انتصاب
الظرف اى فى ظنه وقد يقال اصاب الظن واخطاء الظن قال الشاعر وان يك ظنى صادقى وهو صادقى بشملة يحبسهم
بها محبسا وعرا فعداه الى المفعول به ومن قرا بالتشديد نصب الظن على انه مفعول به ومن قرا صدق عليهم ابليس
بالنصب ظنه بالرفع فالمعنى ان ابليس كان سول نفسه شيئا فصدق فيه ظنه ومن قرا الا لمن اذن له فالمعنى لمن اذن الله
ان يشفع ومن قرا اذن له فبنى الفعل للمفعول به فهو يريد هذا المعنى ايضا كما ان قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم وفزع
وهل نجازى الا الكفور وهل يجازى الا الكفور واحد فى المعنى وان اختلفت الالفاظ اللغة يقال صدقت زيدا او
صدقته وكذبته وينشد للاعشى وصدقته وكذبته والمرء ينفعه كذابه ابو عبيدة فزع عن قلوبهم نفس عنها يقال فزع
وفزع اذا ازيل الفزع عنها الاعراب لنعلم قال الزجاج معناه ما امتحناهم فى ابليس الا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم وهو
الذى يجازون عليه لا يملكون الاجود ان يكون جملة مستانفة ويجوز ان يكون حالا وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال
مبين تقديره وانا لعلى هدى او فى ضلال مبين وانكم لعلى هدى او فى ضلال مبين المعنى ثم قال سبحانه ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه الضمير فى عليهم يعود الى اهل سبا وقيل الى الناس كلهم الا من اطاع الله عن مجاهد والمعنى ان ابليس كان قال
لاغوينهم ولاضلنهم وما كان ذلك عن علم وتحقيق وانما قاله ظنا فلما تابعه اهل الزيغ والشرك صدق ظنه وحققه فاتبعوه
فيما دعاهم اليه الا فريقا من المؤمنين من هنا للتبيين يعنى المؤمنين كلهم عن ابن عباس اى علموا قبح متابعته فلم يتبعوه
واتبعوا امر الله تعالى وما كان له عليهم من سلطان اى ولم يكن لابليس عليهم من سلطنة ولا ولاية يتمكن بها من اجبارهم
على الغى والضلال وانما كان يمكنه الوسوسة فقط كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك المعنى انا لم نمكنه من اغوائهم ووسوستهم الا لنميز بين من يقبل منه ومن يمتنع
ويابى متابعته فنعذب من تابعه ونثيب من خالفه فعبر عن التمييز بين الفريقين بالعلم وهذا التمييز يتجدد لانه لا يكون
الا بعد وقوع ما يستحقون به ذلك واما العلم فبخلاف ذلك فانه سبحانه كان عالما باحوالهم وبما يكون منهم فيما لم يزل وقيل
معناه لنعلم طاعاتهم موجودة او معاصيهم ان عصوا فنجازيهم بحسبها لانه سبحانه لا يجازى احدا على ما يعلم من حاله
الا بعد ان يقع ذلك منه وقيل معناه لنعامله معاملة من كانه لا يعلم وانما يعمل ليعلم من يصدق بالآخرة ويعترف بها ممن
يرتاب فيها ويشك وربك يا محمد على كل شئ حفيظ اى عالم لا يفوته علم شئ من احوالهم ثم قال سبحانه قل يا محمد لهؤلاء المشركين

٢١٥

ادعوا الذين زعمتم من دون الله انهم آلهة وانهم شركاء الله تعم وانهم شفعاؤكم وانها تستحق الالهية هل تستجيبون
لكم الى ما تسالونهم وهذا توبيخ لهم اى ليعلموا انهم لا ينفعهم ولا تضرهم لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض اى لا
يملكون زنة ذرة من خير وشر ونفع وضر وما لهم فيهما اى وليس لهم فى خلق السموات والارض من شرك ونصيب وما له منهم من ظهير
اى ليس لله سبحانه منهم معاون على خلق السموات والارض ولا على كل شئ من الاشياء ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له والمعنى لا
تنفع الشفاعة عند الله تعم الا لمن رضيه الله وارتضاه واذن له فى الشفاعة مثل الملائكة والانبياء والاولياء ويجوز ان يكون المعنى
الا لمن اذن الله له فى ان يشفع له فيكون مثل قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وانما قال سبحانه ذلك لان الكفار كانوا يقولون نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فكذبهم تعم ببطلان اعتقاداتهم حتى اذا فزع عن قلوبهم وفزع كشف الله الفزع
عن قلوبهم واختلف فى الضمير فى قوله فى قلوبهم فقيل يعود الى المشركين الذين تقدم ذكرهم فيكون المعنى حتى اذا خرج
عن قلوبهم الفزع وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة قالوا اى قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم قالوا اى قال هؤلاء المشركين
مجيبين لهم الحق اى قال الحق فيعترفون ان ما جاء به الرسول كان حقا عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل ان الضمير يعود
الى الملائكة ثم اختلف فى معناه على وجوه احدها ان الملائكة اذا صعدوا باعمال العباد ولهم زجل وصوت عظيم فحسب الملائكة
انها الساعة فيخرون سجدا ويفزعون فاذا علموا انه ليس ذلك قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق عن الضحاك وثانيها ان الفترة لما كانت بين
عيسى ومحمد صم وآله وبعث الله محمدا انزل الله سبحانه جبرئيل ع بالوحى فلما نزل ظنت الملائكة انه نزل بشئ من امر الساعة فصعقوا
لذلك فجعل جبرائيل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤسهم وقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق
يعنى الوحى عن مقاتل والكلبى وثالثها ان الله تعالى اذا اوحى الى بعض ملائكته لحق الملائكة غشى عند سماع الوحى ويصعقون
ويخرون سجدا للآية العظيمة فاذا فزع عن قلوبهم سالت الملائكة ذلك الملك الذى اوحى اليه ماذا قال ربك او يسال بعضهم
بعضا فيعلمون ان الامر فى غيرهم عن ابن مسعود واختاره الجبائى وهو العلى اى القادر السيد المطاع وقيل العلى فى صفاته
الكبير فى قدرته قل من يرزقكم من السموات والارض فانهم لا يمكنهم ان يقولوا رزقنا آلهتنا التى نعبدهم ثم عند ذلك قل الله
الذى يرزقكم وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وانما قال ذلك على وجه الانصاف فى الحجاج دون الشك كما يقول القائل
لغيره احدنا كاذب وان كان هو عالما بالكاذب وعلى هذا يقول ابو الاسود الدئلى يمدح اهل البيت عليهم السلم يقول الارذلون
بنو قشير طوال الدهر ما تنسى عليا بنو اعم النبى واقربوه احب الناس كلهم اليا فان يك حبهم رشدا اصبه ولست بمخطى
ان كان غيا لم يقل هذا لكونه شاكا فى محبتهم وقد ايقن ان حبهم رشد وهدى وقيل انه جمع بين الخبرين وفوض التمييز
الى العقول فكانه قال انا على هدى وانتم فى ضلال كقول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالى فجمع بين القلوب الرطبة واليابسة وجمع بين العناب والحشف البالى وقيل انما قاله على وجه الاستعطاف
والمداراة ليسمع الكلام وهذا من احسن ما ينسب به الحق نفسه الى الهدى وخصمه الى الضلال لانه كلام من لا يكاشف
خصمه بالتضليل بل ينسبه اليه على احسن وجه ويحثه على النظر ولا يجب النظر الا بعد التردد قل يا محمد اذا لم ينقادوا للحجة
لا تسالون ايها الكفار عما اجرمنا اى اقترفنا من المعاصى ولا نسئل عما تعملون انتم بل كل انسان يسال عما يعمله ويجازى
على فعله دون فعل غيره وفى هذا دلالة على ان احدا لا يجوز ان يؤخذ بذنب غيره قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق
وهو الفتاح العليم قل ارونى الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون

عشرع ٩

خمس آيات الاعراب الذين الحقتم به العايد من الصلة الى الموصول محذوف والتقدير الحقتموهم به وشركاء حال منهم
المحذوف كافة حال من الكاف فى ارسلناك اى ما ارسلناك الا تكفهم وتردعهم وقيل فى الكلام تقديم وتاخير اى وما ارسلناك
الا للناس كافة وكافة كالعاقبة والعافية وما اشبه ذلك بشيرا حال بعد حال ونذيرا معطوف عليه المعنى ثم امر سبحانه

ان يحاكمهم الى الله لاعراضهم عن الحجة فقال قل يا محمد يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا اى يحكم بالحق وهو الفتاح اى الحاكم
العليم بالحكم لا يخفى عليه شئ منه قل يا محمد اروني الذين الحقتم به شركاء اغا ذكر هذا سبحانه على وجه التعظيم والتعجب اى اروني
الذين زعمتم انهم شركاء لله تعبدونهم معه كالتوبيخ لهم فيما اعتقدوه من الاشراك مع الله كما يقول القايل لمن افسد عملا
ارني ما عملته توبيخا له بما افسده فانهم سيفتضحون بذلك اذا اشاروا الى الاصنام ثم قال سبحانه كلا اى ليس الامر كما تزعمون
وقيل معناه ارتدعوا عن هذا المقال وتنبهوا من الغي والضلال بل هو الله العزيز اى القادر الذى لا يغالب الحكيم فى جميع
افعاله فكيف يكون له شريك ثم بين سبحانه نبوة نبيه صلى الله عليه وآله فقال وما ارسلناك يا محمد بالرسالة
التى حملناكها الا كافة للناس اى عامة للناس كلهم العرب والعجم وساير الامم عن الجبائى وغيره ويؤيده الحديث
المروى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله اعطيت خمسا ولا اقول فخرا بعثت الى الاحمر والاسود وجعلت
لى الارض طهورا ومسجدا واحل لى المغنم ولم يحل لاحد قبلى ونصرت بالرعب فهو يسير امامى مسيرة شهر واعطيت
الشفاعة فادخرتها لامتى يوم القيمة وقيل معناه جامعا للناس بالانذار والدعوة وقيل كافا للناس اى مانعا لهم
عما هم عليه من الكفر والمعاصى بالامر والنهى والوعيد والانذار والهاء للمبالغة عن ابى مسلم بشيرا لهم بالجنة
ونذيرا بالنار ولكن اكثر الناس لا يعلمون رسالتك لاعراضهم عن النظر فى معجزاتك وقيل لا يعلمون ما لهم فى اتباعك
من الثواب والنعيم وما عليهم فى مخالفتك من العذاب الاليم ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال ويقولون متى هذا الوعد
الذى تعدوننا به ان كنتم صادقين فيما تقولونه يا معاشر المؤمنين ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله باجابتهم
فقال قل يا محمد لكم ميعاد يوم اى ميقات يوم ينزل بكم ما وعدتم به وهو يوم القيمة وقيل يوم وفاتهم وقبض ارواحهم
عن ابى مسلم لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون اى لا يتاخرون عنه ذلك اليوم ولا يتقدمون عليه بان يزاد فى آجالكم
او ينقص منها قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند
ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا هل
يجزون الا ما كانوا يعملون وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
خمس آيات الاعراب بل مكر الليل والنهار فيه وجهان احدهما ان يكون مكر مبتداء وخبره محذوفا اى مكركم فى الليل
والنهار صدنا عن ذلك حين امرتمونا ان نكفر بالله والآخر ان يكون فاعل فعل محذوف تقديره بل صدنا مكركم فى الليل
والنهار والعرب تضيف الاحداث الى الزمان على سبيل الاتساع فتقول صيام النهار وقيام الليل والمعنى ان الصيام
فى النهار والقيام فى الليل وقال الشاعر لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنايم فوصف الليل بالنوم
وهذا على قولك نهارك صايم وليلك قايم المعنى ثم بين سبحانه حالهم فى القيمة فقال حكاية عنهم وقال الذين كفروا
وهم اليهود وقيل هم مشركوا العرب وهو الاصح لن نؤمن بهذا القرآن اى لا نصدق بانه من الله تعالى ولا بالذى بين يديه
من امر الآخرة وقيل يعنون به التورية والانجيل وذلك انه لما قال مؤمنوا اهل الكتاب ان صفة محمد فى كتابنا وهو
نبى مبعوث كفر المشركون بكتابهم ثم قال ولو ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اى محبوسون للحساب
يوم القيمة يرجع بعضهم الى بعض القول اى يرد بعضهم على بعض القول فى الجدال يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين
استكبروا وهم الاشراف والقادة لولا انتم لكنا مؤمنين مصدقين بتوحيد الله اى انتم منعتمونا من الايمان والمعنى لولا دعاؤكم
ايانا الى الكفر لامنا بالله فى الدنيا قال الذين استكبروا للذين استضعفوا اى قال المتبوعون للاتباع على سبيل الانكار انحن
صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم اى لم نصدكم عن قبول الهدى بل كنتم مجرمين اى بل انتم كفرتم ولم نحملكم على الكفر

قهرا

ثم افكل واحد من الفريقين ورك الذنب على صاحبه واتهمه ولم يضف احد منهم الذنب الى الله تعم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا يعنى الاتباع للمتبوعين بل مكر الليل والنهار اى مكركم فى الليل والنهار صدنا عن قبول الهدى اذ تامروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اى حين امرتمونا ان نجحد وحدانية الله تعم وتدعوننا الى ان نجعل له شركاء فى العبادة واسروا
الندامة فيه وجهان احدهما ان معناه اظهروا الندامة والآخر ان المعنى اخفوها وقد فسر الاسر فى بيت امرئ القيس
تجاوزت احراسا اليها ومعشرا علىّ حراصا لو يسرون مقتلى على الوجهين فمن قال بالاول قال معناه اظهر المتبوعون
الندامة على الاضلال واظهر الاتباع الندامة على الضلال وقيل معناه اقبل بعضهم على بعض يلومه ويظهر ندمه ومن
قال بالثانى قال معناه اخفوا الندامة فى انفسهم خوف الفضيحه وقيل معناه ان الرؤساء اخفوا الندامة عن الاتباع
لما رأوا العذاب اى حين رأوا نزول العذاب بهم وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا قال ابن عباس غلوا بها فى
النيران هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يجزون الا باعمالهم التى عملوها على قدر استحقاقهم وما ارسلنا فى قرية من
نذير اى نبى مخوف بالله تعالى الا قال مترفوها اى جبابرتها واغنياؤها المتنعمون فيها انا بما ارسلتم به كافرون فى هذا
بيان للنبى صلى الله عليه وآله ان اهل قريته جروا على منهاج الاولين واشارة الى انه كان اتباع الانبياء فيما مضى الفقراء
واوساط الناس دون الاغنياء ثم بين سبحانه علة كفرهم بان قال وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اى افتخروا باموالهم
واولادهم ظنا بان الله سبحانه انما خولهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا اذا رزقنا وحرمتم فنحن اكرم وافضل عند الله
منكم فلا يعذبنا على كفرنا بكم وذلك قوله وما نحن بمعذبين ولم يعلموا ان الاموال والاولاد عطاء من الله تعم يستحق به
الشكر عليهم وليس ذلك للاكرام والتفضيل قوله تعالى قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات
آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له وما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
خمس آيات القراءة قرا حمزة وحده فى الغرفة والباقون فى الغرفات على الجمع وقرا يعقوب جزاء بالنصب الضعف بالرفع
الحجة حجة من قرا الغرفة قوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا وفى الجنة غرفات وغرف غير ان العرب قد تجتزى بالواحد
عن الجمع اذا كان اسم جنس قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم ومن قرا فاولئك لهم جزاء الضعف فالتقدير فاولئك
لهم الضعف جزاء اى فى حال المجازاة فهو مصدر وضع موضع الحال اى مجزيين جزاء ويجوز ان يكون مفعولا له واما اضافة
جزاء الى الضعف فى القراءة المشهورة فهو على اضافة الى المفعول الاعراب زلفى فى موضع نصب على المصدر تقديره تقربكم
قربة او تقريبا وقوله الا من آمن الموصول والصلة فى موضع نصب على البدل من الكاف والميم فى تقربكم ويجوز ان يكون
نصبا على الاستثناء المعنى لما حكى الله سبحانه عن الكفار انهم قالوا ما نحن بمعذبين لان الله اغنانا فى الدنيا فلا يعذبنا
فى الآخرة قال رادا عليهم قل يا محمد ان ربى الذى خلقنى يبسط الرزق لمن يشاء على ما يعلمه من مصلحته ومصلحة غيره
ويقدر اى ويضيق ايضا على حسب المصلحة فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفاية والقدر تضييقه عن قدر الكفاية
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لجهلهم بالله وبحكمته فيظنون ان كثرة مال الانسان تدل على كرامته عند الله ثم
صرح بهذا المعنى فقال وما اموالكم اى ليس اموالكم التى خولتموها ولا اولادكم التى رزقتموها بالتى تقربكم عندنا زلفى
اى قربى عن مجاهد قال الاخفش اراد بالتى تقربكم عندنا تقريبا فزلفى اسم للمصدر وقال الفراء التى يجوز ان تقع على
الاموال والاولاد جميعا وجاز بلفظ الواحدة وان دخل فيه الآخر الا من آمن وعمل صالحا معناه لكن من آمن بالله وعرفه
وصدق نبيه واطاعه فيما امر به وانتهى فيما نهاه عنه فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اى يضاعف الله حسناتهم فيجزى
بالحسنة الواحدة عشرا الى ما زاد والضعف اسم جنس يدل على القليل والكثير ويجوز ان يكون الاموال والاولاد تقرب الى

الله زلفى بان يكتسب المومن المال مستعينا به على القيام بحق التكليف ويستولد الولد كذلك فيقرب بالتر عند الله زلفى فعلى
هذا يكون الاستثناء متصلا ولا يكون المعنى لكن وقيل ان جزاء الضعف ان يعطيهم فى الاخرة مثل ما كان لهم فى الدنيا من النعيم
والضعف المثل عن ابى مسلم وهم فى الغرفات امنون اى فى غرف الجنة وهى البيوت فوق الابنيه آمنون فيها لا يخافون شيئا
مما يخاف مثله فى دار الدنيا من الموت والهرم والآفات والاحزان والذين يسعون فى آياتنا اى يجتهدون فى ابطال آياتنا
وتكذيبها معاجزين لانبيائنا ومعجزين اى مثبطين غيرهم عن افعال البر اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له مر تفسيره وانما كرره سبحانه لاختلاف الفائدة فالاول توبيخ للكافرين وهم المخاطبون به والثانى
وعظ للمومنين فكانه قال ليس اغناء الكفار واعطاؤهم دلالة على كرامتهم وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة واغناء المومنين
يجوز ان يكون زيادة فى سعادتهم بان ينفقوها فى سبيل الله ويدل على ذلك قوله وما انفقتم من شئ فهو يخلفه اى وما
اخرجتم من اموالكم فى وجوه البر فانه سبحانه يعطيكم خلفه وعوضه اما فى الدنيا بزيادة النعمة واما فى الاخرة بثواب
الجنة يقال اخلف الله له وعليه اذا ابدل له ما ذهب عنه وهو خير الرازقين لانه يعطى لمنافع عباده لا لدفع ضرر او جر
نفع لاستحالة المنافع والمضار عليه وقال الكلبى ما تصدقتم به فى خير فهو يخلفه اما ان يعجله لكم فى الدنيا او يدخره لكم فى
الاخرة وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله قال قال ينادى منادى كل ليلة لدوا للموت وينادى مناد ليتهم
اذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا وعن جابر عن النبى ص وآله قال كل معروف صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وما
وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وما انفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا الا ما كان من نفقة فى بنيان او معصية
وعن ابى امامة قال انكم تاولون هذه الآية على غير تاويلها وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وقد سمعت رسول الله ص
يقول والا فصمتا اياكم والسرف فى المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا ثم قال سبحانه ويوم يحشرهم
جميعا يعنى يوم القيمة يجمع العابدين لغير الله والمعبودين من الملائكة للحساب ثم يقول للملائكة اهؤلاء الكفار اياكم
كانوا يعبدون اى كانوا يعبدونكم ويقصدونكم بالعبادة وهذا على وجه التقرير والاستشهاد للملائكة على اعتقادات الكفر
حتى تتبرء الملائكة منهم ومن عبادتهم كما قال سبحانه أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله النظم
ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انهم لما قالوا نحن اكثر اموالا واولادا بين ان دعويهم مردودة وانهم معذبون محجوبون
قوله تعالى قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا
ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا
الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما
بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير حسن آيات الاعراب بينات نصب على الحال واباؤكم فاعل يعبد اسم
كان محذوف تقديره اباءكم والتقدير عما كان اباؤكم يعبدون يدرسونها يجوز ان يكون فى محل جر صفة لكتب ويجوز ان
يكون فى محل نصب على موضع الجار والمجرور لان المعنى وما اتيناكم كتبا مدروسة كيف كان نكير كيف خبر كان ونكير اسمه
ونكير مصدر مثل غدير فى قوله غدير الحى من عدوان كانوا حية الارض المعنى قالوا اى قالت الملائكة سبحانك اى تنزيها
لك عن ان نعبد سواك ونتخذ معك معبودا غيرك انت يا الله ولينا اى ناصرنا واولى بنا من دونهم اى دون هؤلاء الكفار
ودون كل احد وما كنا نرضى بعبادتهم ايانا مع علمنا بانك ربنا وربهم بل كانوا يعبدون الجن بطاعتهم اياهم فيما دعوهم
اليه من عبادة الملائكة وقيل المراد بالجن ابليس وذريته واعوانه اكثرهم به مؤمنون اى مطيعون لهم ثم يقول الله سبحانه
فاليوم لا يغنى فى الآخرة لا يملك بعضكم لبعض يعنى العابدين والمعبودين نفعا ولا ضرا اى نفعا بالشفاعة ولا ضرا بالتعذيب
ونقول للذين ظلموا بان عبدوا غير الله ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون اى لا تعترفون بها وتجحدونها ثم عاد سبحانه

نقفنا كلام

حسن عزب

الى الحكاية عن حال الكفار فى الدنيا فقال واذا تتلى عليهم آياتنا اى تقرأ عليهم حججنا بينات واضحات من القرآن
الذي انزلناه على نبينا قالوا عند ذلك ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم اى يمنعكم عما كان يعبد اباؤكم فدعوا الى تقليد
الاباء لما اعوزتهم الحجة وقالوا ما هذا القرآن الا افك اى كذب مفترى قد تخرصه وافتريه وقال الذين كفروا للحق اى للقرآن
لما جاءهم ان هذا اى ليس هذا الا سحر مبين اى ظاهر ثم اخبر سبحانه انهم لم يقولوا ذلك عن بينة فقال وما آتيناهم من
كتب يدرسونها اى وما اعطينا مشركي قريش كتابا قط يدرسونه فيعلمون بدرسه ان ما جئت به حق او باطل وانما
يكذبونك بهويهم من غير حجة وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اى رسول امرهم بتكذيبك واخبرهم ببطلان قولك يعني انهم
لا يرجعون فى تكذيبك الا الى الجهل والعناد واتباع الهوى ثم اخبر سبحانه عن عاقبة من كذب الرسل قبلهم تخويفا لهم
فقال وكذب الذين من قبلهم ممن بعث اليهم من الرسل وما آتيهم الله من الكتب وما بلغوا معشار ما آتيناهم اى وما بلغ
قومك يا محمد معشار ما اعطينا من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول العمر فاهلكهم الله عن ابن عباس وقتادة فكذبوا
رسلى فكيف كان نكير اى عقوبتى وتغييري حالهم وقيل معناه انظر فى آثارهم كيف كان انكاري عليهم بالهلاك عن ابى مسلم
والمراد انا كما اهلكنا اولئك حين كذبوا رسلنا فليحذر هؤلاء مثل ما نزل بهم من الهلاك والاستيصال قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ
عَذَابٍ شَدِيدٍ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ خمس آيات

عشر

الاعراب ان تقوموا فى موضع جر على البدل من واحدة ويجوز ان يكون فى موضع نصب بحذف حرف الجر وافضاء الفعل اليه
والتقدير اعظكم بطاعة الله لان تقوموا او اعظكم بان تقوموا مثنى وفرادى فى موضع نصب على الحال ما سالتكم ما شرطية
وهى فى محل النصب لانها مفعول ثان لسالت ويجوز ان تكون موصولة فيكون التقدير ما سالتكموه فيكون مع الصلة فى موضع
نصب على الحال رفع بالابتداء علام الغيوب يجوز ان يكون بدلا من الضمير المستكن فى يقذف ويجوز ان يكون خبر مبتداء
محذوف اى هو علام الغيوب ولو نصب على انه نعت لربي لكان جائزا لكن الرفع اجود لانه جاء بعد تمام الكلام المعنى
ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله فقال قل يا محمد لهم انما اعظكم بواحدة اى آمركم واوصيكم بخصلة واحدة وقيل
بكلمة واحدة وهى كلمة التوحيد وقيل بطاعة الله عن مجاهد عن قال بالاول قال انه فسر الواحدة بما بعده فقال
ان تقوموا لله مثنى وفرادى اى اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة معناه ان يقوم
الرجل منكم وحده او مع غيره ثم يتساءلون هل جربنا على محمد كذبا ام هل رأينا به من جنة ففى ذلك دلالة على بطلان
ما ذكرتم فيه وليس معنى القيام هنا القيام على الارجل وانما المراد به القصد للاصلاح والاقبال عليه مناظرا مع غيره
ومفكرا فى نفسه لان الحق انما يتبين للانسان بهما فقد تم الكلام عند قوله تتفكروا وما للنفي قال قتادة اى ليس بمحمد
جنون وان جعلت تمام الكلام آخر الآية فالمعنى ثم تتفكروا اى شيء بصاحبكم من الجنون اى هل رأيتم من منشاه الى مبعثه
وصمة تنافى النبوة من كذب او ضعف فى العقل او اختلاف فى القول او الفعل فيدل ذلك على الجنون ان هو الا نذير لكم
اى مخوف من معاصى الله بين يدى عذاب شديد يعني عذاب القيمة ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله قل يا محمد لهم ما سالتكم
من اجر فهو لكم يعني لا اسالكم على تبليغ الرسالة شيئا من عرض الدنيا فتتهمونى فما طلبته منكم من اجر على اداء الرسالة
وبيان الشريعة فهو لكم وهذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه ما اعطيتنى من اجر فخذه وما لى فى هذا فقد وهبته لك
يريد ليس لى فيه شيء ومنه النصح مجان وقال الماوردى معناه ان اجر ما دعوتكم اليه من اجابتى وذخره هو لكم دونى وهو
المروى عن ابى جعفر ع ان اجرى الا على الله اى ليس ثوابى على الا على الله فهو يثيبنى عليه ولا يضيعه وهو على كل شيء شهيد
اى عليم به لم يغب عنه شيء فيعلم ما يلحقنى من اذيكم قل يا محمد ان ربى يقذف بالحق اى يلقيه على الباطل كما قال بل نقذف بالحق

على الباطل والقذف الرمي وقيل معناه انه يتكلم بالحق وهو القرآن والوحي ويلقيه الى انبيائه عن قتادة ومقاتل علام الغيوب يعلم جميع
الخفيات وما غاب عن خلقه في الارضين والسموات قل يا محمد جاء الحق فهو امر الله بالاسلام والتوحيد وقيل هو الجهاد بالسيف
عن ابن مسعود وما يبدئ الباطل وما يعيد اى ذهب الباطل ذهابا لم يبق منه ابداء ولا اعادة ولا اقبال ولا ادبار لان الحق اذا جاء
لا يبقى للباطل بقية وقيل ان الباطل ابليس لا يبتدئ الخلق ولا يعيدهم عن قتادة وقيل معناه وما يبدئ الباطل لاهله خيرا في
الدنيا ولا يعيد خيرا في الآخرة عن الحسن وقال الزجاج يجوز ان يكون ما استفهاما في موضع نصب على معنى واي شيء يبدئ الباطل
واي شيء يعيد قال ابن مسعود دخل رسول الله ص وآله مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده و
يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت عن الحق كما تدعون
فانما اضل على نفسي اى فانما يرجع وبال ضلالي علي لاني مأخوذ به دون غيري وان اهتديت الى الحق فبما يوحي الى ربي اي فبفضل ربي
حيث اوحى الي فله المنة بذلك علي دون خلقه انه سميع لاقوالنا قريب منا فلا يخفى عليه المحق والمبطل قوله تعالى ولو ترى اذ
فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب * وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد * وقد كفروا به من قبل و
يقذفون بالغيب من مكان بعيد * وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب *
اربع آيات القراءة قرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم التناؤش بالمد والهمز وقرأ الباقون بغير مد ولا همز اللغة التناوش التناول
من قولهم نشت انوش قال الشاعر فهي تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع اجواز الفلا فمن لم يهمز جعله تفاعلا منه
ومن همز احتمل امرين احدهما انه ابدل من الواو الهمزة لانضمامها مثل اقتت وادور ونحو ذلك والآخر ان يكون من النأش وهو الطلب
قال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك نأش القدر النؤوش والنئيش الحركة في الابطاء قال الشاعر تمنى نئيشا ان يكون اطاعني
وقد حدثت بعد الامور امور اي تمنى مدة مديدة فنصب نئيشا على الظرف المعنى ثم قال سبحانه ولو ترى يا محمد اذ فزعوا
اي عند البعث فلا فوت اي فلا يفوتني منهم احد ولا ينجو مني ظالم واخذوا من مكان قريب يعني القبور وحيث كانوا
فهم من الله قريب لا يفوتونه وجواب لو محذوف يدل الكلام عليه والتقدير لرأيت امرا عظيما وقيل اذ فزعوا في الدنيا حين رأوا
بعث الله عند معاينة الملائكة لقبض ارواحهم عن قتادة وقيل هو فزعهم يوم بدر حين ضربت اعناقهم فلم يستطيعوا
فرارا من العذاب ولا رجوعا الى التوبة عن الضحاك والسدي قال ابو حمزة الثمالي سمعت علي بن الحسين ع والحسن بن الحسن
بن علي ع يقولان هو جيش البيداء يؤخذون من تحت اقدامهم قال وحدثني عمرو بن مرة وحمران بن اعين انهما سمعا مهاجرا
المكي يقول سمعت ام سلمة تقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله يعوذ عائذ بالبيت فيبعث اليه جيش حتى اذا كانوا بالبيداء
بيداء المدينة خسف بهم وروي عن حذيفة اليمان ان النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب
قال فبيناهم كذلك خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق
وآخر الى المدينة حتى ينزلوا بارض بابل من المدينة الملعونة يعني بغداد فيقتلون اكثر من ثلثة آلاف ويفضحون اكثر من مائة امرأة
ويقتلون بها ثلثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون الى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام
فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنائم
ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلثة ايام بلياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله
جبرائيل ع فيقول يا جبرائيل اذهب فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم الا رجلان من جهينة
فلذلك جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين فذلك قوله ولو ترى اذ فزعوا الى آخره اورده الثعلبي في تفسيره وروى اصحابنا في احاديث
المهدي ع عن ابي جعفر وابي عبد الله ع مثله وقالوا اي يقولون في ذلك الوقت وهو يوم القيمة او عند اليأس او عند
الخسف في حديث السفياني آمنا به وانى لهم التناوش اي ومن اين لهم الانتفاع بهذا الايمان الذي الجئوا اليه بين سبحانه انهم
لا ينالون به نفعا كما لا ينال احد التناوش من مكان بعيد وقيل معناه انهم طلبوا المرد الى الدنيا فالمراد انهم طلبوا الامر من

ع ١٣

حيث لا ينال ولم يرد بعد المكان وانما اراد بعد انتفاعهم بذلك وبعدهم عن الصواب وقد كفروا به من قبل المعنى وكيف
تقبل توبتهم ويردون الى الدنيا وقد كفروا بالله من قبل ذلك ويقذفون بالغيب من مكان بعيد اى يرجمون بالظن ويقولون
لا جنة ولا نار ولا بعث وهذا ابعد ما يكون من الظن عن قتادة وقيل معناه يرمون محمدا ص والقرآن بالظنون من غير يقين
بذلك قولهم هو ساحر وهو شاعر وهو مجنون وجعله قذفا لخروجه في غير حق وقيل معناه ويبعدون امر الآخرة
فيقولون لاتباعهم هيهات هيهات لما توعدون وذلك كالشيء يرمى في موضعا بعيد المرمى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
اى وفرق بينهم وبين مشتهياتهم بالموت الذي حل بهم كما حل بامثالهم عن ابى مسلم وقيل مشتهاهم هو التوبة
والايمان او الرد الى الدنيا وقد منعوا منه وقيل نعيم الجنة عن الجبائى وقيل معناه منعوا من كل مشتهى فيخلق الله تعالى
فيهم النفار فلا يريدون شيئا الا ويتالمون به كما فعل باشياعهم من قبل اى بامثالهم من الكفار وقيل معناه بموافقيهم
واهل دينهم من الامم الماضية حتى لم يقبل منهم التوبة وقت رؤية البأس والعذاب قال الضحاك اراد بذلك اصحاب
الفيل حين ارادوا خراب الكعبة انهم كانوا في شك من البعث والنشور وقيل في شك من وقوع العذاب بهم مريب اى
مشكك كما قالوا اعجيب عجيب سورة الفاطر مكية قال الحسن الا آيتان ان الذين يتلون كتاب الله الآية وثم اورثنا
الكتاب الآية عدد آيها ثلث واربعون آية شامي والمدني الاخير وخمس في الباقين اختلافها سبع آيات الذين كفروا لهم عذاب
شديد بصري شامي جديد والبصير والنور كلتاهن غير البصري من في القبور غير الشامي ان تزولا بصري تبديلا بصري شامي
والمدني الاخير فضلها ابي بن كعب عن النبي ص وآله قال من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيمة ثلثة ابواب من الجنة ان
ادخل من اي الابواب شئت تفسيرها لما ختم سبحانه السورة المتقدمة بالرد على اهل الشرك والشك والعناد افتتح هذه
السورة بذكر كمال قدرته ووحدانيته ودلايل التوحيد وقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل
الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير
الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى
الله ترجع الامور يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور خمس آيات

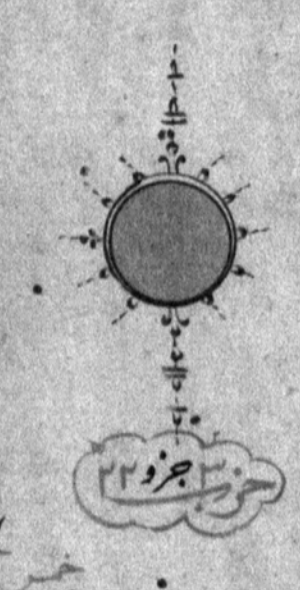
خمس

القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم غير الله بالجر والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي من قرا غير الله بالجر جعله صفة على اللفظ والخبر
يرزقكم من السماء والارض ومن قرا غير الله بالرفع احتمل وجوها احدها ان يكون خبر المبتدا والآخر ان يكون صفة على الموضع
والخبر مضمر تقديره هل خالق غير الله في الوجود والعالم والثالث ان يكون غير استثناء والخبر مضمر كانه من خالق الا الله
ويدل على جواز الاستثناء قوله ما من اله الا الله اللغة الفطر الشق عن الشيء باظهار الحس وفاطر السموات خالقها الاعراب
مثنى وثلث ورباع صفة لاجنحة معدولة عن اثنين اثنين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ما يفتح الله ما شرطية في محل النصب
لكونها مفعول يفتح المعنى الحمد لله فاطر السموات والارض اى خالقهما مبتديا على غير مثال سبق حمد سبحانه نفسه ليعلمنا
كيف نحمده وليبين لنا ان الحمد كله له جاعل الملائكة رسلا الى الانبياء بالرسالات والوحي اولى اجنحة اى ذوى اجنحة مثنى
وثلث ورباع تقدم تفسيرها وانما جعلهم اولى اجنحة ليتمكنوا بها من العروج الى السماء ومن النزول الى الارض فمنهم من له
جناحان ومنهم من له ثلثة اجنحة ومنهم من له اربعة اجنحة عن قتادة قال ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله يزيد في الخلق ما يشاء قال
ابن عباس رأى رسول الله ص وآله ليلة المعراج وله ستمائة جناح وهذا اختيار الزجاج والفراء وقيل اراد بقوله يزيد في الخلق
ما يشاء حسن الصوت عن الزهري وابن جريج وقيل هو الملاحة في العينين عن قتادة وروى ابو هريرة عن النبي ص وآله
قال هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن ان الله على كل شيء قدير لا شيء الا وهو قادر عليه بعينه او قادر على مثله
ثم بين سبحانه انعامه على خلقه فقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها اى ما ياتيهم به من مطر او عافية او اى نعمة كان

فان احدا لا يقدر على امساكه وما يمسك من ذلك فلا مرسل له من بعده اى فان احدا لا يقدر على ارساله وقيل معناه ما يرسل الله
من رسول الى عباده فى وقت دون وقت فلا مانع له لان ارسال الرسول رحمة من الله كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وما يمسكه فى زمان الفترة من الكفار فلا مرسل له عن الحسن واللفظ يحتمل الجميع وهو العزيز اى القادر الذى لا يعجز الحكيم فى
افعاله ان انعم وان امسك لانه يفعل ما تقتضيه الحكمة ثم خاطب المؤمنين فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
الظاهرة والباطنة التى من جملتها انه خلقكم واوجدكم واحياكم واقدركم وشهاكم وخلق لكم انواع الملاذ والمنافع هل
من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض هذا استفهام تقرير لهم ومعناه النفى ليقروا بانه لا خالق الا الله يرزق من
السماء بالمطر ومن الارض بالنبات وهل يجوز اطلاق لفظ خالق على غير الله سبحانه فيه وجهان احدهما انه لا تطلق هذه
اللفظة على احد سواه وانما يوصف غيره به على جهة التعبيد وان جاز اطلاق لفظ الصانع والفاعل ونحوهما على غيره والآخر
ان المعنى لا خالق يرزق ويخلق الرزق الا الله نعم لا اله الا هو اى لا معبود يستحق العبادة سواه سبحانه فانى يؤفكون اى كيف
يصرفون عن طريق الحق الى الضلال وقيل معناه انى يعدل بكم عن هذه الادلة التى اقمتها لكم على التوحيد مع وضوحها
ثم سلى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله عن تكذيب قومه اياه فقال وان يكذبوك يا محمد فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع
الامور فيجازى كل من كذب رسله وينصر من كذب من رسله ثم خاطب الخلق فقال يا ايها الناس ان وعد الله حق من البعث
والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب حق صدق كائن لا محاله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فتغترون بملاذها ونعيمها
ولا يجذ عنكم حب الرياسه وطول البقاء فان ذلك عن قليل نافذ ويبقى الوبال والوزر ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الذى
عادته ان يغر غيره والدنيا وزينتها بهذه الصفة لان الخلق يغترون بها وقيل الغرور الشيطان الذى هو ابليس عن
الحسن ومجاهد قوله تعالى اِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا اِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ اَصْحَابِ السَّعِيرِ اَلَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَاَجْرٌ كَبِيرٌ اَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
فَاِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَاللّٰهُ الَّذِي اَرْسَلَ
الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ اِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَاَحْيَيْنَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذٰلِكَ النُّشُورُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ اُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ
خمس آيات القراءة قرأ ابو جعفر فلا تذهب بضم التاء نفسك بالنصب والباقون لا تذهب نفسك والوجه فيهما ظاهر
الاعراب حسرات مصدر فعل محذوف تقديره فلا تذهب نفسك تتحسر عليهم حسرات وجميعا نصب على الحال والعامل
فيه ما يتعلق به اللام من لله ومكر اولئك هو يبور هو فصل بين المبتدا وخبره المعنى ثم انه سبحانه حذرهم الشيطان
فقال ان الشيطان لكم عدو يدعوكم الى ما فيه الهلاك والخسران ويصرفكم عن افعال الخير والبر فاتخذوه عدوا اى فعادوه
ولا تتبعوه بان تعملوا على وفق مراده وتذعنوا لانقياده انما يدعوا حزبه اى اشياعه واوليائه واصحابه ليكونوا من اصحاب
السعير اى النار المتسعرة والمعنى انه لا سلطان له على المؤمن ولكنه يدعوا اتباعه الى ما يستحقون به النار ثم بين سبحانه
حال من اجابه وحال من خالفه فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد جزاء على كفرهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة من الله لذنوبهم واجر كبير اى ثواب عظيم ثم قال سبحانه مقررا لهم افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعنى الكفار
زينت لهم نفوسهم اعمالهم السيئة فتصوروها حسنة او زينها الشيطان لهم بان اما لهم الى الشبه المضله وترك النظر
فى الادله واغواهم حتى تشاغلوا بما فيه عاجل اللذة وطرح الكلفه وخبر قوله افمن زين له سوء عمله محذوف اى اهو كمن
علم الحسن والقبح وعمل بما علم ولم يزين له سوء عمله وقيل تقديره كمن هداه الله وقيل كمن زين له صالح عمله فان الله يضل
من يشاء ويهدى من يشاء مر بيانه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اى لا تهلك نفسك يا محمد عليهم حسرة ولا يغمك حالهم
اذ كفروا واستحقوا العقاب وهو مثل قوله فلعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر

ع ١٣ عشر

ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه ثم عاد سبحانه الى ذكر ادلة التوحيد فقال والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا اي
تهيجه وتزعجه من حيث هو فسقناه اى سقنا السحاب الى بلد ميت اى قحط جدب لم يمطر فنمطر على ذلك البلد فاحيينا به
اى بذلك المطر والماء الارض بعد موتها بان انبتنا فيها الزرع والكلا بعد ان لم يكن كذلك النشور اى كما نحيى هذه الارض الجرزة
من احيائها بالزرع والنبات ينشر الخلائق بعد موتهم ويحشرهم للجزاء من الثواب والعقاب من كان يريد العزة فلله العزة جميعا
اختلف فى معناه فقيل المعنى من كان يريد علم العزة وهى القدرة على القهر والغلبة لمن هى فانها لله جميعا عن الفرا وقيل معناه
من اراد العزة فليتعزز بطاعة الله فان الله تعالى يعزه عن قتادة يعنى ان قوله فلله العزة جميعا معناه الدعاء الى طاعة الله
من له العزة كما يقال من اراد المال فالمال لفلان اى فليطلبه من عنده يدل على صحة هذا ما رواه انس عن النبى صلى الله عليه وآله قال ان ربكم يقول
كل يوم انا العزيز فمن اراد عز الدارين فليطع العزيز اليه يصعد الكلم الطيب والكلم جمع الكلمة يقال هذا كلم وهذه كلم فتذكر
وتؤنث وكل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء يجوز فيه التذكير والتانيث ومعنى الصعود هنا القبول من صاحبه و
الاثابة عليه وكل ما يتقبله الله سبحانه من الطاعات يوصف بالرفع والصعود لان الملائكة يكتبون اعمال بنى آدم ويرفعونها
الى حيث شاء الله تعالى وهذا كقوله ان كتاب الابرار لفى عليين وقيل معنى اليه يصعد الكلم الطيب الى سمائه والى حيث لا يملك
الحكم سواه فجعل صعوده الى سمائه صعودا اليه تعالى كما يقال ارتفع امرهم الى السلطان والكلم الطيب الكلمات الحسنة من التعظيم
والتقديس واحسن الكلم لا اله الا الله والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب والمعنى ان العمل الصالح لا ينفع الا اذا صدر عن التوحيد
عن ابن عباس والثالث ان المعنى والعمل الصالح يرفعه الله لصاحبه اى يقبله عن قتادة وعلى هذا يكون ابتداء اخبار لا يتعلق
بما قبله ثم ذكر سبحانه من لا يوحد الله سبحانه فقال والذين يمكرون السيئات اى يعملون السيئات عن الكلبى وقيل يمكرون اي
يشركون بالله وقيل يعنى الذين مكروا برسول الله فى دار الندوة عن ابى العالية وهو قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية لهم عذاب
شديد فى الآخرة ثم اخبر سبحانه ان مكرهم يبطل فقال ومكر اولئك هو يبور اى يفسد ويهلك فلا يكون شيئا ولا ينفذ فيما ارادوه
قوله تعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا
ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل
تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل فى
النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
سبع آيات القراءة قرا روح وزيد عن يعقوب ولا ينقص بفتح الياء وهو قراءة الحسن وابن سيرين والباقون لا ينقص على البناء
للمفعول به وقرا قتيبة عن الكسائى والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء وفى الشواذ قراءة عيسى الثقفى سيغ شرابه الحجة
من قرا ينقص فالتقدير ولا ينقص الله من عمره والقراءة المشهورة ولا ينقص وهى اوفق لما تقدم من قوله وما يعمر من معمر وكذلك
قراءته تدعون على الخطاب اوفق بما تقدم من الكلام وما تاخر ويدعون بالياء على الغيبة ومن قرا سيغ شرابه فانه على التخفيف
من سيغ بالتشديد على فيعل واصله سيوغ فهو مثل هين وهين وميت وميت اللغة النطفة الماء القليل والماء الكثير وهو
من الاضداد ومنه قول امير المؤمنين عليه السلام لما قيل له ان الخوارج عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والعمر البقاء واصله
طول المدة وقولهم لعمر الله بالفتح لا غير والقطمير لفافة النواة وقيل الحبة فى بطن النواة الجديد القريب العهد بانقطاع العمل
عنه واصله من القطع الاعراب لا ينقص تقديره لا ينقص من عمره شئ فمفعول ما لم يسم فاعله محذوف وقوله الا فى كتاب الجار
والمجرور فى موضع خبر مبتدا محذوف تقديره الا هو كائن فى كتاب تلبسونها يجوز ان يكون جملة منصوبة الموضع على الحال من
تستخرجون ويجوز ان يكون صفة لحلية اى حلية ملبوسة واللام فى قوله لتبتغوا يتعلق بمواخر لان المعنى لان الفلك تشق الماء



حزب ٣ جزو ٢٢

٤٢

للابتغاء من فضل الله وقوله من دونه في موضع الحال من الضمير المحذوف من قوله يدعون والتقدير والذين يدعونهم كائنين
من دونه المعنى ثم نبه سبحانه على ما تقدم من دلايل التوحيد فقال والله خلقكم من تراب بان خلق اباكم آدم منه فان الشيء
يضاف الى اصله وقيل اراد به آدم نفسه ثم من نطفة اي ماء الرجل والمراة ثم جعلكم ازواجا اي ذكورا واناثا وقيل ضروبا
واصنافا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما تحمل من الاناث حامله ولدها في بطنها الا يعلمه الله تع والمعنى الا وهو عالم
بذلك وما يعمر من معمر معناه وما يمد في عمر معمر اي ولا يطول عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر ذلك المعمر عن الحسن والضحاك
وابن زيد وقيل هو ما يعلمه الله ان فلانا لو اطاع بقي الى وقت كذا واذا عصى نقص عمره فلا يبقى فالنقصان على ثلثة اوجه
اما ان يكون من عمر المعمر او من عمر معمر آخر او يكون بشرط الا في كتاب اي الا وذلك مثبت في الكتاب وهو الكتاب المحفوظ
اثبته الله فيه قبل كونه قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا سنة ثم يكتب اسفل ذلك ذهب يوم ذهب
يومان ذهب ثلثة ايام حتى يأتي على آخر عمره ان ذلك على الله يسير يعني ان تعمير من يعمره ونقصان من ينقصه واثبات ذلك
في الكتاب سهل على الله غير متعذر ثم قال وما يستوي البحران يعني العذب والملح ثم ذكرهما فقال هذا عذب فرات اي طيب
بارد سايغ شرابه وهذا ملح اجاج اي شديد الملوحة عن ابن عباس وما بعد هذا مفسر في سورة النحل الى آخر الاية يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل احدهما في الآخر بالزيادة والنقصان وسخر الشمس والقمر اي يجريهما كما يريد كل يجري
لاجل مسمى اي لوقت معلوم وقد مضى تفسيره ذلكم الله ربكم اي مدبر هذه الامور هو الله خالقكم له الملك في الدنيا والآخرة
والذين تدعون من دونه اي تدعونهم الهة من الاصنام والاوثان وتوجهون عبادتكم اليه ما يملكون من قطمير اي قشر
نواة عن ابن عباس اي لا يقدرون من ذلك على قليل ولا كثير ان تدعوهم لكشف ضر لا يسمعوا دعاءكم لانها جماد لا تنفع ولا
تضر ولو سمعوا بان يخلق الله لها سمعا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يتبرءون عن عبادتكم سينطقهم الله
يوم القيمة لتوبيخ عابديها فيقولون لهم لم عبدتمونا وما دعوناكم الى ذلك قال البلخي يجوز ان يكون المراد به الملائكة وعيسى
ويكون معنى قوله لا يسمعوا دعاءكم انهم بحيث لا يسمعونه او انهم مشتغلون عنهم لا يلتفتون اليهم ويجوز ان يكون المراد به
الاصنام ويكون ما يظهر من بطلان ما ظنوه كفرا بشركهم وجحودا له كما ان ما يحصل في الجماد من الدلالة على الله تعالى تسبيح
لهم ولا ينبئك مثل خبير اي يخبرك بما فيه الصلاح والفساد والمنافع والمضار مثل الله سبحانه العليم بالاشياء كلها يا ايها
الناس انتم الفقراء المحتاجون الى الله والله هو الغني عن عبادتكم لا يحتاج الى شيء الحميد المستحق للحمد على جميع افعاله فلا
يفعل الا ما يستحق به حمدا ثم اخبر عن كمال قدرته فقال ان يشأ يذهبكم ويفنكم ويأت بخلق جديد سواكم كما خلقكم
ولم تكونوا شيئا وما ذلك على الله بعزيز اي ممتنع بل هو عليه هين يسير قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع
مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا
يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي
الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ
الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ سبع آيات بصري تسع في غيرهم اللغة الحرور السموم وهي الريح الحارة قال الفراء السموم
لا يكون الا بالنهار والحرور بالليل والنهار والاستواء حصول احد الشيئين على مقدار الآخر ومنه الاستواء في العود والطريق
خلاف الاعوجاج لمروره على مقدار وضع له من غير انعدال والاسماع ايجاد المسموع بحيث يدركه السامع المعنى ثم اخبر
سبحانه عن عدله في حكمه فقال ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى اي لا يؤاخذ احد بذنب غيره وانما
يؤاخذ كل بما يقترفه من الآثام وان تدع مثقلة الى حملها اي وان تدع نفس مثقلة بالآثام غيرها الى ان يتحمل عنها شيئا من اثمها
لا يحمل منه شيء اي لا يحمل غيرها شيئا من ذلك الحمل ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو الى التحمل ذا قرابة منها واقرب الناس اليها ما حمل

عشر

ع خمس ١٥

عنها

عنها شيئا فكل نفس بما كسبت رهينه قال ابن عباس يقول الاب والام يا بنى احمل عنى فيقول حسبى ما على انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب اى وهم غايبون عن احكام الاخرة واهوالها وهذا كقوله انما انت منذر من يخشيها والمعنى ان انذارك
لا ينفع الا الذين يخشون ربهم فكانك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الانذار وقيل الذين يخشون ربهم فى خلواتهم
وغيبتهم عن الخلق واقاموا الصلوة اى اداموها واقاموا بشرايطها وانما عطف الماضى على المستقبل اشعارا باختلاف المعنى
لان الخشيه لازمه فى كل وقت والصلوة لها اوقات مخصوصه ومن تزكى اى فعل الطاعات وقام بما يجب عليه من الزكوة
وغيرها من الواجبات وقيل تطهر من الاثام فانما يتزكى لنفسه لان جزاء ذلك يصل اليه دون غيره والى الله المصير اى مرجع
الخلق كلهم الى حيث لا يملك الحكم الا الله تعم فيجازى كلا على قدر عمله وما يستوى الاعمى والبصير اى لا يتساوى الاعمى عن طريق
الحق والذى اهتدى اليه قط وقيل المشرك والمومن ولا الظلمات الشرك والضلالة ولا النور اى نور الايمان والهداية
وفى قوله ولا النور وما بعده من زيادة لا قولان احدهما انها زايدة موكدة للنفى والثانى انها نافيه لاستواء كل واحد منها
لصاحبه على التفصيل ولا الظل ولا الحرور يعنى الجنة والنار عن الكلبى وقيل يعنى الظل الليل والسموم بالنهار وما يستوى
الاحياء ولا الاموات يعنى المومنين والكافرين وقيل يعنى العلماء والجهال وقال بعضهم اراد نفس الاعمى والبصير والظل
والحرور والظلمات والنور على طريق ضرب المثل اى كما لا تستوى هذه الاشياء ولا تتماثل ولا تتشاكل فكذلك عبادة الله
لا تشبه عبادة غيره ولا يستوى المومن والكافر والحق والباطل والعالم والجاهل ان الله يسمع من يشاء اى ينفع بالاسماع
من يشاء ان يلطف له ويوفقه ولم يرد به نفى حقيقة السماع لانهم كانوا يسمعون آيات الله وما انت بمسمع من فى القبور
اى انك لا تقدر على ان تنفع الكفار باسماعك اياهم اذا لم يقبلوا كما لا تسمع من فى القبور من الاموات ان انت الا نذير اى
ما انت الا مخوف لهم بالله انا ارسلناك بالحق اى بالدين الصحيح بشيرا ونذيرا اى مبشرا للمومنين ونذيرا للكافرين وان من
امة اى وما من امة من الامم الماضية الا خلا فيها نذير اى مضى فيها مخوف يخوفهم وينذرهم فانت مثلهم نذير لمن جحد بشير
لمن وحد قال الجبائى وفى هذا دلالة على انه لا احد من المكلفين الا وقد بعث اليه الرسول وانه سبحانه اقام الحجة على جميع
الامم ثم قال سبحانه تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله وان يكذبوك يا محمد ولم يصدقوك فقد كذب الذين من قبلهم من الكفار
انبياء ارسلهم الله اليهم جاءتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات وبالزبر اى وبالكتب وبالكتاب
المنير الواضح البين وانما كرر ذكر الكتاب وعطفه على الزبر لاختلاف الصفتين فان الزبور اثبت فى الكتابة من الكتاب لانه
يكون منقرا منقشا فيه كالنقر فى الحجر ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اى فلما كذبوا رسلى ولم يعتبروا بينتهم اخذتهم
بالعذاب واهلكتهم ودمرت عليهم فكيف كان تغييرى وانكارى عليهم وانزالى العقاب بهم قوله تعالى الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون
كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور اربع آيات اللغة واحد الجدد جدده واما الجدد فجمع جديد قال
المبرد الجدد الطرايق والخطوط قال امرؤ القيس كان سراته وجدة متنه كنايين يجرى بينهن دليص يعنى الخطة السوداء
فى ظهر حمار الوحش وكل طريقه جده وجاده وقال الفراء هى الطرق تكون فى الجبال كالعروق بيض وحمر وسود والغربيب
الشديد السواد يشبه لون الغراب الاعراب مختلفا صفة لثمرات والوانها مرفوع بانه فاعله مختلف الوانه خبر مبتداء
محذوف تقديره ما هو مختلف الوانه فالهاء فى الوانه عايد الى هو ويجوز ان يكون الهاء عايدا الى موصوف لمختلف تقديره
جنس مختلف الوانه وهو الاصح سرا وعلانية يجوز ان يكون نصبها على الحال تقديره انفقوا مسرين ومعلنين ويجوز ان
يكون على صفة مصدر انفق تقديره انفقوا انفاقا مسرا ومعلنا ويرجون فى موضع نصب على الحال المعنى ثم عاد الكلام الى

عشر

ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء اى غيثا ومطرا فاخرجنا اخبر عن نفسه بنون الكبرياء والعظمة
به اى بذلك الماء ثمرات جمع ثمرة وهى ما يجتنى من الشجر مختلفا الوانها وطعومها وروايحها اقتصر على ذكر الالوان لانها اظهر ولدلالة
الكلام على الطعوم والروايح ومن الجبال جدد اى ومما خلقنا من الجبال جدد بيض وحمر اى طرق بيض وطرق حمر مختلف
الوانها وغرابيب سود على لون واحد لا خطط فيها قال الفراء وهذا على التقديم والتاخير تقديره وسود غرابيب لانه يقال
اسود غربيب واسود حالك واقول ينبغى ان يكون سود عطف بيان سود غرابيب به والجيد ان تكون تاكيدا اذ الغرابيب
لا تكون الا سودا فيكون كقولك رايت زيدا زيدا وهذا اولى من ان يحمل على التقديم والتاخير ومن الناس ايضا والدواب
التى تدب على وجه الارض والانعام كالابل والبقر والغنم خلق مختلف الوانه كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ثم قال
انما يخشى الله من عباده العلماء اى ليس يخاف الله حق خوفه ولا يحذر معاصيه خوفا من نقمته الا العلماء الذين يعرفونه
حق معرفته وروى عن الصادق ع انه قال يعنى بالعلماء من صدق قوله فعله ومن لم يصدق قوله فعله فليس بعالم وعن ابن
عباس قال يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وفى الحديث اعلمكم بالله اخوفكم لله قال مسروق كفى
بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وانما خص سبحانه العلماء بالخشية لان العالم احذر لعقاب الله من الجاهل
حيث يختص بمعرفة التوحيد والعدل ويصدق بالبعث والحساب والجنة والنار وقيل فقد نرى من العلماء من لا يخاف
الله ويرتكب المعاصى فالجواب انه لا بد من ان يخافه مع العلم به وان كان ربما يؤثر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللذة
ان الله عزيز فى انتقامه من اعدائه غفور لزلات اوليائه ثم وصف سبحانه العلماء فقال ان الذين يتلون كتاب الله اى يقرؤن
القرآن فى الصلوة وغيرها اثنى سبحانه عليهم بقراءة القرآن قال مطرف بن عبد الله الشخير هذه آية القراء واقاموا الصلوة و
انفقوا مما رزقناهم اى ملكناهم التصرف فيه سرا وعلانية اى فى حال سرهم وحال علانيتهم وعن عبد الله بن عبيد بن عمير
الليثى قال قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ما لى لا احب الموت قال الك مال قال نعم قال فقدمه قال لا استطيع
قال فان قلب الرجل مع ماله ان قدمه احب ان يلحق به وان اخره احب ان يتاخر معه يرجون تجارة لن تبور اى راجين
بذلك تجارة لن تكسد ولن تفسد ولن تهلك ليوفيهم اجورهم اى قصدوا باعمالهم الصالحة وفعلوها لان يوفيهم الله اجورهم
بالثواب ويزيدهم على قدر استحقاقهم من فضله انه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم عن الزجاج وقال الفراء خبر ان قوله
يرجون تجارة لن تبور وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال فى قوله ويزيدهم من فضله هو الشفاعة لمن وجبت له النار
ممن صنع اليه معروفا فى الدنيا وعن الضحاك قال يفسح لهم فى قبورهم وقيل معنى شكور انه يقبل اليسير ويثيب عليه الكثير
تقول العرب اشكر من بروقة وتزعم انها شجرة عارية من الورق تغيم السماء فوقها فتخضر وتورق من غير مطر قوله تعالى
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ
جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ خمس آيات القراءة
قرا ابو عمرو يدخلونها بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله يحلون والباقون بفتح الياء لانهم اذا ادخلوا فقد دخلوا
وقد ذكرنا اختلافهم فى ولؤلؤا فى سورة الحج اللغة المقامة الاقامة وموضع الاقامة ولذا فتحت الميم كانت بمعنى القيام
وموضع القيام قال الشاعر يومان يوم مقامات واندية ويوم سير الى الاعداء تاويب والنصب التعب وفيه لغتان
النصب والنصب كالرشد والرشد والحزن والحزن واللغوب الاعياء من التعب الاعراب من الكتاب فى موضع
الحال من الضمير المنصوب المحذوف من الصلة والتقدير والذى اوحيناه اليك كائنا من الكتاب جنات عدن خبر مبتدا
محذوف ويجوز ان يكون بدلا من قوله الفضل الكبير يدخلونها فى موضع نصب على الحال وكذلك يحلون فيها من اساور

من يعلق

حسن

من يتعلق بيحلون من ذهب فى موضع الصفة لاساور اى اساور كائنة من ذهب والمعنى ذهبيه لا يسنا فى موضع نصب
على الحال المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال والذى اوحينا اليك يا محمد وانزلناه من الكتاب وهو القرآن هو الحق
اى الصحيح الذى لا يشوبه فساد الصدق الذى لا يمازجه كذب والعقل يدعو الى الحق ويصرف عن الباطل مصدقا لما بين يديه
اى لما قبله من الكتب بانه جاء موافقا لما بشرت به تلك الكتب من حاله وحال ما اتى به ان الله بعباده لخبير اى عالم بصير
باحوالهم ثم اورثنا الكتاب يعنى القرآن وقيل هو التورية عن ابى مسلم وقيل اراد الكتب لان الكتاب يطلق ويراد به الجنس
عن الجبائى والصحيح الاول لان ظاهر لفظ الكتاب لا يطلق الا على القرآن الذين اصطفينا من عبادنا اى اخترناهم ومعنى الارث
انتهاء الحكم اليهم ومصيره لهم كما قال وتلك الجنة التى اورثتموها وقيل معناه اورثناهم الايمان بالكتب السالفة اذ
الميراث انتقال الشئ من قوم الى قوم والاول اصح واختلف فى الذين اصطفاهم الله من عباده فى الآية فقيل هم الانبياء
اختارهم الله برسالته وكتبه عن الجبائى وقيل هم المصطفون الداخلون فى قوله وآل ابرهيم وآل عمران يريد بنى اسرائيل
عن ابى مسلم قال لان الانبياء لا يورثون الكتب بل يورث عنهم وقيل بل هم امة محمد صلى الله عليه وآله اورثهم الله كل كتاب انزله
عن ابن عباس وقيل هم علماء امة محمد صلى الله عليه وآله لما ورد فى الحديث العلماء ورثة الانبياء والمروى عن الباقر والصادق عليهما السلام
انهما قالا هى لنا خاصة وايانا عنى وهذا اقرب الاقوال لانهم احق الناس بوصف الاصطفاء والاجتباء وايراث علم الانبياء
اذهم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقايقه العارفون بجلائله ودقايقه فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات اختلف فى ان الضمير فى منهم الى من يعود على قولين احدهما انه يعود الى العباد وتقدير الكلام فمن العباد ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات اختلف فى ان الضمير فى منهم الى من يعود على قولين احدهما انه يعود الى العباد
وتقدير الكلام فمن العباد ظالم لنفسه وروى نحو ذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة واختاره المرتضى قدس الله روحه
من اصحابنا والوجه فيه انه لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده بين عقيبه انه انما علق وراثة الكتاب ببعض
العباد دون بعض لان فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق بالخيرات والقول الثانى ان الضمير يعود الى
المصطفين من العباد عن اكثر المفسرين ثم اختلف فى احوال الفرق الثلث على قولين احدهما ان جميعهم ناج ويؤيد ذلك ما
ورد فى الحديث عن ابى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فى الآية اما السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد
فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
وعن عايشه انها قالت كلهم فى الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد له رسول الله بالجنة واما
المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلى ومثلكم وروى عنها ايضا انها قالت السابق الذى اسلم
قبل الهجرة والمقتصد الذى اسلم بعد الهجرة والظالم نحن وروى عن عمر بن الخطاب انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له وقيل ان الظالم من كان ظاهره خير من باطنه والمقتصد الذى استوى باطنه وظاهره والسابق
الذى باطنه خير من ظاهره وقيل منهم ظالم لنفسه بالصغاير ومنهم مقتصد فى الطاعات فى الدرجة الوسطى ومنهم سابق بالخيرات
فى الدرجة العليا عن جعفر بن حرب وروى اصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن جعفر الصادق عليه السلام انه قال الظالم لنفسه منا من
لا يعرف حق الامام والمقتصد منا العارف بحق الامام والسابق بالخيرات هو الامام وهؤلاء كلهم مغفور لهم وعن زياد بن المنذر
عن ابى جعفر عليه السلام اما الظالم لنفسه منا فمن عمل عملا صالحا وآخر سيئا واما المقتصد فهو المتعبد المجتهد واما السابق بالخيرات
فعلى والحسن والحسين عليهم السلام ومن قتل من آل محمد شهيدا والقول الآخر ان الفرقة الظالمة لنفسها غير ناجيه قال قتادة الظالم لنفسه
اصحاب المشأمه والمقتصد اصحاب الميمنه والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم كما قال سبحانه وكنتم ازواجا ثلثة
وقال عكرمة عن ابن عباس ان الظالم هو المنافق والمقتصد والسابق من جميع الناس وقال الحسن السابقون هم الصحابة والمقتصدون
هم التابعون والظالمون هم المنافقون فان قيل لم قدم الظالم واخر السابق وانما يقدم الافضل فالجواب انهم قد يقدمون الادنى

ابن جني ويحتمل عندي ان يكون اكتفى من جميع الاسم بالسين فياء فيه حرف نداء كقولك يا رجل ونظير حذف بعض الاسم قول
النبي ص وآله كفى بالسيف شا اى شاهدا فحذف العين واللام فكذلك حذف من انسان الفاء والعين وجعل ما بقي منه اسما
قائما برأسه وهو السين فقيل يس وهو شبيه بقول الشاعر قلنا لها قفي لنا قالت قاف اى وقفت ومن قرأ فاعشيناهم
بالعين فانه منقول من عشي يعشى اذا ضعف بصره واعشيته انا واما اغشيناهم بالغين المعجمة فعلى حذف المضاف اى
فاغشينا ابصارهم اى جعلنا عليها غشاوة والغشاوة على العين كالغشي على القلب فيلتقي معنى القرائتين ولما من قرأ
انذرتهم بهمزة واحدة فانه حذف الهمزة التي للاستفهام تخفيفا وهو يريدها كما قال الكميت طربت وما شوقا الى البيض اطرب
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب والمعنى اوذو الشيب يلعب تناكرا لذلك وكبيت الكتاب لعمرك ما ادري وان كنت داريا
شعيب بن سهم او شعيب بن منقر اللغة المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه وقيل هو المقنع وهو الذي يجذب ذقنه
حتى تصير في صدره ثم يرفع وقيل للكانونين شهرا قماح لان الابل اذا وردت الماء ترفع رؤسها لشدة برده ويقال قمح البعير
اذا رفع رأسه ولم يشرب الماء وبعير قامح وابل اقماح وقمحتها انا قال الشاعر يصف سفينة ركبها ونحن على جوانبها قعود
نغض الطرف كالابل القماح الاعراب على في قوله على صراط يتعلق بالمرسلين تقديره ارسلوا على صراط ويجوز ان يكون
الجار والمجرور في موضع خبر ان فيكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قال ارسلوا مستقيما
طريقتهم ما انذر آباؤهم الاجود ان يكون ما نافية ويكون الجملة في موضع نصب لانها صفة قوم ويجوز ان يكون ما حرفا موصولا
مصدريا على تقدير لتنذر قوما انذار آباؤهم قيل نزل قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا في ابي جهل كان حلف لان رأى
محمدا ص وآله ليرضخن رأسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه اثبتت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد
الى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاغشى
الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال
بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه ولو دنوت منه لاكلني وروى ابو حمزة الثمالي عن عمار بن عاصم عن شقيق بن سلمة عن
عبد الله بن مسعود ان قريشا اجتمعوا بباب النبي ص وآله فخرج اليهم فطرح التراب على رؤسهم وهم لا يبصرونه قال عبد الله
هم الذين سحبوا في القليب قليب بدر وروى ابو حمزة عن مجاهد عن ابن عباس ان قريشا اجتمعت فقالت لئن دخل محمد لنقومن
اليه قيام رجل واحد فدخل النبي ص وآله فجعل الله من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فلم يبصروه فصلى النبي ص وآله ثم
اتاهم فجعل ينثر على رؤسهم التراب وهم لا يرونه فلما خلى عنهم رأوا التراب فقالوا هذا ما سحركم به ابن ابي كبشة المعنى يس
قد مضى الكلام في الحروف المعجمة عند مفتتح السور في اول البقرة واختلاف الاقوال فيها وقيل ايضا يس معناه يا انسان
عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه يا رجل عن الحسن وابي العالية وقيل معناه يا محمد عن سعيد بن جبير ومحمد بن الحنفية
وقيل معناه يا سيد الاولين والآخرين وقيل هو اسم النبي ص وآله عن علي وابي جعفر الباقر ع وقد ذكرنا الرواية فيه قبل والقرآن
الحكيم اقسم الله سبحانه بالقرآن المحكم من الباطل وقيل سماه حكيما لما فيه من الحكمة فكأنه المظهر للحكمة الناطق بها انك لمن
المرسلين اى ممن ارسله الله تعالى بالنبوة والرسالة على صراط مستقيم يؤدي بسالكه الى الحق او الى الجنة وقيل معناه على شريعة
واضحة ومحجة لا عوج تنزيل العزيز اى هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه ولذلك ارسله ثم بين سبحانه الغرض
في بعثته فقال لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اى لتخوف به من معاصي الله قوما لم ينذر آباؤهم قبلهم لانهم كانوا في زمان الفترة
بين عيسى ومحمد ع عن قتادة وقيل لم يأتهم نذير من انفسهم وقومهم وان جاءهم من غيرهم عن الحسن وقيل معناه لم يأتهم
من انذرهم بالكتاب حسب ما اتيت وهذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا ص وآله من هو نبي كخالد بن سنان وقس
بن ساعدة وغيرهما وقيل معناه لتنذر قوما كما انذر آباؤهم فهم غافلون عما تضمنه القرآن وعما انذرهم الله به من نزول
العذاب والغفلة مثل السهو وهو ذهاب المعنى عن النفس ثم اقسم سبحانه مرة اخرى فقال لقد حق القول على اكثرهم اى وجب

الوعيد واستحقاق العذاب عليهم فهم لا يؤمنون ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله تعالى وقيل تقديره لقد حق القول
على اكثرهم اي وجب الوعيد واستحقاق العذاب عليهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه اخبر ملائكته انهم لا يؤمنون فحق قوله
عليهم انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهي يعني ايديهم كنى عنها وان لم يذكرها لان الاغلال والاعناق تدلان
عليها وذلك ان الغل انما يجمع اليد الى الذقن والعنق ولا يجمع الغل العنق الى الذقن وروي عن ابن عباس وابن مسعود انهما
قرآ انا جعلنا في ايمانهم اغلالا وقرا بعضهم في ايديهم والمعنى في الجميع واحد لان الغل لا يكون في العنق دون اليد ولا في اليد
دون العنق ومثل هذا قول الشاعر ولم ادري اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما يليني والخير الذي انا ابتغيه ام الشر الذي لا يأتليني
ذكر الخير وحده ثم قال ايهما يليني لانه قد علم ان الخير والشر معرضان للانسان فلم يبد ان يلقاه هذا ام ذلك ومثله في التنزيل
وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ولم يقل والبرد لان ما يقي من الحر يقي من البرد واختلف في معنى الآية على وجوه احدها انه سبحانه انما
ذكره ضربا للمثل وتقديره مثل هؤلاء المشركين في اعراضهم عما تدعوهم اليه كمثل رجل غلت يداه الى عنقه لا يمكنه ان يبسطهما الى
خير ورجل طامح برأسه لا يبصر موطئ قدميه عن الحبس والجبائي قال ونظيره قول الافوه الاودي كيف الرشاد وقد صرنا الى نفر
لهم عن الرشد اغلال واقياد ونحوه كثير في كلام العرب وثانيها ان المعنى كان هذا القرآن اغلال في اعناقهم يمنعهم عن الخضوع
لاستماعه وتدبره لثقله عليهم وذلك انهم لما استكبروا عنه وانفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعا رأسه لاويا عنقه شامخا
بانفه لا ينظر الى الارض صاروا كانما غلت ايديهم الى اعناقهم وانما اضاف ذلك الى نفسه لان عند تلاوته القرآن عليهم و
دعوته اياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله حتى انسوكم ذكري عن ابي مسلم وثالثها ان المعني بذلك ناس من قريش هموا
بقتل النبي صلى الله عليه وآله فجعلت ايديهم الى اعناقهم فلم يستطيعوا ان يبسطوا اليه يدا عن ابن عباس والسدي ورابعها ان المراد
به وصف حالهم يوم القيمة فهو مثل قوله اذ الاغلال في اعناقهم وانما ذكره بلفظ الماضي للتحقيق وقوله فهم مقمحون اراد
ان ايديهم لما غلت الى اعناقهم رفعت الاغلال اذقانهم ورؤسهم صعدا فهم مرفوعوا الرؤس برفع الاغلال اياها
عن الازهري ويدل على هذا المعنى قول قتادة مقمحون مغلولون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون هذا على احد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في اعراضهم عن الايمان وقبول الحق وذلك عبارة عن خذلان
الله اياهم لما كفروا فكانه قال تركناهم مخذولين فصار ذلك من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا واذا قلنا انه وصف حالهم
في الآخرة فالكلام على حقيقته ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدما ولا متاخرا اذ سد عليهم جوانبهم
واذا حملناه على صفة القوم الذين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله فالمراد جعلنا بين ايدي اولئك الكفار منعا ومن خلفهم منعا حتى
لم يبصروا النبي صلى الله عليه وآله وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون اي فاغشينا ابصارهم فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وآله فقد
روي ان ابا جهل هم بقتله صلى الله عليه وآله فكان اذا خرج بالليل لا يراه ويحول الله بينه وبينه وقيل فاغشيناهم اي اعميناهم
فهم لا يبصرون الهدى وقيل فاغشيناهم بالعذاب فهم لا يبصرون في النار وقيل معناه انهم لما انصرفوا عن الايمان والقرآن
لزمهم ذلك حتى لا يكادون يتخلصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طريقه وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
هذا مفسر في سورة البقرة قوله تعالى إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ إِنَّا نَحْنُ
نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا
الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
مُّسْرِفُونَ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ عشر آيات القرآة قرا ابو بكر فعززنا بالتخفيف والباقون بتشديد الزاي
وقرا ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب اين ذكرتم بهمزة واحدة ممدودة وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب اين ذكرتم بهمزة

ع ١٠

حس

عشر

واحدة غير ممدودة وقرا ابو جعفر آن بهمزة واحدة مطولة والثانية ملينة مفتوحة ذكرتم مخففة والباقون ان ذكرتم بهمزتين
الحجة قال ابو علي قال بعضهم عززنا قوينا وكثرنا واما عززنا فغلبنا من قوله وعزني في الخطاب وقوله ائن ذكرتم فانما هي ان الجزاء
دخلت عليها الف الاستفهام والمعنى ائن ذكرتم تشأمتم فحذف الجواب لان تطيرنا بكم تشأمنا بكم واصل تطيرنا تفعلنا من الطائر
عند العرب الذي به يتشأمون ويتيمنون ومن قرا ان ذكرتم فتح ان فالمعنى الان ذكرتم تشأمتم واما تخفيف الهمزة وتحقيقها
فقد تقدم ذكرهما في مواضع الاعراب وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر الذي هو احصيناه والتقدير احصينا كل
شيء احصيناه اصحاب القرية بدل من مثلا اذ جاءها المرسلون العامل في اذ محذوف تقديره قصة اصحاب القرية كائنة اذ جاءها
واذ ارسلنا بدل من الاول المعنى لما اخبر سبحانه عن اولئك الكفار انهم لا يؤمنون وانه سواء عليهم الانذار وترك الانذار عقبه
بذكر حال من ينتفع بالانذار فقال انما تنذر من اتبع الذكر والمعنى انما ينتفع بانذارك وتخويفك من اتبع القرآن لان نفس
الانذار قد حصل للجميع وخشي الرحمن بالغيب اى في حال غيبته عن الناس بخلاف المنافق وقيل معناه وخشي الرحمن فيما غاب
عنه من امر الآخرة فبشره اى فبشر يا محمد من هذه صفته بمغفرة من الله لذنوبه واجر كريم اى ثواب خالص من الشوائب ثم اخبر
سبحانه عن نفسه فقال انا نحن نحيي الموتى في القيمة للجزاء ونكتب ما قدموا من طاعاتهم ومعاصيهم في دار الدنيا عن مجاهد و
قتادة وقيل نكتب ما قدموه من عمل ليس له اثر وآثارهم اى ما يكون له اثر عن الجبائي وقيل يعني باثارهم اعمالهم التي صارت سنة
بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت ام قبيحة وقيل ونكتب خطاهم الى المساجد وسبب ذلك ما رواه ابو سعيد الخدري ان
بني سلمة كانوا في ناحية من المدينة فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد منازلهم من المسجد والصلوة معه فنزلت الاية وفي الحديث
عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان اعظم الناس اجرا في الصلوة ابعدهم اليها ممشى فابعدهم رواه البخاري
ومسلم في الصحيح وكل شيء احصيناه في امام مبين اى واحصينا وعددنا كل شيء من الحوادث في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ و
الوجه في احصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به اذا قابلوا به ما يحدث من الامور ويكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على
التفصيل وقيل اراد به صحايف الاعمال وسمى ذلك مبينا لانه لا يدرس اثره عن الحس ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله واضرب
لهم يا محمد مثلا اى مثل لهم مثلا وهو من قولهم هذه الاشياء ضراب اى امثال وقيل معناه واذكر لهم مثلا اصحاب القرية وهذه القرية
انطاكية في قول المفسرين اذ جاءها المرسلون اى حيث بعث الله اليهم المرسلين اذ ارسلنا اليهم اثنين اى رسولين من رسلنا
فكذبوهما اى فكذبوا الرسولين وقال ابن عباس ضربوهما وحبسوهما فعززنا بثالث اى فقوينا هما وشددنا ظهورهما برسول ثالث
ماخوذ من العزة وهي القوة والمنعة ومنه قولهم من عز بز اى من غلب سلب قال شعبة كان اسم الرسولين شمعون ويوحنا
واسم الثالث بولس وقال ابن عباس وكعب صادق وصدوق والثالث سلوم وقيل انهم رسل عيسى عليه السلام وهم الحواريون عن وهب
عن وهب وكعب قالا وانما اضافهم سبحانه الى نفسه لان عيسى عليه السلام ارسلهم بامره فقالوا انا اليكم مرسلون اى قالوا لهم يا اهل القرية
قد ارسلنا الله اليكم قالوا يعني قال اهل القرية ما انتم الا بشر مثلنا فلا تصلحون للرسالة كما لا نصلح نحن لها وما انزل الرحمن
من شيء تدعوننا اليه ان انتم الا تكذبون اى ما انتم الا كاذبين فيما تزعمون اعتقدوا ان من كان مثلهم في البشرية لا يصلح
ان يكون رسولا وذهب عليهم ان الله سبحانه يختار من يشاء لرسالته وانه علم من هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحمل اعبائها
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون انما قالوا ذلك بعد ما قامت الحجة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ووجه الاحتجاج بهذا القول
انهم الزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون على الله ففي ذلك تهديد شديد وما علينا الا البلاغ المبين
اى وليس يلزمنا الا اداء الرسالة والتبليغ الظاهر وقيل معناه وليس علينا ان نحملكم على الايمان فانا لا نقدر عليه قالوا اى
قال هؤلاء الكفار في جواب الرسل حين عجزوا عن ايراد شبهة وعدلوا عن النظر في المعجزة انا تطيرنا بكم اى تشأمنا بكم لئن لم تنتهوا عما
تدعونه من الرسالة لنرجمنكم بالحجارة عن قتادة وقيل معناه لنشتمنكم عن مجاهد وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا يعني الرسل طائركم
معكم اى الشوم كله معكم باقامتكم على الكفر بالله تعالى فاما الدعاء الى التوحيد وعبادة الله تعالى ففيه غاية البركة والخير واليمن

ولا شؤم فيه وقيل معنى طائركم حظكم ونصيبكم من الخير والشر عن ابي عبيدة والمبرد ائن ذكرتم اى ائن ذكرتم قلتم هذا القول
وقيل معناه الآن ذكرناكم هددتمونا وهو مثل الاول وقيل معناه ان تدبرتم عرفتم صحة ما قلناه لكم بل انتم قوم مسرفون معناه ليس
فينا ما يوجب التشأم بنا ولكنكم متجاوزون عن الحد في التكذيب للرسل والمعصية والاسراف الافساد ومجاوزة الحد والسرف
الفساد قال طرفة ان امرأ سرف الفؤاد يرى عسلا بماء سحابة شتمي اى فاسد القلب وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وكان اسمه
حبيب النجار عن ابن عباس وجماعة المفسرين وكان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية وكان منزله عند اقصى باب من ابواب
المدينة فلما بلغه ان قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاء يعدو ويشتد قال يا قوم اتبعوا المرسلين الذين ارسلهم الله
اليكم واقروا برسالتهم قالوا او انما علم هو بنبوتهم لانهم لما دعوه قال اتأخذون على ذلك اجرا قالوا لا وقيل انه كان به زمانة
او جذام فابرأوه فامن بهم عن ابن عباس القصة قالوا بعث عيسى ع رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة
رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان
الى عبادة الرحمن فقال امعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لى ابنا مريضا
صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله صحيحا
ففشى الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لها ملك يعبد الاصنام فانهى الخبر اليه فدعاهما فقال لهما
من انتما قالا رسولا عيسى ع جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولكما اله سوى
آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال قوما حتى انظر في امركما فاخذهما الناس في السوق وضربوهما قال وهب بن منبه بعث
عيسى ع هذين الرسولين الى انطاكية فاتياها ولم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب
الملك وامر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذب الرسولان بعث عيسى ع شمعون الصفا راس الحواريين على
اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته
وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك
فهل سمعت قولهما قال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك
فقال لهما شمعون من ارسلكما هيهنا قالا الله الذي خلق كل شيء لا شريك له قال وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤا
بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعا
في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ارايت لو سالت الهك حتى يصنع صنيعا مثل هذا
فيكون لك ولالهك الشرف فقال الملك ليس لى عنك سر ان الهنا الذى نعبده لا يضر ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين ان
قدر الهكما على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان هيهنا ميتا مات منذ سبعة ايام لم ندفنه
حتى يرجع ابوه وكان غايبا فجاؤا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا
فقام الميت وقال لهم انى قدمت منذ سبعة ايام وادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا بالله فتعجب
الملك فلما علم شمعون ان قوله اثر في الملك دعاه الى الله فامن وآمن من اهل مملكته قوم وكفر آخرون وقد روى مثل ذلك
العياشي باسناده عن الثمالي وغيره عن ابي جعفر وابي عبد الله ع الا ان في بعض الروايات بعث الله الرسولين الى اهل انطاكية
ثم بعث الثالث وفي بعضها ان عيسى اوحى الله اليه ان يبعثهما ثم بعث وصيه شمعون ليخلصهما وان الميت الذى احياه
الله بدعائهما كان ابن الملك وانه قد خرج من قبره ينفض التراب عن راسه فقال له يا بني ما حالك قال كنت ميتا فرأيت
رجلين ساجدين يسألان الله ان يحييني قال يا بني فتعرفهما اذا رأيتهما قال نعم فاخرج الناس الى الصحراء فكان يمر عليه رجل
بعد رجل فمر احدهما بعد جمع كثير فقال هذا احدهما ثم مر الآخر فعرفهما واشار بيده اليهما فامن الملك واهل مملكته وقال ابن اسحق
بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم

الى طاعة الرسول قوله تعالى اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون
ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني امنت بربكم فاسمعون
قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما انزلنا على قومه من بعده من جند
من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
عشر آيات القراءة قرا ابو جعفر الا صيحة واحدة بالرفع والباقون بالنصب وفي قراءة ابن مسعود وعبد الرحمن بن الاسود الا زقية
وقرا الاعرج ومسلم بن جندب يا حسرة على العباد ساكنة الهاء وقراءة علي بن الحسين وابي بن كعب وابن عباس والضحاك
ومجاهد يا حسرة العباد مضافا الحجة قال ابن جني الرفع ضعيف لتانيث الفعل فلا يقوى ان يقال ما قامت الا هند و
المختار ما قام الا هند وذلك ان الكلام محمول على معناه اي ما قام احد الا هند ثم انه لما كان محصول الكلام قد كانت هناك
صيحة واحدة جيء بالتانيث حملا للفظ عليه ومثله قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم بالتاء وعليه قول ذي الرمة
برى النحز والاجرال ما في غروضها فما بقيت الا الصدور الجراشع ولما زقية فمن زقا الطاير يزقو ويزقي زقوا وزقيا اذا صاح وهي
الزقية والزقوة وكانه انما استعمل ههنا صياح الديك ونحوه تنبيها على ان البعث بما فيه من عظيم القدرة في استثارة الموتى
من القبور سهل على الله تعالى كزقية زقاها طاير فهذا كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة واما من قرا يا حسرة على العباد
بسكون الهاء فيمكن ان يكون حسرة غير معلقة بعلى فيحسن الوقف عليها ثم تعلق على بمضمر يدل عليه قوله حسرة فكانه
قال اتحسر على العباد ومثل هذا كثير في التنزيل واذا كان حسرة معلقة بعلى او موصوفة فلا يحسن الوقف عليها دونه وعلى
هذا فيمكن ان يكون ذلك لتقوية المعنى في النفس وذلك انه موضع تنبيه وتذكير فطال الوقوف على الهاء كما يفعل المستعظم
للامر المتعجب منه الدال على انه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره ثم قال من بعد على العباد واما من قرا يا حسرة العباد
مضافا فان فيه وجهين احدهما ان يكون العباد فاعلين في المعنى كقولك يا قيام زيد والمعنى كان العباد اذا شاهدوا
العذاب والاخر ان العباد مفعولون في المعنى ويدل عليه القراءة الظاهرة يا حسرة على العباد ان يتحسر عليهم من يعنيه امرهم
وهذا وجه وفتح ابو عمرو والياء من قوله وما لي لا اعبد لئلا يكون الابتداء بلا اعبد وقرا في النمل ما لي لا ارى الهدهد بسكون الياء
المعنى ثم ذكر سبحانه تمام الحكاية عن الرجل الذي جاءهم من اقصى المدينة فقال اتبعوا من لا يسالكم اجرا اي وقال لهم
اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الاجر ولا يسئلونكم اموالكم على ما جاءكم به من الهدى وهم مع ذلك مهتدون الى
طريق الحق سالكون سبيله قالوا فلما قال هذا اخذوه فرفعوه الى الملك فقال له الملك افانت تتبعهم فقال وما لي لا اعبد الذي
فطرني اي واي شيء لي اذا لم اعبد خالقي الذي انشاني وانعم علي وهداني واليه ترجعون اي تردون عند البعث فيجزيكم بكفركم
ثم انكر اتخاذ الاصنام وعبادتها فقال ءاتخذ من دونه الهة اعبدهم ان يردن الرحمن بضر اي اراد الله اهلاكي او الاضرار بي لا تغن
عني شفاعتهم شيئا اي لا تدفع ولا تمنع عني شفاعتهم شيئا والمعنى لا شفاعة لهم فتغني ولا ينقذون اي لا يخلصوني من ذلك الهلاك
او الضر والمكروه اني اذا لفي ضلال مبين اي اني ان فعلت ذلك في عدول عن الحق واضح والوجه في هذا الاحتجاج ان العبادة
لا يستحقها الا الله سبحانه المنعم باصول النعم بما لا يوازيه نعمة منعم اني امنت بربكم الذي خلقكم واخرجكم من العدم الى
الوجود فاسمعون اي فاسمعوا قولي واقبلوه عن وهب وقيل انه خاطب بذلك الرسل اي فاسمعوا ذلك مني حتى تشهدوا لي
به عند الله عن ابن مسعود قال ثم ان قومه لما سمعوا ذلك منه وطئوه بارجلهم حتى مات فادخله الله الجنة فهو حي فيها يرزق
وهو قوله قيل ادخل الجنة وقيل رجموه حتى قتلوه عن قتادة وقيل ان القوم لما ارادوا ان يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة لا
يموت الا بفناء الدنيا وهلاك الجنة عن الحسن ومجاهد وقالا ان الجنة التي دخلها يجوز هلاكها وقيل انهم قتلوه الا ان الله
سبحانه احياه وادخله الجنة فلما دخلها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي تمنى ان يعلم قومه ما اعطاه الله تعالى من المغفرة
وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله ويؤمنوا لينالوا ذلك وفي تفسير الثعلبي بالاسناد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن النبي صلى الله عليه وآله

سباق

سباق الامم ثلثه لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب ع وصاحب يس ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون وعلي
افضلهم وجعلني من المكرمين اي من المدخلين الجنة والاكرام هو اعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التبجيل والاعظام وفي هذا
دلالة على نعيم القبر لانه انما قال ذلك وقومه احياء واذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فان الخلاف فيهما واحد وما في قوله بما غفر لي
ربي مصدرية والمعنى بمغفرة الله لي ويجوز ان يكون معناه بالذي غفر لي به ربي فيكون اسما موصولا ويجوز ان يكون المعنى باي
شيء غفر لي ربي فيكون استفهاما يقال علمت بما صنعت هذا باثبات الالف وبم صنعت هذا بحذفها الا ان الحذف اجود في هذا
المعنى ثم حكى سبحانه ما انزل بقومه من العذاب والاستيصال فقال وما انزلنا على قومه من بعده اي من بعد قتله او من
بعد رفعه من جند من الملائكة اي لم ننتصر منهم بجند من السماء ولم ننزل لاهلاكهم بعد قتلهم الرسل جندا من السماء يقاتلونهم
وما كنا منزلين اي وما كنا ننزلهم على الامم اذا اهلكناهم وقيل معناه وما انزلنا على قومه بعده رسالة من السماء قطع الله عنهم
الرسالة حين قتلوا رسله عن مجاهد والحسن والمراد ان الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الانبياء ثم بين سبحانه باي
شيء كان هلاكهم فقال ان كانت الا صيحة واحدة اي كان هلاكهم عن آخرهم بايسر امر صيحة واحدة حتى هلكوا باجمعهم فاذا هم
خامدون اي ساكنون قد ماتوا قيل انهم لما قتلوا حبيب بن مري النجار غضب الله عليهم فبعث جبرائيل ع حتى اخذ بعضادتي
باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار اذا اطفئت يا حسرة على العباد معناه يا ندامة
على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا ثم بين سبب الحسرة فقال ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن عن
مجاهد وهذا من قول الله سبحانه والمعنى انهم حلوا محل من يتحسر عليه وقيل ان المعنى يا ويلا على العباد عن ابن عباس
ويحتمل ان يكون ذلك من كلام الرجل المذكور وقال ابو العالية انهم لما عاينوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد يعني على
الرسل حيث لم نؤمن بهم فتمنوا الايمان وندموا حيث لم تنفعهم الندامة وقال الزجاج اذا قال قائل ما الفائدة في مناداة
الحسرة والحسرة مما لا يجيب فالفائدة في ذلك ان النداء باب تنبيه فاذا قلت للمخاطب انا اعجب مما فعلت فقد افدته
انك متعجب واذا قلت واعجباه افعل كذا كان دعاؤك العجب ابلغ في الفائدة والمعنى يا عجب اقبل فانه من اوقاتك و
كذلك اذا قلت ويل زيد لم فعل كذا كان ابلغ وكذلك في كتاب الله تعالى يا ويلتا ويا حسرتا ويا حسرة على العباد والحسرة
ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيرا قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون • وان كل لما جميع لدينا محضرون • وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه
يأكلون • وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون • ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون •
خمس آيات القراءة قرا عاصم وحمزة وابن عامر لما جميعا بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وقرا اهل الكوفة غير حفص وما
عملت بغير هاء والباقون وما عملته الحجة من خفف الميم من لما فان من قوله وان كل مخففة من الثقيلة وما من لما مزيدة
والتقدير وانه كل لجميع لدينا محضرون ومن شدد الميم من لما فان لما هنا بمعنى الا يقال سألتك لما فعلت كذا والا فعلت
وان نافية فيكون التقدير ما كل الا محضرون وقوله وما عملته ايديهم فان الحذف في التنزيل من هذا كثير نحو قوله وسلام على
عباده الذين اصطفى واهذا الذي بعث الله رسولا وموضع ما جر والتقدير ليأكلوا مما عملته ايديهم ويجوز ان يكون ما نافية
اي ولم تعمله ايديهم ويقوي ذلك قوله ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون الاعراب انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم
اهلكنا والتقدير الم يروا انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون بهم ووجه التذكير اي الكم سيصير
الى مثل حالهم فانظروا لانفسكم واحذروا ان يأتيكم الهلاك وانتم في غفلة وغرة كما اتاهم ويمسي اهل كل عصر قرنا لاقترانهم
في الوجود وان كل لما جميع لدينا محضرون معناه ان الامم يوم القيامة يحضرون فيقفون على ما عملوه في الدنيا اي كل
الماضين والباقين مبعوثون للحساب والجزاء ثم قال سبحانه وآية لهم اي ودلالة وحجة قاطعة لهم على قدرتنا على البعث
الارض الميتة احييناها اي الارض القحطة الجدبة التي لا تنبت احييناها بالنبات واخرجنا منها حبا اي كل حب يتقوتونه

حزب ١

مثل الحنطة والشعير والارز وغيرها من الحبوب فمنه ياكلون اى فمن الحب ياكلون وجعلنا فيها جنات اى بساتين
من نخيل واعناب وانما خص النوعين لكثرة انواعهما ومنافعهما وفجرنا فيها من العيون اى وفجرنا فى تلك الارض الميتة او فى
تلك الجنات عيونا من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل ثم بين سبحانه انه انما فعل ذلك لياكلوا من ثمره اى من ثمر النخيل رد
الضمير الى احد المذكورين كما قال ولا ينفقونها فى سبيل الله والمعنى غرضنا نفعهم بذلك وانتفاعهم باكل ثمار الجنات وما عملته
ايديهم اى ولم تعمل تلك الثمار ايديهم هذا اذا كان ما بمعنى النفي قال الضحاك اى وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها اراد انه
من صنع الخالق ولم يدخل فى مقدورات الخلايق ولذا كان بمعنى الذي فالتقدير والذى عملته ايديهم من انواع الاشياء المتخذة
من النخل والعنب الكثيرة منافعها وقيل تقديره ومن ثمره وما عملته ايديهم يعنى الغروس والزروع التى قاسوا احراثها افلا
يشكرون اى الا يشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم وهذا تنبيه منه سبحانه لخلقه على شكر نعمائه وذكر جميل آلائه قوله تعالى

سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * خمس آيات

القراءة قرا زيد عن يعقوب لمستقر بكسر القاف والباقون بفتحها وقرا اهل الحجاز والبصرة عن ابي جعفر ورويس والقمر بالرفع و
الباقون بالنصب وروى عن على بن الحسين زين العابدين ع وابى جعفر الباقر وجعفر الصادق ع وابن عباس وابن مسعود
وعكرمة وعطاء بن ابي رباح لا مستقر لها بنصب الراء الحجة قال ابو على الرفع على تقدير وآية لهم القمر قدرناه منازل مثل
قوله وآية لهم الليل فهو على هذا اشبه بالجمل التى قبلها والقول فى آية انه يرتفع بالابتداء ولهم صفة للنكرة والخبر مضمر تقديره
وآية لهم فى الشاهد او الوجود وقوله الليل نسلخ منه النهار والقمر قدرناه منازل تفسير للآية كما ان قوله لهم مغفرة
تفسير للوعد وللذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية ومن نصب فقد حمله على زيدا ضربته واما قوله لا مستقر لها فظاهره
العموم والمعنى الخصوص فهو بمنزلة قوله ابكى لفقدك ما ناحت مطوقة وما سما فرخ يوما على ساق والمعنى لو عشت ابدا
لبكيتك وكذلك قوله لا مستقر لها اى ما دامت السموات على ما هى عليه فاذا زالت السموات استقرت الشمس وبطل
سيرها اللغة السلخ اخراج الشيء من لباسه ومنه اخراج الحيوان من جلده ومنه قوله فانسلخ منها اى فخرج منها
خروج الشيء مما لابسه والعرجون العذق الذى فيه الشماريخ وهو العثكول والعثكال والقناء والقنو وهو فعلول قال رؤبة
فى خدر مياس الدمى معرجن الاعراب والقمر قدرناه منازل تقديره ذا منازل ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
ولا يجوز ان يكون بلا حذف لان القمر غير المنازل وانما يجرى فى المنازل ولا يجوز ان ينصب منازل على الظرف لانه محدود
والفعل لا يصل الى المحدود الا بحرف جر نحو جلست فى المسجد ولا يجوز دخلت المسجد المعنى ثم نزه سبحانه نفسه
وعظمها دالا بذلك على انه هو الذى يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فقال سبحن الذي خلق الازواج كلها اى تنزيها
وتعظيما وبراءة عن السوء الذى خلق الاصناف والاشكال من الاشياء فالحيوان على مشاكلة الذكر والانثى وكذلك
النخل والحبوب اشكال والتين والكرم ونحوها اشكال فلذلك قال مما تنبت الارض اى من ساير النبات ومن انفسهم
اى وخلق منهم اولادا ازواجا ذكورا واناثا ومما لا يعلمون مما فى بطون الارض وقعر البحار فلم يشاهدوه ولم يصل
خبره اليهم وآية لهم اى دلالة لهم اخرى الليل نسلخ منه النهار اى ننزع منه ونخرج ضوء الشمس فيبقى الهواء مظلما
كما كان لان الله سبحانه يضيء الهواء بضياء الشمس فاذا سلخ منه الضياء اى كشط وازيل يبقى مظلما وقيل انما قال سبحانه
نسلخ منه النهار لانه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته وجعل النهار كالقشر وكان النهار عارض كالكسوة والليل اصل
فهو كالجسم وقوله فاذا هم مظلمون اى داخلون فى ظلام الليل لا ضياء لهم فيه والشمس تجري لمستقر لها معناه ودلالة
اخرى لهم الشمس وفى قوله لمستقر لها اقوال احدها انها تجري لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجري حتى تنقضي

الدنيا عن جماعة من المفسرين قال ابو مسلم ويعني هذا ومعنى لا مستقر لها اقوال احدها انها تجري لانتهاء امرها عند
انقضاء الدنيا وثانيها انها تجري لوقت واحد لا تعدوه ولا تختلف عن قتادة وثالثها انها تجري الى اقصى منازلها في الشتاء
والصيف لا تجاوزها والمعنى ان لها في الارتفاع غاية لا تجاوزها ولا تنقطع دونها ولها في الهبوط غاية لا تجاوزها ولا
تقصر عنها فهو مستقرها ذلك تقدير العزيز اى القادر الذى لا يعجزه شيء العليم الذى لا يخفى عليه شيء والقمر قدرناه منازل
وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل يوم وليلة منزلا منها لا يختلف حاله في ذلك الى ان يقطع الفلك حتى عاد
كالعرجون القديم اى عاد في آخر الشهر دقيقا كالعذق اليابس العتيق ثم يخفى يومين آخر الشهر وانما شبهه سبحانه
بالعذق لانه اذا مضت عليه الايام جف وتقوس فيكون اشبه الاشياء بالهلال وقيل ان العذق يصير كذلك
في كل ستة اشهر وروى علي بن ابرهيم باسناده قال دخل ابو سعيد المكارى وكان واقفيا على ابي الحسن الرضا ع فقال
له ابلغ من قدرك انك تدعى ما ادعاه ابوك فقال له ابو الحسن ع ما لك اطفأ الله نورك وادخل الفقر بيتك اما علمت
ان الله عز وجل اوحى الى عمران اني واهب لك ذكرا يبرئ الاكمه والابرص فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم
ومريم من عيسى وعيسى ومريم شيء واحد وانا من ابي وابي مني وانا وابي شيء واحد فقال له ابو سعيد فاسئلك عن مسئلة قال
سل ولا اخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن هلمها قال ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك لي قديم فهو حر لوجه الله فقال
ابو الحسن ع ما ملكه لستة اشهر فهو قديم وهو حر قال وكيف صار كذلك قال لان الله تعالى قال عز وجل والقمر قدرناه منازل
حتى عاد كالعرجون القديم سماه الله قديما ويعود كذلك لستة اشهر قال فخرج ابو سعيد من عنده وذهب بصره وكان
يسأل على الابواب حتى مات لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر في سرعة سيره لان الشمس ابطأ سيرا من القمر فانها
تقطع منازلها في سنة والقمر يقطعها في شهر والله سبحانه يجريهما اجراء التدوير باين بين فلكيهما ومجاريهما فلا
يمكن ان يدرك احدهما الآخر ما داما على هذه الصفة ولا الليل سابق النهار اى لا يسبق الليل النهار وقيل معناه لا
يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم بل يتعاقبان كما قدره الله تعالى عن عكرمة وروى العياشي في تفسيره بالاسناد عن الاشعث
بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا والفضل بن سهل والمامون في الايوان الحيري بمرو فوضعت المائدة فقال
الرضا ع ان رجلا من بني اسرائيل سألني بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل فما عندكم فادارا الكلام فلم يكن
عندهم في ذلك شيء فقال الفضل للرضا ع اخبرنا بها اصلحك الله قال نعم من القرآن ام الحساب قال له الفضل من
جهة الحساب قال قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشترى
في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء
فالنهار خلق قبل الليل وفي قول الله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اى قد سبقه النهار
ثم قال وكل من الشمس والقمر والنجوم في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وكل ما انبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه
السباحة في الماء وانما قال يسبحون بالواو والنون لما اضاف اليها ما هو من فعل الآدميين كما قال ما لكم لا تنطقون لما وصفها
بصفة من يعقل وقال ابن عباس يسبحون اى يجرى كل واحد منهما في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة قوله تعالى وَآيَةٌ لَهُمْ
أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ • وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ • وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ • إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا
إِلَى حِينٍ • وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ • وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ • وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ • وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ • فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ •
عشر آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل ذرياتهم على الجمع والباقون ذريتهم على التوحيد وقرأ

حمس

عس ع

ابن كثير وورش ومحمد بن حبيب عن الاعشى وروح وزيد عن يعقوب يخصمون بفتح الياء والخاء وتشديد
الصاد وقرأه ابو عمرو بفتح الخاء ايضا الا انه يشمه الفتح لا يشبعه وقرأ اهل المدينة غير ورش يخصمون مشددة الصاد
وقرأ حمزة يخصمون ساكنة الخاء خفيفة الصاد والباقون يخصمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد الحجة من قرأ
يخصمون حذف الحركة من التاء المدغم في يختصمون والقاها على الساكن الذي قبلها وهو الخاء وهذا احسن الوجوه بدلالة
قولهم ردّ وفرّ وعضّ القوا حركة العين على الساكن الذي قبلها كما القاه في الاول فالتقا الساكنان فحرك الحرف الذي قبل المدغم
بالكسر ومن قرأ يخصمون جمع بين الساكنين الخاء والحرف المدغم قال ابو علي ومن زعم ان ذلك ليس في طاقة اللسان فقد ادعى
ما يعلم فساده بغير استدلال واما من قرأ يخصمون فتقديره يخصم بعضهم بعضا فحذف المضاف وحذف المفعول به ويجوز
ان يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند انفسهم فحذف المفعول به ومعنى يخصمون يغلبون في الخصام خصومهم اللغة الحمل
مع الشيء ان يذهب الجهة السفل والفلك السفن لانها تدور في الماء ومنه الفلكة لانها تدور في المغزل والفلك لانها
تدور بالنجوم وفلك ثدي المرأة اذا استدار والمشحون المملوء وشحنت الثغر بالرجال شحنه شحنا اذا ملأته ومنه الشحنة لانه يملاء
بهم البلد الاعراب رحمة منا نصب على انه مفعول له ومتاعا عطف عليه ويمكن ان يكون على معنى الا ان نرحمهم رحمة ونمتعهم
متاعا المعنى ثم امتن سبحانه على خلقه بذكر فنون نعمته دالا بذلك على وحدانيته فقال وآية لهم اي وحجة وعلامة لهم على
اقتدارنا انا حملنا ذريتهم يعني اباءهم واجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم في الفلك المشحون يعني سفينة نوح ع المملوء من
الناس وما يحتاج اليه من فيها فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير وسمى الآباء ذرية من ذرا الله الخلق لان الاولاد خلقوا
منهم ويسمى الاولاد ذرية لانهم خلقوا من الاباء عن الضحاك وقتادة وجماعة المفسرين وقيل الذرية هم الصبيان والنساء و
الفلك هي السفن الجارية في البحار وخص الذرية بالحمل في الفلك لضعفهم ولانه لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال فسخر الله لهم السفن
ليمكن الحمل في البحر والابل ليمكن الحمل في البر والابل البر يقول القايل حملني فلان اذا اعطاه ما يحمل او هداه الى ما يحمل عليه
قال الشاعر الا فتى عنده خفان يحملني عليهما انني شيخ على سفر وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اي وخلقنا لهم من مثل
سفينة نوح سفنا يركبون فيها كما ركب نوح ع يعني السفن التي عملت بعد سفينة نوح مثلها على صورتها وهيئتها عن ابن
عباس وغيره وقيل ان المراد به الابل وهي سفن البر عن مجاهد وقيل مثل السفينة من الدواب كالابل والبقر والحمير وان نشاء
نغرقهم اي وان نشأ اذا حملناهم في السفن نغرقهم بتهييج الرياح والامواج فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون
اي ولا يخلصون من الغرق اذا اردناه الا رحمة منا ومتاعا الى حين اي الا ان نرحمهم بان نخلصهم في الحال من اهوال البحر ونمتعهم
الى وقت ما قدرناه لتقضي آجالهم وقيل معناه بقيناهم نعمة منا عليهم وامتاعا الى مدة واذا قيل لهم اي للمشركين اتقوا
ما بين ايديكم من امر الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء رحمة
من الله عن ابن عباس وقيل معناه اتقوا ما مضى من الذنوب وما ياتي من الذنوب عن مجاهد اي اتقوا عذاب الله بالتوبة للماضي
والاجتناب للمستقبل وقيل اتقوا العذاب المنزل على الامم الماضية وما خلفكم من عذاب الآخرة عن قتادة وروى الحلبي عن ابي
عبد الله ع قال معناه اتقوا ما بين ايديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة وجواب اذا محذوف تقديره اذا قيل لهم هذا اعرضوا
ويدل على هذا المحذوف قوله وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي اعرضوا عن الداعي وعن التفكر في الحجج
وفي المعجزات ومن في قوله من آية هي التي تزاد في النفي للاستغراق ومن الثانية للتبعيض اي ليس ياتيهم آية اية آية كانت
الا ذهبوا عنها واعرضوا عن النظر فيها وذلك سبيل من ضل عن الهدى وخسر الدنيا والاخرة واذا قيل لهم ايضا انفقوا مما رزقكم
الله في طاعته واخرجوا ما اوجب الله عليكم في اموالكم قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه احتجوا في منع
الحقوق بان قالوا كيف نطعم من يقدر الله على اطعامه ولو شاء اطعامه اطعمه فاذا لم يطعم دل على انه لم يشاء اطعامه وذهب
عليهم ان الله سبحانه انما تعبدهم بذلك لما لهم فيه من المصلحة فامر الغني بالانفاق على الفقير ليكتسب به الاجر والثواب

٢٢٤

واختلف فى هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل هم اليهود حين امروا باطعام الفقرآء عن الحسن وقيل هم مشركوا قريش قال لهم
اصحاب رسول الله صم واله اطعمونا من اموالكم ما زعمتم انه لله وذلك قوله هذا لله بزعمهم عن مقاتل وقيل هم الزنادقة الذين
انكروا الصانع تعلقوا بقوله رزقكم الله فقالوا ان كان هو الرازق فلا فايدة فى التماس الرزق منا وقد رزقنا وحرمكم فلم تأمرون
باعطاء من حرمه الله ان انتم الا فى ضلال مبين هذا من قول الكفار لمن امرهم بالاطعام عن قتادة وقيل انه من قول الله تعالى لهم حين
ردوا هذا بالجواب عن على بن عيسى ويقولون متى هذا الوعد الذى تعدنا به من نزول العذاب بنا ان كنتم صادقين فى ذلك انت
واصحابك وهذا استهزاء منهم بخبر النبى صم واله وخبر المؤمنين فقال تعالى فى جوابهم ما ينظرون اى ما ينتظرون الا صيحة واحدة يريد
النفخة الاولى عن ابن عباس يعنى ان القيمة تاتيهم بغتة تاخذهم الصيحة وهم يخصمون اى يختصمون فى امورهم ويتبايعون فى
الاسواق وفى الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم والرجل يرفع اكلته الى فيه فما
تصل الى فيه حتى تقوم والرجل يليط حوضه ليسقى ماشيته فما يسقيها حتى تقوم وقيل وهم يخصمون هل ينزل بهم العذاب ام لا
فلا يستطيعون توصية يعنى ان الساعة اذا اخذتهم بغتة لم يقدروا على الايصاء بشئ ولا الى اهلهم يرجعون اى ولا
الى منازلهم يرجعون من الاسواق وهذا اخبار عما يلقون فى النفخة الاولى عند قيام الساعة قوله تعالى ونفخ فى الصور
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون * قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * ان كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون * ان اصحاب
الجنة اليوم فى شغل فاكهون * هم وازواجهم فى ظلال على الارائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون *
سلام قولا من رب رحيم * وامتازوا اليوم ايها المجرمون * الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين *

حزب خمس عشر

عشر آيات القراءة قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعدوح فى شغل ساكنة الغين والباقون فى شغل بضم الغين وقرأ ابو جعفر فكهون
بغير الف حيث وقع ووافقه حفص فى المطففين انقلبوا فكهين وقرأ الاخرون بالالف كل القرآن وقرأ اهل الكوفة غير عاصم فى
ظلل بضم الظاء بلا الف والباقون فى ظلال وروى عن امير المؤمنين ع انه قرأ من بعثنا من مرقدنا وفى الشواذ قراءة ابن ابى ليلى
يا ويلتا وقراءة ابى بن كعب من هبنا من مرقدنا الحجة الشغل والشغل لغتان وكذلك الفكه والفاكه والظلل جمع ظلة و
الظلال يجوز ان يكون جمع ظلة ايضا فيكون كبرمة وبرام وعلبة وعلاب ويجوز ان يكون جمع ظل واما قوله من بعثنا فهو كقولك
يا ويلى من اخذك منى قال ابن جنى من الاولى متعلقة بالويل كقولك ما تألمى منك وان شئت كانت حالا فتعلقت بمحذوف
حتى كانه قال يا ويلنا كاينا من بعثنا فجاز ان يكون حالا منه كما يجوز ان يكون خبرا عنه فى مثل قول الاعشى قالت هريرة
لما جئت زايرها ويلى عليك وويلى منك يا رجل وذلك ان الحال ضرب من الخبر واما من فى قوله من مرقدنا فمتعلقة بنفس
البعث ومن قرأ يا ويلتا فاصله يا ويلتى فابدلت اليآء الفا لانه نداء فهو موضع تخفيف فتارة تحذف هذه اليآء نحو غلام وتارة
بالبدل نحو يا غلاما قال يا ابتا علك او عساكا فان قلت فكيف يا ويلتا وهذا لفظ الواحد وهم جماعة فالقول انه يكون على
ان كل واحد منهم قال يا ويلتا من بعثنا من مرقدنا ونحوه قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة اى فاجلدوا كل واحد منهم ومثله ما حكاه
ابو زيد من قولهم اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة اى كسى كل واحد منا حلة واعطى كل واحد منا مائة واما هبنا
فيمكن ان يكون هب لغة فى اهب ويمكن ان يكون على معنى هب بنا اى ايقظنا ثم حذف حرف الجر فوصل الفعل اللغة قال ابو
عبيدة الصور جمع صورة مثل بسرة وبسر وهو مشتق من صاره يصوره صورا اذا اماله فالصورة تميل الى مثلها بالمشاهدة
والجدث القبر وجمعه الاجداث وهذه لغة اهل العالية وتقول اهل السافلة بالفاء جدف والنسول الاسراع فى الخروج
يقال نسل ينسل وينسل قال امرؤ القيس وان يك قد ساءتك منى خليقة فسلى ثيابى من ثيابك تنسل وقال اخر عسلان الذئب
امسى قاربا برد الليل عليه فنسل الاعراب هذا ما وعد الرحمن مبتدأ وخبره ويكون من بعثنا من مرقدنا كلاما تاما يوقف عليه
ويجوز ان يكون هذا من نعت مرقدنا اى مرقدنا الذى كنا راقدين فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا ويكون ما وعد الرحمن خبر

مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر على تقدير هذا ما وعد الرحمن او حق ما وعد الرحمن سلام بدل من ما والمعنى لهم ما يتمنون
لهم سلام وقولا منصوب على انه مصدر فعل محذوف اى يقوله الله قولا ثم اخبر سبحانه عن النفخة الثانية وما يلقونه فيها اذا
بعثوا بعد الموت فقال ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث اى القبور الى ربهم اى الى الموضع الذى يحكم الله فيه لا حكم لغيره
هناك ينسلون اى يخرجون سراعا فلما راوا اهوال يوم القيمة قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا اى من حشرنا من منامنا الذى
كنا فيه نياما ثم يقولون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيما اخبرونا عن هذا المقام وهذا البعث قال قتادة واول الاية للكافر
واخرها للمسلمين قال الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وانما
وصفوا القبر بالمرقد لانهم لما احيوا كانوا كالمنتبهين عن الرقدة وقيل انهم لما عاينوا اهوال القيمة عدوا احوالهم فى قبورهم بال
اضافة الى تلك الاهوال رقادا قال قتادة هى النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر الا فيما بينهما فيرقدون ثم اخبر سبحانه عن
سرعة بعثهم فقال ان كانت الا صيحة واحدة اى لم تكن المدة الا مدة صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون اى فاذا الاولون
والآخرون مجموعون فى عرصات القيمة محصلون فى موقف الحساب ثم حكى سبحانه ما يقوله يومئذ للخلائق فقال فاليوم
لا تظلم نفس شيئا اى لا ينقص من لم يلحق شيئا من حقه من الثواب او العوض او غير ذلك ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب
بل الامور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ثم ذكر سبحانه اولياءه فقال ان اصحاب الجنة اليوم
فى شغل شغلهم النعيم الذى شملهم وغمرهم بسروره عما فيه اهل النار من العذاب عن الحسن والكلبي فلا يذكرونهم ولا
يهتمون لهم وان كانوا اقاربهم وقيل شغلوا بافتضاض العذارى عن ابن مسعود وابن عباس وهو المروى عن الصادق ع قال
حواجبهن كالاهلة واشفار اعينهن كقوادم النسور وقيل باستماع الالحان عن وكيع وقيل شغلهم فى الجنة سبعة انواع من
الثواب لسبعة اعضاء فثواب الرجل بقوله ادخلوها بسلام آمنين وثواب اليد يتنازعون فيها كاسا وثواب الفرج وحور عين
وثواب البطن كلوا واشربوا هنيئا الاية وثواب اللسان وآخر دعويهم الاية وثواب الاذن لا يسمعون فيها لغوا ونظايرها وثواب
العين وتلذ الاعين فاكهون اى فرحين عن ابن عباس وقيل ناعمون معجبون بما هم فيه قال ابو زيد الفكه الطيب النفس الضحوك
رجل فكه وفاكه ولم يسمع لهذا فعل فى الثلاثى وقال ابو مسلم انه ماخوذ من الفكاهة فهو كناية عن الاحاديث الطيبة وقيل
فاكهون ذوو فاكهة كما يقال شاحم لاحم اى ذو شحم ولحم وعاسل ذو عسل قال الحطيئة وغررتني وزعمت انك لابن فى الصيف
تامر اى ذو لبن وتمر ثم اخبر سبحانه عن حالهم فقال هم وازواجهم فى ظلال اى هم وحلائلهم فى الدنيا ممن وافقهم على ايمانهم
فى استار عن وهج الشمس وسمومها فهم فى مثل تلك الحال الطيبة من الظلال التى لا حر فيها ولا برد وقيل ازواجهم اللاتى زوجهم الله
تعالى من الحور العين فى ظلال اشجار الجنة وقيل فى ظلال تسترهم من نظر العيون اليهم على الارائك وهى السرر عليها الحجال
وقيل على الوسايد متكئون اى جالسون جلوس الملوك اذ ليس لهم من الاعمال شئ قال الازهرى كل ما اتكى عليه فهو اريكة والجمع
الارائك لهم فيها اى فى الجنة فاكهة ولهم ما يدعون اى ما يتمنون ويشتهون قال ابو عبيدة تقول العرب ادع على ما شئت اى تمن
على وقيل ان معناه ان كل من يدعى شيئا فهو له بحكم الله تعالى لانه قد هذب طباعهم فلا يدعون الى ما لا يحسن منهم قال الزجاج
هو ماخوذ من الدعاء يعنى ان اهل الجنة كل ما يدعونه ياتيهم ثم بين سبحانه ما يشتهونه فقال سلام اى لهم سلام ومنى اهل الجنة
ان يسلم الله عليهم قولا اى يقوله الله قولا من رب رحيم بهم يسمعونه من الله فيؤذنهم بدوام الامن والسلامة مع سبوغ النعمة
والكرامة وقيل ان الملائكة تدخل عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم ثم ذكر سبحانه اهل النار فقال وامتازوا
اليوم ايها المجرمون اى يقال لهم انفصلوا معاشر العصاة واعتزلوا من جملة المؤمنين وقيل معناه كونوا على حدة عن السدى
وقيل معناه ان لكل كافر بيتا فى النار يدخله فيردم بابه لا يرى ولا يرى عن الضحاك ثم خصهم سبحانه بالتوبيخ فقال الم اعهد اليكم
يا بنى آدم اى الم آمركم على السنة الانبياء والرسل وفى الكتب المنزلة ان لا تعبدوا الشيطان اى لا تطيعوا الشيطان فيما يامركم
به انه لكم عدو اى وقلت لكم ان الشيطان لكم عدو مبين ظاهر العداوة يدعوكم الى ما فيه هلاككم وفى هذه الاية دلالة على انه سبحانه

لا يخلق عبادة الشيطان لانه حذر من ذلك ووبخ عليه قوله تعالى وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * خمس ايات القرآءة قراء ابو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم وسكون الباء وقراء اهل المدينة وعاصم وسهل جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقراء روح وزيد جبلا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وهو قراءة الحسن والاعرج والزهري وقراء الباقون جبلا بضمها وتخفيف اللام الحجة معناهن جميعا الخلق الكثير و الجماعة والجمع والجمع الذين جبلوا على خليقه اى طبعوا واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لانه مطبوع على الثبات وقال ابو مسلم اصله الغلظة والشدة المعنى ثم قال سبحانه في حكايته ما يقوله للكفار يوم القيمة وان اعبدوني هذا صراط مستقيم فوصف عبادته بانها طريق مستقيم من حيث كانت طريق الى الجنة ثم ذكر سبحانه معاداة الشيطان لبنى آدم فقال ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اى اضل الشيطان عن الدين خلقا كثيرا منكم بان دعاهم الى الضلال وحملهم عليه واغواهم افلم تكونوا تعقلون انه يغويكم ويصدكم عن الحق فتنتهون عليه صورته استفهام ومعناه الانكار عليهم والتبكيت لهم وفي هذا بطلان مذهب اهل الجبر في ان الله سبحانه اراد اضلالهم ولو كان كما قالوه لكان ذلك اضر عليهم وانكر من ارادة الشيطان ذلك هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في دار التكليف حاضرة لكم تشاهدونها اصلوها اليوم اى الزموا العذاب بها واصل الصلى اللزوم ومنه المصلى الذي يجيء في اثر السابق للزومه اثره وقيل معناه صيروا صلاها اى وقودها عن ابى مسلم بما كنتم تكفرون جزاء لكم على كفركم بالله وتكذيبكم انبياءه اليوم نختم على افواههم هذا حقيقة الختم فيوضع على افواه الكفار يوم القيمة فلا يقدرون على الكلام والنطق وتكلمنا ايديهم بما عملوا وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون اى تستنطق الاعضاء التي كانت لا تنطق في الدنيا فتشهد عليهم ويختم على افواههم التي عهد منها النطق واختلف في كيفية شهادة الجوارح على وجوه احدها ان الله تعم يخلقها خلقة يمكنها ان تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها وثانيها ان الله تعم يجعل فيها كلاما وانما نسب الكلام اليها لانه لا يظهر الا من جهتها وثالثها ان معنى شهادتها وكلامها ان الله تعم يجعل فيها من الآيات ما يدل على ان اصحابها عصوا الله بها فسمى ذلك شهادة منها كما تقول عيناك يشهدان بسهرك وقد ذكرنا امثال ذلك فيما سلف قوله تعالى وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ * وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ * وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ * خمس آيات القرآءة قرء ابو بكر وحده مكاناتهم على الجمع والباقون على التوحيد فقد تقدم ذكر ذلك وقرء عاصم وحمزة وسهل ننكسه بضم النون الاولى وفتح النون الثانيه وكسر الكاف وتشديدها وقرء الباقون بضم الكاف وتخفيفها وقرء اهل المدينة والشام ويعقوب وسهل لتنذر بالتاء والباقون بالياء الحجة يقال نكسته ونكسته انكسه وانكسه مثل ردت ورددت غير ان التشديد للتكثير والتخفيف يحتمل القليل والكثير ومن قرء لتنذر بالتاء فهو خطاب للنبي صم والكر ومن قرء بالياء اراد القرآن ويجوز ان يريد لينذر الله اللغة الطمس محو الشيء حتى يذهب اثره فالطمس على العين كالطمس على الكتاب ومثله الطمس على المال وهو اذهابه حتى لا يقع عليه ادراك واعمى مطموس وطميس وهو ان يذهب الشق الذي بين الجفنين والمسخ قلب الصورة الى خلقة مشوهة كما مسخ قوم قردة وخنازير الاعراب ان فيجعل النصب على الحال من يبصرون او على انه في معنى مصدره المعنى ثم اخبر سبحانه عن قدرته على اهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اى لاعميناهم عن الهدى عن ابن عباس وقيل معناه لتركناهم عميا يترددون عن الحسن وقتادة والجبائى فاستبقوا الصراط اى فطلبوا طريق الحق وقد عموا عنه فانى يبصرون اى فكيف يبصرون عن ابن عباس وقيل معناه فطلبوا النجاة والسبق اليها ولا بصر لهم فكيف يبصرون و قد اعميناهم عنها وقيل طلبوا الطريق الى منازلهم فلم يهتدوا اليها ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى على مكانهم الذى هم

خمس

عشر ٤

فيه تعود والمعنى ولو نشاء لعذبناهم بنوع آخر من العذاب فاقعدناهم فى منازلهم ممسوخين قردة وخنازير والمكانة والمكان
واحد وقيل معناه ولو نشاء لمسخناهم حجارة فى منازلهم ليس فيهم ارواحهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي فلم يقدروا على
ذهاب ولا مجيء ولو فعلنا ذلك بهم وقيل معناه فما استطاعوا مضيا من العذاب ولا رجوعا الى الخلقة الاولى بعد المسخ وهذا كله
تهديد هددهم الله به ثم قال سبحانه ومن نعمره ننكسه فى الخلق اى من نطل عمره نصيره بعد القوة الى الضعف وبعد زيادة الجسم
الى النقصان وبعد الجدة والطراوة الى البلى والخلوقة فكانه نكس خلقه وقيل ننكسه نرده الى حال الهرم التى تشبه حال الصبى فى
ضعف القوة وعزوب العلم عن قتادة افلا تعقلون اى افلا يتدبرون فى ان الله تعالى يقدر على الاعادة كما قدر على ذلك وانما قال
على الخطاب لقوله الم اعهد اليكم ومن قرأه بالياء فالمعنى افليس لهم عقل فيعتبروا ويعلموا ذلك ثم اخبر سبحانه عن نبيه صلى الله عليه وآله
تكذيبا لقولهم انك لمن المرسلين فقال وما علمناه الشعر يعنى قول الشعر وصناعة الشعر اى ما اعطيناه العلم بالشعر وانشائه
وما ينبغى له ان يقول الشعر من عند نفسه وقيل معناه ما يتسهل له الشعر وما كان يتزن له بيت شعر حتى انه اذا تمثل بيت شعر
جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتمثل بهذا البيت كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال
ابو بكر يا رسول الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا اشهد انك رسول الله وما علمك الشعر وما ينبغى لك وعن
عايشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتمثل ببيت اخى بنى قيس ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار
من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فيقول ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول انى لست بشاعر وما ينبغى لى
واما قوله عم انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب فقد قال قوم ان هذا ليس بشعر وقال آخرون انما هو اتفاق منه وليس بقصد الى
قول الشعر وقيل ان معنى الاية وما علمناه الشعر بتعليم القرآن وما ينبغى للقرآن ان يكون شعرا فان نظمه ليس بنظم الشعر وقد صح انه
كان يسمع الشعر ويحث عليه وقال لحسان بن ثابت لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ان هو اى ما الذى
انزلناه عليه الا ذكر وقرآن مبين من عند رب العالمين ليس بشعر ولا رجز ولا خطبة والمراد بالذكر انه يتضمن ذكر الحلال والحرام
والدلالات واخبار الامم الماضية وعبر عنها بالقرآن انه مجموع بعضه الى بعض فجمع سبحانه بينهما لاختلاف فائدتهما لتنذر من
كان حيا اى انزلناه لتخوف به من معاصى الله من كان مؤمنا لان الكافر كالميت بل اقل من الميت لان الميت وان كان لا ينتفع فلا
يتضرر والكافر لا ينتفع بدينه ويتضرر به ويجوز ان يكون اراد بمن كان حيا عاقلا وروى ذلك عن على عم وقيل من كان حى القلب
حى البصر عن قتادة ويحق القول على الكافرين اى يجب الوعيد والعذاب على الكافرين بكفرهم قوله تعالى اولم يروا انا خلقنا
لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون
واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
ست آيات القراءة فى الشواذ قراءة الحسن والاعمش ركوبهم وقراءة عايشة وابى بن كعب ركوبتهم الحجة اما الركوب فمصدر
والكلام على حذف المضاف والتقدير فمنها ذو ركوبهم وذو الركوب هو المركوب ويجوز ان يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم
كما يقول الانسان لغيره من بركاتك وصول الخير الى اى على يدك واما ركوبتهم فهى المركوبة كالصبورة والحلوبة والجزورة لما تقتب
ويحلب ويجزر المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه اولم يروا معناه اولم يعلموا انا خلقنا لهم اى لمنافعهم
مما عملت ايدينا اي وليناه خلقه بابداعنا وانشائنا لم يشارك فى خلقه ولم نخلقه باعانة معين واليد فى اللغة على اقسام منها الجارحة
ومنها النعمة ومنها القوة ومنها تحقيق الاضافة يقال فى معنى النعمة لفلان يد بيضاء وبمعنى القدرة تلقى فلان قولى باليدين اى
بالقوة والقبول وبمعنى تحقيق الاضافة قول الشاعر دعوت لما نابنى مسورا فلبى فلبى يدى مسور وانما ثناه لتحقيق المبالغة فى
الاضافة الى مسور ويقولون هذا ما جنت يداك وهو المعنى فى الاية واذا قال الواحد ما عملت هذا بيدى دل ذلك على انفراده
بعمله من غير ان يكله الى احد انعاما يعنى الابل والبقر والغنم فهم لها مالكون ولو لم نخلقها لما ملكوها ولما انتفعوا بها وبالبانها
وركوب ظهورها ولحومها وقيل فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها فهى مسخرة لهم

وهو قوله تذللنا ها لهم اى سخرناها لهم حتى صارت منقادة فمنها ركوبهم ومنها ياكلون قسم الانعام بان جعل منها ما يركب ومنها
ما يذبح فينتفع بلحمه ويوكل قال مقاتل الركوب الحمولة يعنى الابل والبقر ولهم فيها منافع ومشارب فمن منافعها لبس اصوافها
واشعارها واوبارها واكل لحومها وركوب ظهورها الى غير ذلك من انواع المنافع الكثيرة فيها والمشارب من البانها افلا يشكرون
الله نعم على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال واتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها لعلهم ينصرون لكى ينصروهم ويدفعوا
عنهم عذاب الله لا يستطيعون نصرهم يعنى هذه الالهة عبدوها لا تقدر على نصرهم والدفع عنهم وهم لهم جند محضرون يعنى
ان هذه الالهة معهم فى النار محضرون لان كل حزب مع ما عبدته من الاوثان فى النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق ولا هى
تدفع عنهم العذاب وهذا كما قال سبحانه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عن الجبائى وقيل معناه ان الكفار جند
للاصنام يغضبون لهم ويحضرونهم فى الدنيا عن قتادة اى للالهة فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا قال الزجاج
ينصرون الاصنام وهى لا تستطيع نصرهم ثم عزى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله بان قال فلا يحزنك قولهم فى تكذيبك انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون اى ما يسرونه فى ضمائرهم ويعلنونه بالسنتهم فنجازيهم على ذلك اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين ۝ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ۝ قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم
الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ۝ اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو
الخلاق العليم ۝ انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ۝ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون ۝ سبع آيات

القراءة قرا يعقوب يقدر بالياء وكذلك فى الاحقاف والوجه فيه ظاهر وفى الشواذ قراءة طلحة وابرهيم التيمى والاعمش
ملكه كل شىء ومعناه فسبحان الذى بيده القدرة على كل شىء وهو من ملكت العجين اذا اخذت عجنه فقويته بذلك والملكوت
فعلوت منه زادوا فيه الواو والتاء للمبالغة بزيادة اللفظ ولهذا لا يطلق الملكوت الا على الامر العظيم الاعراب الذى جعل
لكم بدل من الذى انشاها ويجوز ان يكون مرفوعا او منصوبا على المدح ان يقول فى موضع رفع بانه خبر المبتدا النزول قيل
ان ابى بن خلف او العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت وقال يا محمد اتزعم ان الله يبعث هذا فقال نعم فنزلت الآية اولم ير
الانسان الى آخر السورة المعنى ثم نبه سبحانه خلقه على الاستدلال على صحة الاعادة والبعث فقال اولم ير اى اولم يعلم
الانسان انا خلقناه من نطفة والتقدير ثم نقلناه من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة ومن المضغة الى العظم
ومن العظم الى ان جعلناه خلقا سويا ثم جعلنا فيه الروح واخرجناه من بطن امه وربيناه ونقلناه من حال الى حال الى ان
اكمل عقله وصار متكلما خصيما وذلك قوله فاذا هو خصيم مبين اى مخاصم ذو بيان اى فمن قدر على جميع ذلك فكيف لا يقدر
على الاعادة وهى اسهل من الانشاء والابتداء ولا يجوز ان يكون خلق الانسان واقعا بالطبيعة لان الطبيعة فى حكم الموات فى
انها ليست بحية قادرة فكيف يصح منها الفعل ولا ان يكون كذلك بالاتفاق لان المحدث لا بد له من محدث قادر عالم وفى الآية
دلالة على صحة استعمال النظر فى الدين لان الله سبحانه اقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الاولى فالزم
من اقر بالاولى ان يقر بالثانية ثم اكد سبحانه الانكار عليه فقال وضرب لنا مثلا اى ضرب المثل فى انكار البعث بالعظم البالي
وفته بيده وتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسى خلقه اى وترك النظر فى خلق نفسه اذ خلق من نطفة ثم بين ذلك المثل بقوله
قال من يحيى العظام وهى رميم اى بالية واختلف فى القائل لذلك فقيل هو ابى بن خلف عن قتادة ومجاهد وهو المروى عن الصادق ع
وقيل هو العاص بن وائل السهمى عن سعيد بن جبير وقيل امية بن خلف عن الحسن ثم قال سبحانه فى الرد عليه قل يا محمد لهذا المتعجب
من الاعادة يحييها الذى انشاها اول مرة لان من قدر على اختراع شىء فهو على اعادته قادر لا محالة وهو بكل خلق عليم من الابتداء
او الاعادة فيعلم به قبل ان يخلقه انه اذا خلقه كيف يكون ويعلم به قبل ان يعيده انه اذا اعاده كيف يكون ثم زاد الله سبحانه
فى البيان واخبر من صنعه بما هو عجيب الشان فقال الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون يعنى جعل لكم
من الشجر الرطب المطفى للنار نارا محرقة يعنى بذلك المرخ والعفار وهما شجرتان تتخذ الاعراب زنودها منهما فبين سبحانه ان

عشر ع

من قدر على ان يجعل فی الشجر الذي هو فی غاية الرطوبة نارا حامية مع مضادة النار الرطوبة حتى اذا احتاج الانسان حك بعضه
ببعض فتخرج منه النار وينقدح قدر ايضا على الاعادة وتقول العرب فی كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار قال الكلبی كل شجر ينقدح
منه النار الا العناب ثم ذكر سبحانه من خلقه ما هو اعظم من الانسان فقال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم هذا استفهام معناه التقرير يعنی من قدر على خلق السموات والارض واختراعهما مع عظمهما وكثرة اجزائهما يقدر على اعادة
خلق البشر ثم اجاب سبحانه هذا الاستفهام بقوله بلى اى هو قادر على ذلك وهو الخلاق يخلق خلقا بعد خلق العليم بجميع ما خلق ثم
ذكر قدرته على ايجاد الاشياء فقال انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والتقدير ان يكونه فيكون فعبر عن هذا المعنى بكن
لانه ابلغ فيما يراد وليس ههنا قول وانما هو اخبار بحدوث ما يريده تعالى وقيل ان المعنى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول من اجله
كن فيكون وقيل ان هذا انما هو فی التحويلات نحو قوله كونوا قردة خاسئين كونوا حجارة او حديدا وما اشبه ذلك ولفظ الامر
فی الكلام على عشرة اوجه احدها الفرض دون ذلك والثانی الندب كقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وقالتها نحو قوله فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا فی الارض واذا حللتم فاصطادوا والرابع الدعاء ربنا آتنا من لدنك رحمة والخامس الترفيه نحو قولك
ارفق بنفسك السادس الشفاعة نحو قولك شفعنی فيه السابع التحويل نحو قوله كونوا قردة خاسئين وكونوا حجارة الثامن التهديد
نحو قوله اعملوا ما شئتم التاسع الاختراع والاحداث نحو قوله كن فيكون العاشر نحو اسمع بهم وابصر قال علی بن عيسى فی قوله
كن فيكون الامر ههنا افخم من الفعل فجاء للتعظيم والتفخيم قال ويجوز ان يكون بمنزلة التسهيل والتهوين وانه اذا اراد فعل شیء
فعله بمنزلة ما يقول للشیء كن فيكون فی الحال وانشد فقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب وانما اخبر عن
سرعة دمعه دون ان يكون ذلك قولا على الحقيقة ثم نزه نفسه من ان يوصف بما لا يليق به فقال فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شیء اى تنزيها له من نفی القدرة على الاعادة وغير ذلك مما لا يليق بصفاته الذي بيده اى بقدرته ملك كل شیء ومن
قدر على كل شیء قدر على احياء العظام الرميم وعلى كل شیء وافنائه واعادته واليه ترجعون يوم القيمة اى تردون الى حيث لا يملك
الامر والنهی احد سواه فيجازيكم بالثواب والعقاب على الطاعات والمعاصی على قدر اعمالكم سورة الصافات مكية عدد آيها
مائة واحدى وثمانون آية بصری وآية فی الباقين اختلافها آيتان وما كانوا يعبدون غير البصری وكلهم يعدون وان
كانوا ليقولون غير ابی جعفر فضلها ابی بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الصافات اعطی من الاجر عشر
حسنات بعدد كل جنی وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من المشركين وشهد له حافظاه يوم القيمة
انه كان مؤمنا بالمرسلين وروى الحسين بن ابی العلاء عن ابی عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة الصافات فی كل يوم جمعة لم
يزل محفوظا من كل آفة مدفوعا عنه كل بلية فی حيوته الدنيا مرزوقا فی الدنيا باوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه الله فی ماله ولا
ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا من جبار عنيد وان مات فی يومه او ليلته بعثه الله شهيدا واماته شهيدا وادخله الجنة
مع الشهداء فی درجة من الجنة تفسيرها افتتح الله هذه السورة بمثل ما اختتم به سورة يس من ذكر البعث قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما
ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من
كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب عشر آيات القراءة ادغم ابو عمرو وحمزة التاء فی الصاد وفی
الزاء وفی الذال من الصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والذاريات ذروا وقرأ ابو عمرو وحده والعاديات ضبحا
مدغما فالمغيرات صبحا فالملقيات ذكرا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا مدغما وعباس لا يدغم شيئا من ذلك والباقون
باظهار التاء فی ذلك كله وقرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين الكواكب بالجر وقرأ ابو بكر بزينة منونة ايضا الكواكب بالنصب
وقرأ الباقون بزينة الكواكب مضافة وقرأ اهل الكوفة غير ابی بكر لا يسمعون بتشديد السين والميم والباقون لا يسمعون بالتخفيف
الحجة قال ابو علی ادغام التاء فی الصاد حسن لمقاربة اللفظين الا ترى انهما من طرف اللسان واصول الثنايا ويجتمعان

حس

عشر

ف

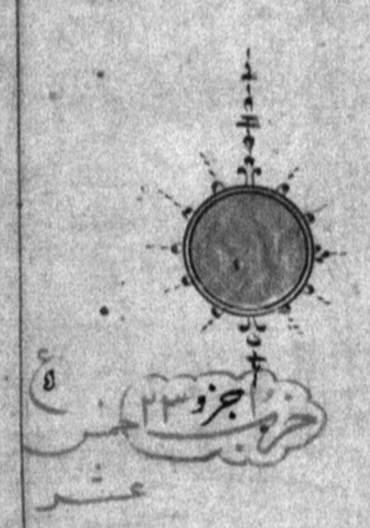
فی الهمس والمدغم فیه یزید علی المدغم بخلتین هما الاطباق والصفیر ویحسن ادغام الانقص فی الازید ولا یجوز ان یدغم
الازید صوتا فی الانقص صوتا فلهذا یحسن ادغام التاء فی الزای من قوله فالزاجرات زجرا لان التاء مهموسة والزای مجهورة و
فیها زیادة صفیر کما کان فی الصاد وکذلک حسن ادغام التاء فی الذال فی قوله فالتالیات ذکرا والذاریات ذروا لاتفاقهما فی انهما
من طرف اللسان واصول الثنایا فاما ادغام التاء فی الضاد من قوله والعادیات ضبحا فان التاء اقرب الی الذال والی الزای منها
فی الضاد لان الذال والزای والضاد من حروف طرف اللسان واصول الثنایا والضاد ابعدهن لانها من وسط اللسان وکذلک
حسن ادغام التاء فیها لان الضاد تغشی الصوت بها ولتسع واستطال حتی اتصل صوتها باصول الثنایا وطرف اللسان فادغم
التاء فیها وسایر حروف طرف اللسان واصول الثنایا الا حروف الصفیر فانها لم تدغم فی الضاد ولم تدغم الضاد فی شیء من هذه
الحروف لما فیها من زیادة الصوت فاما الادغام فی السابحات سبحا والسابقات سبقا فحسن لمقاربة الحروف فاما من قرا بیا
لاظهار فی هذه الحروف فلاختلاف المخارج واما من قرا بزینة الکواکب جعل الکواکب بدلا من الزینة کما تقول مررت بابی عبد الله
زید ومن قرا الکواکب بالنصب اعمل الزینة فی الکواکب والمعنی بان زینا الکواکب فیها ومثل ذلک او اطعام فی یوم ذی مسغبة
یتیما ومن قرا بزینة الکواکب اضاف المصدر الی المفعول کقوله لا یسأم الانسان من دعاء الخیر وبسؤال نعجتک ومن قرا لا یسمعون فانما هو لا
یتسمعون فادغم التاء فی السین وقد یتسمع ولا یسمع فاذا نفی التسمع عنهم فقد نفی سمعهم من جهة التسمیع ومن جهة غیره
فهو ابلغ ویقال سمعت الشیء واسمعته کما یقال حقرته واحتقرته وسویته واستویته وقد قال تعم واذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وقال ومنهم من یستمع الیک فعدی الفعل مرة بالی ومرة باللام وحجة من قرا یسمعون قوله انهم عن السمع لمعزولون
اللغة قال ابو عبیدة کل شیء بین السماء والارض لم یضم قطریه فهو صاف ومنه والطیر صافات اذا نشرت اجنحتها والصافات
جمع الجمع لانه جمع صافة والزجر الصرف عن الشیء لخوف الذم والعقاب والمارد الخارج الی الفساد العظیم وهو من وصف
الشیاطین وهم المردة واصله الانجراد ومنه الامرد فالمارد المتجرد من الخیر والدحور الدفع بالعنف یقال دحره یدحره دحرا ودحورا
والواصب الدائم الثابت قال ابو الاسود لا اشتری الحمد القلیل بقاؤه یوما بذم الدهر اجمع واصبا والخطف الاستلاب بسرعة یقال
خطفه واختطفه والشهاب شعلة نار ساطعة یقال فلان شهاب حرب اذا کان ماضیا والثاقب المضیء کانه یثقب بضوئه
ومنه حسب ثاقب ای شریف الاعراب حفظا مصدر فعل محذوف ای زیناها وحفظناها حفظا لا یسمعون جملة مجرورة الموضع
بانها صفة شیطان دحورا مصدر فعل دل علیه یقذفون ای یدحرون دحورا الا من خطف الخطفة یحتمل ان یکون من خطف فی
موضع نصب علی الاستثناء والعامل فیه ما یتعلق به اللام فی لهم عذاب والمستثنی منه هم من لهم ویحتمل ان یکون استثناء
منقطعا فیکون من خطف مبتدا وخبره فاتبعه شهاب ثاقب المعنی والصافات صفا اختلف فی معنی الصافات علی وجوه
احدها انها الملائکة تصف انفسها صفوفا فی السماء کصفوف المؤمنین للصلوة عن ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة والسدی
وثانیها انها الملائکة تصف اجنحتها فی الهواء اذا ارادت النزول الی الارض واقفة تنتظر ما یامرها الله تعم عن الجبائی وثالثها انهم جماعة
المؤمنین یقومون مصطفین صفوفا فی الصلوات وفی الجهاد عن ابی مسلم فالزاجرات زجرا اختلف فیها ایض علی وجوه احدها انها الملائکة
تزجر الخلق عن المعاصی زجرا عن السدی ومجاهد وعلی هذا فانه یوصل الله مفهومه الی قلوب العباد کما یوصل مفهوم اغواء
الشیاطین الی قلوبهم لیصح التکلیف وثانیها انها الملائکة الموکلة بالسحاب تزجرها وتسوقها عن الجبائی وثالثها انها زواجر
القرآن وآیاته الناهیة عن القبایح عن قتادة ورابعها انهم المؤمنون یرفعون اصواتهم عند قراءة القرآن لان الزجرة الصیحة
عن ابی مسلم فالتالیات ذکرا اختلف فیها ایض علی اقوال احدها انها الملائکة تقرا کتب الله تعم والذکر الذی ینزل علی الموحی الیه عن
مجاهد والسدی وثانیها انها الملائکة تتلو کتاب الله الذی کتبه لملائکته وفیه ذکر الحوادث فتزداد یقینا بوجود المخبر علی وفق
الخبر وثالثها جماعة قراء القرآن من المؤمنین یتلونه فی الصلوة عن ابی مسلم وانما لم یقل فالتالیات تلوا کما قال فالزاجرات زجرا
لان التالی قد یکون بمعنی التابع ومنه قوله والقمر اذا تلیها فلما کان اللفظ مشترکا بینه بما یزیل الابهام ان الحکم لواحد وهذه

قسام اقسم الله سبحانه بها انه واحد ليس له شريك ثم اختلف في هذه الاقسام فقيل انها اقسام بالله تعالى على تقدير ورب
الصافات ورب الزاجرات ورب التالين ورب المرسلات لان في القسم تعظيما للمقسم به ولانه يجب على العباد ان لا يقسموا الا
بالله تعالى الا انه حذف لان في العقول دلالة على المحذوف عن الجبائي والقاضي وقيل بل اقسم سبحانه بهذه الاشياء وانما جاز ذلك
لانه ينبئ عن تعظيمها بما فيها من الدلالة على توحيده وصفاته العلى فله سبحانه ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يقسموا
الا به ثم قال سبحانه رب السموات والارض اي خالقهما ومدبرهما وما بينهما من ساير الاجناس من الحيوان والنبات والجماد ورب المشارق
وهي مشارق الشمس اي مطالعها بعدد ايام السنة ثلثماية وستون مشرقا والمغارب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق
وتغرب في مغرب عن ابن عباس والسدي وانما خص المشارق بالذكر لان الشروق قبل الغروب انا زينا السماء الدنيا يعني التي هي اقرب
السموات الينا وانما خصها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة بزينة الكواكب اي بحسنها وضوئها والتزيين تحسين الشيء بجعله على صورة
تميل اليها النفس والله سبحانه زين السماء على وجه تمتع الرائي لها وفي ذلك اعظم النعمة على العباد مع ما لهم من المنفعة بالفكر فيها
والاستدلال بها على صانعها وحفظا من كل شيطان اي حفظناها من كل شيطان مارد اي خبيث خال من الخير متمرد والمعنى وحفظناها
من دنو كل شيطان للاستماع فانهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون الى كلام الملائكة ويلقون ذلك الى الضعفة للجن وكانوا يوسوسون
بها في قلوب الكهنة ويوهمونهم انهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى عن ذلك لا يسمعون الى الملإ الاعلى اي لكيلا يستمعون الى الكتبة
من الملائكة في السماء عن الكلبي وقيل الى كلام الملإ الاعلى ويكون مفعول السمع محذوفا وتقديره لا يسمعون القول مائلين الى كلام
الملإ الاعلى والملإ الاعلى عبارة عن الملائكة لانهم في السماء ويقذفون من كل جانب اي يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء
اذا ارادوا الصعود الى السماء للاستماع دحورا اي دفعا لهم بالعنف وطردا ولهم عذاب واصب اي ولهم مع ذلك ايض عذاب دايم
يوم القيمة الا من خطف الخطفة والتقدير لا يستمعون الى الملائكة الا من وثب الوثبة الى قريب من السماء فاختلس خلسة من
الملائكة واستلب استلابا بسرعة فاتبعه شهاب ثاقب اي لحقه واصابه نار مضيئة محرقة والثاقب النير المضيء المبين وهذا كقوله الا من
استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قوله تعالى فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ
وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا
الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ عشر آيات القراءة
قرا اهل الكوفة غير عاصم بل عجبت بضم التاء والباقون بفتحها وقرا ابن عامر واهل المدينة غير ورش او اباؤنا ساكنة الواو والباقون بفتحها
وكذلك في الواقعة الحجة قال ابو علي من قرا بل عجبت بالفتح فالمعنى بل عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون او عجبت من نزول
الوحي عليك وهم يسخرون والضم فيما زعموا قراءة علي ع وابن عباس وروي عن شريح انكاره فانه قال ان الله لا يعجب وقد احتج بعضهم
للضم بقوله وان تعجب فعجب قولهم وليس في هذا دلالة على ان الله سبحانه اضاف العجب الى نفسه ولكن المعنى وان تعجب فعجب قولهم
عندكم والمعنى في الضم ان انكار البعث والنشر مع ثبوت القدرة على الابتداء والانشاء عجيب ويبين ذلك عند من استدل عندكم
مما تقولون فيه هذا النحو من الكلام اذا ورد عليكم مثله كما ان قوله اسمع بهم وابصر معناه ان هؤلاء ممن تقولون انتم فيه هذا النحو
وكذلك قوله فما اصبرهم على النار عند من لم يحمل اللفظ على الاستفهام وعلى هذا النحو قوله ويل للمطففين وويل يومئذ للمكذبين
وقوله لعله يتذكر او يخشى ولا يجوز ان يكون العجب من وصف القديم سبحانه كما يكون في وصف الانسان لان العجب فينا انما يكون
اذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه وهذا منتف عن القديم سبحانه اللغة اللازب واللازم بمعنى ابدلت من الميم الباء
وقال النابغة ولا يحسبون الخير لا شر عنده ولا يحسبون الشر ضربة لازب وبعض بني عقيل يقولون لاتب بالتاء والداخر الصاغر
اشد الصغر المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه ص وآله فقال فاستفتهم اي فسلهم يا محمد سؤال تقرير اهم اشد خلقا اي احكم صنعا ام
من خلقنا قبلهم من الامم الماضية والقرون السالفة يريد انهم ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بالعذاب وقيل
اهم اشد خلقا ام من خلقنا من الملائكة والسموات والارض وغلب ما يعقل على ما لا يعقل انا خلقناهم من طين لازب معناه انهم قالوا

خمس عشر

نحن

خلق اشد فاعلم ان الله خلقهم من طين فكيف اشد قوة منهم والمراد ان آدم عم خلقه الله من طين وان هؤلاء نسله وذريته
فكانهم خلقوا منه وقال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد بل عجبت يا محمد من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك
ومن ضم التاء فالمراد انه سبحانه امر نبيه صم وآله ان يخبر عن نفسه بانه عجب من هذا القرآن حين اعطيه وتعجب منه اهل الضلالة و
تقديره قل بل عجبت عن المبرد وقيل يسخرون اى يهزؤن بدعائك اياهم الى الله والنظر في دلائله وآياته وروى عن الاعمش عن ابى وائل قال
قرا عبد الله بل عجبت بالضم فقال شريح ان الله لا يعجب انما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابرهيم فقال ان شريحا كان معجبا
برايه ان عبد الله قرا بل عجبت وعبد الله اعلم من شريح ولضافة العجب الى الله ورد الخبر به كقوله عجب ربكم من شاب ليس له صبوة
وعجب ربكم من ذلكم وقنوطكم ويكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى ومعناه الاستحسان والخبر عن تمام الرضا وعجب مما يكره ومعناه
الانكار له والذم له واذا ذكروا لا يذكرون اى اذا خوفوا بالله ووعظوا بالقرآن لا ينتفعون بذلك ولا يتعظون به واذا راوا آية من آيات
الله تعم ومعجزة مثل انشقاق القمر وغيرها يستسخرون اى يستهزئون ويقولون هذا عمل السحرة ويخروا واستسخر بمعنى واحد وقيل معناه
يستدعى بعضهم بعضا الى اظهار السخرية وقيل معناه يعتقدونه سخرية كما يقال استقبحته اى اعتقدته قبيحا واستحسنته اعتقدته
حسنا وقالوا ان هذا الا سحر مبين اى وقالوا لتلك الآية ما هذا الا سحر ظاهر وتمويه ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
بعد ذلك ومحشورون اى كيف نبعث بعد ما صرنا ترابا او اباؤنا الاولون الذين تقدمونا بهذه الصفة اى او يبعث آباؤنا بعد ما صاروا
ترابا يعنون ان هذا لا يكون ومن فتح الواو جعلها واو العطف دخل عليها همزة الاستفهام كقوله اوامن اهل القرى ثم قال سبحانه لنبيه
صم وآله قل لهم نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون اشد الصغار ثم ذكر سبحانه ان بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال فانما هى اى فانما
قصة البعث زجرة واحدة اى صيحة واحدة من اسرافيل يعنى نفخة البعث والزجرة الصرفة عن الشئ بالمخافة فكانهم زجروا عن الحال
التى هم فيها الى المحشر فاذا هم ينظرون الى البعث الذى كذبوا به وقيل معناه فاذا هم احياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله
وقالوا اى فيقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان يا ويلنا من العذاب وهى كلمة يقولها القايل عند الوقوع فى الهلكة ومثله
يا حسرتنا ينادون مثل هذه الاشياء على وجه التنبيه على عظم الحال هذا يوم الدين اى يوم الحساب عن ابن عباس وقيل يوم الجزاء عن
قتادة والمراد انهم اعترفوا بالحق خاضعين نادمين قوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا و
ازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين
عشر آيات المعنى ثم اخبر سبحانه عن حالهم ايضا فقال هذا يوم الفصل بين الخلايق والحكم وتمييز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم
الحال فيه وذلك بان يدخل المطيع الجنة على وجه الاكرام ويدخل العاصى النار على وجه الاهانة الذى كنتم يا معشر الكفار به تكذبون
وهذا كلام بعضهم لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة ثم حكى سبحانه ما يقوله للملائكة بان قال احشروا الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى
اجمعوهم من كل جهة وقيل ظلموا بمخالفتهم امر الله سبحانه وبتكذيبهم الرسل وقيل ظلموا الناس وازواجهم اى واشباههم عن ابن عباس
ومجاهد ومثله وكنتم ازواجا ثلثة اى اشباها واشكالا ثلثة فيكون المعنى ان صاحب الزنا يحشر مع اصحاب الزنا وصاحب الخمر مع اصحاب
الخمر الى غيرهم وقيل واشباههم من الكفار عن قتادة وقيل وازواجهم المشركات كانه قال احشروا المشركين والمشركات عن الحسن وقيل
واتباعهم على الكفر ونظرائهم وضرباهم فاهدوهم الى صراط الجحيم انما عبر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية الى الجنة كقوله
فبشرهم بعذاب اليم من حيث ان هذه البشارة وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم وقفوهم اى قفوا هؤلاء الكفار واحبسوهم
عن دخول النار انهم مسئولون روى انس بن مالك مرفوعا انهم مسئولون عما دعوا اليه من البدع وقيل مسئولون عن اعمالهم
وخطاياهم عن الضحاك وقيل عن قول لا اله الا الله عن ابن عباس وقيل عن ولاية على بن ابى طالب عم عن ابى سعيد الخدرى وعن
سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا حدثناه عن الحاكم ابى القسم الحسكانى بالاسناد يقال وقفت انا ووقفت غيرى وبعض بنى تميم
يقول اوقفت الدابة والدار وانشد الفراء ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومانا الى الناس اوقفوا ما لكم لا تناصرون اى



حزب جزو ٢٣ خمس عشر

اي لا تناصرون هذا على وجه التوبيخ والتبكيت اى ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا فى دفع العذاب والتقدير وما لكم غير متناصرين
ثم بين سبحانه انهم لا يقدرون على التناصر فقال بل هم اليوم مستسلمون اى منقادون خاضعون ومعنى الاستسلام ان يلقى بيده غير
منازع فيما يراد منه واقبل بعضهم على بعض يتساءلون هذا اخبار منه سبحانه ان كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذي اغواه فيقول له على وجه
التانيب والتعنيف لم غررتني ويقول ذلك له لم قبلت مني وقيل يقبل الاتباع على المتبوعين والمتبوعون على الاتباع يتلاومون
ويتعاتبون ويتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اى يقول الكفار لغواتهم انكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمن والبركة
فلذلك اغتررنا لكم والعرب تتيمن بما جاء من اليمين عن الجبائى وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا ان الحق والدين
ما تضلوننا به واليمين عبارة عن الحق عن الزجاج وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل القوة والقدرة فتخدعوننا من اقوى الوجوه ومنه
ومنه قوله فراغ عليهم ضربا باليمين عن الفراء قالوا اى في جواب ذلك ليس الامر كما قلتم بل لم تكونوا مؤمنين مصدقين بالله وما كان لنا
عليكم من سلطان اى قدرة وقوة فنجبركم على الكفر فلا تسقطوا اللوم عن انفسكم فانه لازم لكم ولاحق بكم بل كنتم قوما طاغين اى خارجين
عن الحق باغين تجاوزتم الحد الى افحش الظلم واعظم المعاصي قوله تعالى فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين
فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين عشر آيات

المعنى هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين قالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم قالوا فحق علينا قول ربنا اى وجب علينا قول ربنا
بانا لا نؤمن ونموت على الكفر او وجب علينا العذاب الذي نستحقه على الكفر والاغواء انا لذائقون العذاب اى نذوقه كما يذوق المطعوم
بالذوق ثم يعترفون بانهم اغووهم بان قالوا فاغويناكم اى اضللناكم عن الحق ودعوناكم الى الغي انا كنا غاوين اى داخلين في
الضلال والغي وقيل معناه خيبناكم انا كنا خائبين فانهم يومئذ اى في ذلك اليوم في العذاب مشتركون واشتراكهم اجتماعهم
فيه والمعنى ان ذلك التخاصم لم ينفعهم اذ اجتمع الاتباع والمتبوعون كلهم في النار الاتباع بقبول الكفر والمتبوعون بالكفر والاغواء
انا كذلك نفعل بالمجرمين اى الذين جعلوا لله شركاء عن ابن عباس وقيل معناه انا مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين ثم بين
سبحانه انه انما فعل ذلك بهم من اجل انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن قبول ذلك ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون اى يأنفون من هذه المقالة ويستخفون بمن يدعوهم اليها ويقولون لا نرجع عن عبادة الاصنام لقول شاعر مجنون
يعنون النبي صلى الله عليه وآله يدعونا الى خلافها وقيل لاجل شاعر عن ابي مسلم فرد الله هذا القول عليهم وكذبهم بان قال بل جاء بالحق اي ليس
بشاعر ولا مجنون ولكنه اتى بما تقبله العقول من الدين الحق او الكتاب الحق وصدق المرسلين اى حقق ما اتى به المرسلون من بشارتهم
بدين الاسلام وقيل صدقهم بان اتى بمثل ما اتوا به من الدعاء الى التوحيد وقيل صدقهم بالنبوة ثم خاطب الكفار فقال انكم ايها المشركون
لذائقوا العذاب الاليم على كفركم ونسبتكم اياه الى الشعر والجنون وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي على قدر اعمالكم ثم استثنى من جملة
المخاطبين المعذبين فقال الا عباد الله المخلصين الذين اخلصوا العبادة لله واطاعوه في كل ما امرهم به فانهم لا يذوقون العذاب وانما
ينالون الثواب قوله تعالى اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم
بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض
مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون عشر آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم ينزفون بكسر الزاي والباقون بفتح الزاي وكذلك في سورة
الواقعة الا عاصم فانه قرأ ههنا بفتح الزاي وهناك بكسر الزاي الحجة قال ابو علي انزف على معنيين احدهما بمعنى سكر قال لعمري
لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا فمقابلته صحوتم يدل على انه سكرتم والمعنى انفد شرابه ومعنى انزف صار ذا نفاد
لشرابه كما ان الاول معناه النفاد من عقله فمن قرأ ينزفون يجوز ان يريد به لا يسكرون عن شربها ويجوز ان يريد به لا ينفد ذلك
عندهم كما لا ينفد شراب اهل الدنيا ومن قرأ ينزفون بفتح الزاي فانه من نزف الرجل فهو منزوف ونزيف اذا ذهب عقله بالسكر
اللغة قال الاخفش كل كأس في القرآن المراد به الخمر وعين يحتمل ان يكون فعيلا من امعن في الامر اذا اشتد دخوله فيه وهو الماء

الشديد

الشديد الجري ويجوز ان يكون مفعولا من عين الماء لانه يجري ظاهرا للعين واللذة اللذيذة يقال شراب لذ ولذيذ والغول
فساد يلحق الشيء خفيا يقال اغتاله اغتيالا وغاله غولا ومنه الغيلة وهي القتل سرا قال الشاعر وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب
بالاول الاول والقاصرات جمع قاصرة وهن اللاتي يقصرن طرفهن على ازواجهن لا ينظرون الى غيرهم والقصر معناه الحبس والعين النجل
العيون الحسان والمكنون المصون من كل شيء قال الشاعر وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون المعنى ثم بين
سبحانه ما اعده لعباده المخلصين من انواع النعيم فقال اولئك لهم رزق معلوم جعل لهم التصرف فيه وحكم لهم به في الاوقات
المستانفة في كل وقت شيئا معلوما مقدرا ثم فسر ذلك الرزق بان قال فواكه وهي جمع فاكهة تقع على الرطب واليابس من الثمار
كلها يتفكهون بها ويتنعمون بالتصرف فيها وهم مكرمون مع ذلك اي معظمون مبجلون وضد الاكرام الاهانة في جنات النعيم
اي وهم مع ذلك في بساتين فيها انواع النعيم يتنعمون بها على سرر وهي جمع سرير متقابلين يستمتع بعضهم بالنظر الى وجوه بعض
ولا يرى بعضهم قفا بعض يطاف عليهم بكاس وهو الاناء فيه من الشراب من معين اي من خمر جارية في انهار ظاهرة للعيون عن
الحسن وقتادة والضحاك والسدي وقيل شديدة الجري ثم وصف الخمر فقال بيضاء وصفها بالبياض لانها في نهاية الرقة مع الصفا
واللطافة النورية التي بها قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن وذكران قراءة ابن مسعود صفراء فيحتمل ان تكون بيضاء الكاس
صفراء اللون لذة اي لذيذة للشاربين ليس فيها ما يعتري خمر الدنيا من المرارة والكراهة لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فتذهب
بها ولا يصيبهم منها وجع في البطن ولا في الراس ويقال للوجع غول لانه يودي الى الهلاك ولا هم عنها ينزفون اي ولا يسكرون
ولا ينزفون يعني لا يفني خمرهم وتحمل هذه القراءة على هذا الزيادة الفائدة وعلى القراءة الاولى فيحمل الغول على الصداع والوجع
واذى الخمار وقال ابن عباس معناه لا يبولون قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فنزه الله سبحانه خمر الجنة
عن هذه الخصال وعندهم قاصرات الطرف قصرن طرفهن على ازواجهن فلا يردن غيرهم لحبهن اياهم وقيل معناه لا يفتحن
اعينهن دلالا وغنجا عين اي واسعات العيون والواحدة عيناء وقيل هي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها عن الحسن
كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام تكنه بالريش من الريح والغبار عن الحسن وابن زيد وفي معناه قول امرء القيس
كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل وقيل شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر وقبل ان تمسه الايدي والمكنون
المصون ثم قال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يعني اهل الجنة يسال بعضهم بعضا عن احوالهم من حين بعثوا الى ان دخلوا
الجنة فيخبر كل صاحبه بانعام الله عليه قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين ءاذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من
المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم عشر آيات القراءة
الاطلاع في الشواذ قرا ابن عباس وابن محيصن فهل انتم مطلعون فاطلع بالتخفيف الحجة الاطلاع الاقبال فعلى هذا يكون
معناه فهل انتم مقبلون فاقبل واطلع يكون مسندا الى مصدره اي فاطلع الاطلاع كما يقال قد قيم اي قيم القيام الاعراب الا موتتنا
نصب بقوله ميتين انتصاب المصدر بالفعل الواقع قبله كما تقول ما ضربت الا ضربة واحدة والتقدير فما نموت الا موتتنا الاولى
المعنى هذا تمام الحكاية عن احوال اهل الجنة واقبال بعضهم على بعض في المسائلة عن الاخبار والاحوال قال قائل منهم اي من
اهل الجنة اني كان لي قرين في دار الدنيا اي صاحب يختص في اما من الانس على قول ابن عباس او من الشياطين على قول مجاهد يقول
لي على وجه الانكار علي والتهجين ائنك لمن المصدقين بيوم الدين وبالبعث والنشور والحساب والجزاء والاستفهام هنا على وجه
الانكار ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما بالية ءانا لمجازون على اعمالنا اي ان هذا لا يكون ابدا وهذا ابلغ في النفي من ان يقول لا نبعث ولا نجازى
قال هل انتم مطلعون اي ثم قال المؤمن لاخوانه في الجنة هل انتم مطلعون على موضع من الجنة نرى منه هذا القرين في النار وفي
الكلام حذف اي فيقولون له نعم اطلع انت فانت اعرف بصاحبك قال الكلبي وذلك لان الله تعالى جعل لاهل الجنة كوة ينظرون منها الى
النار فاطلع فراه اي فاطلع هذا المؤمن فرای قرينه في سواء الجحيم اي في وسط النار قال اي فقال له المؤمن تالله ان كدت لتردين

خمس عشر

هذه ان المخففه من الثقيله بدلالة مصاحبة لام الابتداء لها فى قوله لتردين اقسم بالله على وجه التعجب انك كدت تهلكنى
بما قلته لى ودعوتنى اليه حتى يكون هلاكى كهلاك المتردى من شاهق ومنه قوله وما يغنى عنه ماله اذا تردى اى تردى فى النار
ولولا نعمة ربى على بالعصمة واللطف والهداية حتى آمنت لكنت من المحضرين معك فى النار ولا يستعمل احضر مطلقا الا فى الشر
قال قتادة فو الله لولا ان الله عرفه اياه لما كان يعرفه لقد تغير حبره وسبره اى حسنه وتخاوه افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى
وما نحن بمعذبين معناه ان هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ والتقريع أليس كنت تقول فى الدنيا انا لا نموت الا
الموتة التى تكون فى الدنيا ولا نعذب فقد ظهر الامر بخلاف ذلك وقيل ان هذا من قول اهل الجنة بعضهم لبعض على وجه اظهار السرور
بدوام نعيم الجنة ولهذا عقبه بقوله ان هذا لهو الفوز العظيم ومعناه افما نحن بميتين فى هذه الجنة الا موتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا
وما نحن بمعذبين كما وعدنا الله تعالى ويريدون به التحقيق لا الشك وانما قالوا هذا القول لان فى [illegible] لهم مجددا وفرحا مضاعفا
وان كانوا قد عرفوا انهم سيخلدون فى الجنة وهذا كما ان الرجل يعطى المال الكثير فيقول متعجبا اكل هذا المال لى وهو يعلم ان ذلك له
وهو كقول البطحاء مكة هذا الذى اراه عيانا وهذا انا قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها
البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون عشر ايات اللغة
النزل الريع والفضل يقال لهذا الطعام نزل ونزل وقيل هو الانزال التى يتقوت بها فتقيم الابدان وتبقى عليها الارواح ويقال
اقمت للقوم نزلهم اى ما يصلح ان ينزلوا عليه من الغذاء وزعم قطرب ان الزقوم شجرة مرة تكون بتهامة قال ابو مسلم وظاهر الكلام
يدل على ان العرب كانت لا تعرفها فلذلك فسر بعد ذلك والطلع حمل النخلة سمى بذلك لطلوعه والشوب خلط الشئ بما ليس
منه وهو شر منه والحميم الحار الذى يدخن من الاحراق المهلك قال احم الله ذلك من لقاء اجاد اجاد فى الشهر الحلال اى ادناه وحم
ريش الفرخ حين يدنو من الطيران والحميم الصديق القريب اى الدانى من القلب وهرع الرجل واهرع اذا استحث وقال الازهرى
الاهراع الاسراع والمهرع الحريص [illegible] ثم قال سبحانه فى تمام الحكاية عن قول اهل الجنة لمثل هذا فليعمل العاملون اى لمثل هذا
الثواب والفوز والفلاح فليعمل العاملون فى دار التكليف وقيل ان هذا من قول الله تعالى اى لمثل هذا النعيم الذى ذكرناه ومن قوله
لهم رزق معلوم الى قوله بيض مكنون فليعمل العاملون وهذا ترغيب فى طلب الثواب بالطاعة اى من كان يريد ان يعمل لنفع يرجوه
فليعمل لمثل هذا النفع العظيم اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اى اذلك الذى ذكرناه من قرى اهل الجنة وما اعد لهم خير فى باب
الانزال يتقوت ويمكن معها الاقامة ام نزل اهل النار فيها عن الزجاج وقيل معناه اسبب هذا المؤدى اليه خير ام سبب ذلك لان
الزقوم لا خير فيه وقيل انما جاء ذلك لانهم لما عملوا بما ادى اليه فكانه قالوا فيه خير وقيل انما قال خير على وجه المقابلة فهو مثل
قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وهذا كما تقول الرجل لعبده ان فعلت كذا اكرمتك وان فعلت كذا ضربتك اهذا خير ام ذلك و
ان لم يكن فى الضرب خير والزقوم ثمر شجر منكر جدا من قولهم تزقم هذا الطعام اذا تناوله على تكره ومشقة شديدة وقيل الزقوم
شجر فى النار يقتاتها اهل النار مرة خشنة اللمس منتنة الرائحة وقيل انها معروفة من شجر الدنيا تعرفها العرب وقيل انها
لا تعرف فقد روى ان قريشا لما سمعت هذه قالت ما نعرف هذه الشجرة فقال ابن الزبعرى الكلام البربر التمر والزبد وفى رواية بلغة
اليمن فقال ابو جهل لجاريته يا جارية زقمينا فاتته الجارية بتمر وزبد فقال لاصحابه تزقموا بهذا الذى يخوفكم به محمد فيزعم ان النار
تنبت الشجر والنار تحرق الشجر فانزل الله سبحانه انا جعلناها فتنة للظالمين اى خبرة لهم استهزءوا بها وكذبوا بكونها فصارت فتنة
لهم عن قتادة والزجاج وقيل المراد بالفتنة العذاب اى جعلناها شدة عذاب لهم من قوله يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون
عن الجبائى وابى مسلم انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم اى ان الزقوم شجرة تنبت فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها عن الحسن
ولا يبعد ان يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة فى النار من جنس النار او من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه كما انها لا تحرق السلاسل
والاغلال فيها وكما لا تحرق عقاربها وحياتها وكذلك الضريع وما اشبه ذلك طلعها كانه رؤس الشياطين يسأل عن هذا

خمس عشر

فيقال

۳۳۳

فيقال كيف شبه طلع هذه الشجرة برؤس الشياطين وهي لا تعرف وانما يشبه الشئ بما يعرف واجيب عنه بثلثة اجوبه احدها
ان روس الشياطين ثمرة يقال لها الاستن واياه عنى النابغة بقوله تحيد عن استن سود اسافله مثل الاماء اللواتي تحمل الحزما وهذه
الشجرة تشبه بني آدم قال الاصمعي ويقال له الصوم وانشد موكل بشدوف الصوم يرقبه من المغارب مهضوم الحشا زرم يصف وعلا يطن
هذا الشجر قناصين فهو يرقبه والشدوف الشخوص واحدها شدف وثانيها ان الشيطان جنس من الحيات فشبه سبحانه طلع تلك الشجرة
برؤس تلك الحيات وانشد الفراء عجوز تحلف حين احلف كمثل شيطان الحماط اعرف اى له عرف وانشد المبرد وفي البقل ان لم يدفع الله
شره شياطين يعدو بعضهن على بعض وثالثها ان قبح صورة الشياطين متصور في النفوس ولذلك يقولون لما يستقبحونه جدا كانه
شيطان فشبه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرت شناعته في قلوب الناس قال الراجز ايصر تهلم تلتهم التعبانا شيطانة تزوجت
شيطانا وقال ابو النجم الراجز قبل كله وصبيانه وليس في الرجلين الا حيطان فهي التي يفزع منها الشيطان وقال امرؤ القيس اتقتلني
والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال فشبه اسنته بانياب الاغوال ولم ير قط احد انثرى الغول وهذا قول ابن
عباس ومحمد بن كعب القرظي وقال الجبائي ان الله تعالى يشوه خلق الشياطين في النار حتى انه لو راه راء من العباد لاستوحش منهم
فلذلك شبه برؤسهم فانهم لآكلون منها يعني ان اهل النار ليأكلون من ثمرة تلك الشجرة فمالئون منها البطون اى يملئون بطونهم
منها لشدة ما يلحقهم من الم الجوع وقد روى ان الله يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون الى مالك فيحملهم
الى تلك الشجرة وفيهم ابو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم فيسقون شربة من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة فاذا
قربوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله تشوى الوجوه فاذا وصل الى بطونهم كغلي الحميم صهر ما في بطونهم كما قال
سبحانه يصهر به ما في بطونهم والجلود فذلك شرابهم وطعامهم فذلك قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
اى خلطا ومزاجا من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب وقد قيل انهم يكرهون على ذلك عقوبة لهم ثم ان مرجعهم بعد
اكل الزقوم وشرب الحميم لالى الجحيم وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الابل الماء ثم يردون الى الجحيم
ويدل على ذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم آن والجحيم النار الموقدة والمعنى ان الزقوم والحميم طعامهم وشرابهم والجحيم المسعرة
منقلبهم وماويهم انهم الفوا اباءهم ضالين يعني ان هؤلاء الكفار صادفوا اباءهم ذاهبين عن الحق والدين فهم على اثارهم
يهرعون في الضلال اى يقلدونهم ويتبعونهم اتباعا في سرعة وقيل معناه يسرعون عن ابن عباس والحسن وقيل يعملون بمثل اعمالهم
عن الكلبي وقيل يبعثون من خلفهم عن ابي عبيدة قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ۝ ولقد ارسلنا فيهم منذرين ۝ فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين ۝ الا عباد الله المخلصين ۝ ولقد نادينا نوح فلنعم المجيبون ۝ ونجيناه واهله من الكرب العظيم ۝
وجعلنا ذريته هم الباقين ۝ وتركنا عليه في الآخرين ۝ سلام على نوح في العالمين ۝ انا كذلك نجزي المحسنين ۝ انه من عبادنا
المؤمنين ۝ ثم اغرقنا الآخرين ۝ اثنتا عشرة آية المعنى ثم اقسم سبحانه فقال ولقد اللام هي التي تدخل في جواب القسم واللام للتاكيد
ضل قبلهم اى قبل هؤلاء الكفار الذين هم في عصر النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الهدى واتباع الحق اكثر الاولين من الامم الخالية والاكثر هو الاعظم
في العدد والاول هو الكائن قبل غيره والاول قبل كل شئ هو الله سبحانه لان كل ما سواه موجود بعده وفي هذه الآية دلالة على ان اهل
الحق في كل زمان كانوا اقل من اهل الباطل ولقد ارسلنا فيهم منذرين من الانبياء والرسل يخوفونهم من عذاب الله تعالى ويحذرونهم
معاصيه فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى من المكذبين المعاندين للحق والمعنى فانظر يا محمد كيف اهلكتهم وماذا حل بهم من العذاب
فكذلك يكون عاقبة المكذبين ثم استثنى من المنذرين فقال الا عباد الله المخلصين الذين قبلوا من الانبياء واخلصوا عبادتهم
لله فان الله خلصهم من ذلك العذاب ووعدهم بجزيل الثواب ولقد نادينا نوح اى دعانا نوح بعد ما يئس من ايمان قومه لينصره
عليهم وذلك قوله اني مغلوب فانتصر فلنعم المجيبون نحن لنوح في دعائه اجبناه الى ما سأل وخلصناه من اذى قومه باهلاكهم
وقيل هو على العموم اى فلنعم المجيبون نحن لمن دعا ونجيناه واهله من الكرب العظيم اى من المكروه الذي كان نزل به من قومه
والكرب كل غم يصل حره الى الصدر واصل النجاة من النجوة للمكان المرتفع فهي الرفع من الهلاك واهله هم الذين نجوا معه في السفينة

خمس ع
عشر
نصف الحزب

وجعلنا ذريته هم الباقين بعد الغرق فالناس كلهم بعد نوح من ولد نوح عن ابن عباس وقتادة فالعرب والعجم من اولاد سام
بن نوح والترك والصقالبة والخزر ويأجوج من اولاد يافث بن نوح والسودان من ولد حام بن نوح قال الكلبي لما خرج نوح من السفينة
مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم وتركنا عليه في الآخرين اي تركنا عليه ذكرا جميلا واثنينا في امة محمد صلى الله عليه وآله
فحذف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ويعني تركنا ابقينا قال الزجاج معناه تركنا عليه الذكر الجميل الى يوم القيمة فكانه قال وتركنا
عليه التسليم في الآخرين ثم فسر التسليم بقوله سلام على نوح في العالمين وقال الفراء تركنا عليه قولا وهو ان يقال في آخر الامم سلام
على نوح في العالمين قال الكلبي معناه سلامة منا على نوح وهذا هو السلام المراد بقوله اهبط بسلام منا وبركات عليك انا كذلك
نجزي المحسنين اي جزيناه ذلك الثناء الحسن في العالمين باحسانه عن مقاتل وقيل ان معناه مثل ما فعلنا بنوح نجزي كل من
احسن بافعال الطاعات وتجنب المعاصي ونكافيهم باحسانهم انه من عبادنا المؤمنين [illegible] وهذه الآية تتضمن مدح
المؤمنين حيث خرج من بينهم مثل نوح ع ثم اغرقنا الآخرين اي من لم يؤمن به والمعنى ثم اخبركم اني اغرقت الآخرين النظم
الوجه في اتصال قصة نوح والانبياء بما قبلها تسلية للنبي ص والآخذ في كفر قومه بان حال من سبقه شبيهة بحال من تقدم من الامم مع
انبيائهم وتحذير القومه عن سلوك مثل طريقهم لئلا يعاقبوا بمثل عقوبتهم قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب
سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني
سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون
قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين
وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين ثماني عشرة آية القراءة قرأ حمزة وحده يزفون بضم الياء والباقون
بفتح الياء وفي الشواذ قرأ الحسن فراغ عليهم سفقا وقراءة عبد الله بن يزيد يزفون خفيفة الفاء الحجة زفت الابل تزف اذا اسرعت
وقرأ حمزة يزفون اي يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعي ازففت الابل حملها على ان تزف وهو سرعة المشي ومقاربة الخطو
والمفعول محذوف على قراءته وقيل ايضا ان ازف لغة في زف واما يزفون بالتخفيف فذهب قطرب الى انه بالتخفيف يزفون كقوله
وقرن في بيوتكن اي اقررن قال الهذلي وزفت الشول من برد العشي كما زف النعام الى حفانه الروح والظاهر ان يزفون من
وزف يزف مثل وعد يعد واما قوله سفقا باليمين فهو من قولهم سفقت الباب وصفقته والصاد اعرف وروي عن الحسن
بالصاد ايضا اللغة الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي بن ابي طالب ع الذين كانوا معه
على اعدائه وبعده مع من قام مقامه من ابنائه وروى ابو بصير عن ابي جعفر ع قال ليهنئكم الاسم قلت وما هو قال الشيعة قلت
ان الناس يعيروننا بذلك قال اما تسمع قول الله سبحانه وان من شيعته لابرهيم وقوله فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من
عدوه والروغ الميل من جهة الى جهة راغ يروغ روغا وروغانا اي حاد والرواغ الحياد وقال عدي بن زيد حين لا ينفع الرواغ
ولا ينفع الا الصادق النحرير الاعراب آلهة بدل من قوله ائفكا وائفكا مفعول تريدون فما ظنكم ما مبتدأ وظنكم خبره وقوله ضربا
مصدر فعل محذوف التقدير يضربهم ضربا والباء في قوله باليمين تتعلق بذلك المحذوف ويزفون حال من اقبلوا والله خلقكم
في موضع نصب على الحال من تعبدون والتقدير تعبدون ما تنحتون مخلوقين ذاهب الى مفعوله محذوف اي ذاهبا المعنى ثم اتبعه
سبحانه بقصة ابرهيم فقال وان من شيعته لابرهيم اي وان من شيعة نوح ابرهيم يعني انه على منهاجه وسنته في التوحيد
والعدل واتباع الحق عن مجاهد وقيل معناه وان من شيعة محمد ابرهيم كما قال انا حملنا ذريتهم اي ذرية من هو اب لهم فجعلهم
ذرية لهم وقد سبقوهم عن الفراء اذ جاء ربه بقلب سليم اي حين صدق الله وآمن به بقلب خالص من الشرك بريء من المعاصي و
الغل والغش على ذلك عاش وعليه مات وقيل بقلب سليم من كل ما سوى الله تعالى لم يتعلق بشيء غيره عن ابي عبد الله اذ قال
لابيه وقومه حين رآهم يعبدون الاصنام من دون الله على وجه التهجين لفعالهم والتقريع لهم ماذا تعبدون اي اي شيء
تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون والافك اشنع الكذب وافظعه واصله قلب الشيء عن جهته التي هي له فلذلك كان

خمس عشر
خمس عشر

الكذب

الكذب افكا وانما قال آلهة على اعتقاد المشركين وتوهمهم الفاسد فى الهية الاصنام لما اعتقدوا انها تستحق العبادة ثم اكد التقريع
بقوله دون الله اى اتريدون عبادة الهة دون عبادة الرحمن فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان الارادة لا يصح تعلقها
الا بما يصح حدوثه والاجسام مما لا يصح ان تراد فما ظنكم برب العالمين اى يصنع بكم مع عبادتكم غيره وقيل معناه كيف تظنون
برب تاكلون رزقه وتعبدون غيره وقيل ما تظنون بربكم انه على اى صفة ومن اى جنس من اجناس الاشياء حتى شبهتم به هذه
الاصنام وفيه اشارة الى انه لا يشبه شيئا فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم اختلف فى معناه على اقوال احدها انه عم نظر فى النجوم
فاستدل بها على وقت حمى كانت تعتاده فقال انى سقيم واراد انه قد حضر وقت علته وزمان نوبتها فكانه قال انى سأسقم لا محالة
وحان الوقت الذى تعتريني فيه الحمى وقد يسمى المشارف للشئ باسم الداخل فيه قال الله سبحانه انك ميت وانهم ميتون ولم
يكن نظره فى النجوم على حسب ما ينظره المنجمون طلبا للاحكام ومثله قول الشاعر اسهرى ما سهرت ام حكيم واقعدى مرة لذاك
وقومى وافتحى الباب فانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وثانيها انه نظر فى النجوم كنظرهم لانهم كانوا يتعاطون علم النجوم
فاوهمهم انه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك انى سقيم فتركوه ظنا منهم ان نجمه يدل على سقمه ويجوز ان يكون الله تعم اعلمه بالوحى
انه سيسقمه فى وقت مستقبل وجعل العلامة على ذلك طلوع نجم على وجه مخصوص واتصاله باخر على وجه مخصوص
فلما رأى ابرهيم عم تلك الامارة قال انى سقيم تصديقا بما اخبره الله تعم وثالثها ان معناه نظر فى النجوم نظر تفكر فاستدل بها
كما قصه الله تعم فى سورة الانعام على كونها محدثة غير قديمة ولا الهة فاشار بقوله انى سقيم على انه فى حال مهلة النظر وليس
على يقين من الامر ولا شفاء من العلم وقد يسمى الشك بانه سقم كما سمى العلم بانه شفاء وانما زال عنه هذا السقم عند زوال
الشك وكمال المعرفة عن ابى مسلم وهذا الوجه ضعيف فان سياق الاية يمنع منه فان قوله اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه و
قومه الى هذا الموضع من قصته يبين انه عم لم يكن فى زمان مهلة النظر وانه كان كامل المعرفة خالص اليقين والبصيرة
ورابعها ان قوله انى سقيم انى سقيم القلب او الراى حزنا من اصرار القوم على عبادة الاصنام وهى لا تبصر ولا تسمع ويكون على
هذا نظره فى النجوم فكرته فى انها محدثة مخلوقة مدبرة وتعجبه كيف ذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى عبدوها وما روله
العياشى باسناده عن ابى جعفر وابى عبد الله عم انهما قالا والله ما كان سقيما وما كذب فيمكن ان يحمل على احد الوجوه التى
ذكرناها ويمكن ان يكون على وجه التعريض بمعنى ان كل من كتب عليه الموت فهو سقيم وان لم يكن به سقم فى الحال وما روى
ان ابرهيم عم كذب ثلث كذبات قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله فى سارة انها اختى فيمكن ان يحمل ايضا على المعاريض
اى سأسقم وفعله كبيرهم على ما ذكرناه فى موضعه وسارة اخته فى الدين وقد ورد فى الخبر ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب
والمعاريض ان يقول الرجل شيئا يقصد به غيره فيفهم منه غير ما يقصده ولا يكون ذلك كذبا فان الكذب قبيح بعينه ولا
يجوز ذلك على الانبياء لانه يرفع الثقة بقولهم جل انبياء الله تعم واصفياؤه عن ذلك وقوله فتولوا عنه مدبرين اخبار
عن قومه انهم لما سمعوا قوله انى سقيم تركوه واعرضوا عنه وخرجوا الى عيدهم فراغ الى الهتهم معناه فمال الى اصنامهم التى
كانوا يدعونها الهة فقال الا تاكلون خاطبها وان كانت جمادا على وجه التهجين لعابديها وتنبيههم على ان من لا يتكلم ولا
يقدر على الجواب كيف يصح عبادتها وكانوا صنعوا للاصنام طعاما تقربا اليها وتبركا بها فلما لم يجيبوه فقال ما لكم لا تنطقون
زيادة فى تهجين عابديها كانهم حاضرون لها اى ما لكم لا تجيبون وفى هذا تنبيه على انها جماد لا تاكل ولا تنطق فهى احض
الاشياء فاقبلها فراغ عليهم ضربا باليمين اى فمال على الاصنام يكسرها ويضربها باليد اليمنى لانها اقوى على العمل عن الربيع
بن انس وقيل المراد باليمين القوة كما فى قوله تلقاها عرابة باليمين عن الفراء وهو قول السدى وقيل معناه بالقسم الذى سبق منه
وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون اى اقبلوا بعد الفراغ من عيدهم الى ابرهيم عم يسرعون عن الحسن وابن
زيد وقيل يزفون زفيف النعام وهو حال له بين المشى والعدو عن مجاهد وفى هذا حذف هو انهم اخبروا بصنيع ابرهيم عم باصنامهم
فقصدوه مسرعين وحملوه الى بيت اصنامهم وقالوا له انت فعلت هذا بالهتنا فاجابهم على وجه الحجاج عليهم بان قال اتعبدون

ما تنحتون وهو استفهام معناه الانكار والتوبيخ اى كيف يصح ان يعبد الانسان ما يعمله بيده فانهم كانوا ينحتون الاصنام بايديهم
والله خلقكم وما تعملون اى وخلق ما عملتم من الاصنام فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم وهذا كما يقال فلان يعمل الحصير وهذا الباب
من عمل فلان النجار قال الحسن معناه وخلق اصل الحجارة التى تعملون منها الاصنام وهذا يجرى مجرى قوله تلقف ما يافكون وقوله تلقف
ما صنعوا فى انه اراد المنحوت من الجسم هنا دون العرض الذى هو النحت كما اراد هنا المأفوك فيه والمصنوع فيه من الحبال والعصى دون
العرض الذي هو فعلهم فليس لاهل الجبر تعلق بهذه الآية فى الدلالة على ان الله سبحانه خالق لافعال العباد لان من المعلوم ان الكفار
لم يعبدوا نحتهم الذي هو فعلهم وانما كانوا يعبدون الاصنام التى هى الاجسام وقوله ما تنحتون هو ما يعملون فى المعنى على ان مبنى الآية
على التقريع للكفار والازراء عليهم بقبيح فعلهم ولو كان معناه والله خلقكم وخلق عبادتكم لكانت الآية الى ان تكون عذرا لهم اقرب
من ان يكون لوما وتهجينا اذ لكان لهم ان يقولوا اذ لم توبخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم ولانه
قد اضاف العمل اليهم بقوله تعملون فكيف يكون مضافا الى الله تعالى وهذا اناقض ولما لزمتهم الحجة قالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس
بنوا حايطا من حجارة طوله فى السماء ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملاؤه نارا وطرحوه فيها وذلك قوله فالقوه فى الجحيم
قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم وقيل ان الجحيم النار العظيمة وارادوا به كيدا اى حيلة وتدبيرا فى اهلاكه واحراقه
بالنار فجعلناهم الاسفلين بان اهلكناهم ونجينا ابرهيم وسلمناه ورددنا كيدهم عنه وقيل بان اشرفوا عليه فرأوه سالما فتحققوا
ان كيدهم لا ينفذ فيه وعلموا انهم مغلوبون وقال ابرهيم انى ذاهب الى ربى قال ابن عباس معناه مهاجر الى ربى اى اهجر دار الكفر
واذهب الى حيث امرنى الله تعالى بالذهاب اليه وهى الارض المقدسة وقيل انى ذاهب الى مرضات ربى بعملى ونيتى عن قتادة سيهدين
اى يهدينى ربى فيما بعد الى طريق المكان الذي امرنى بالمصير اليه والى الجنة بطاعتى اياه قال مقاتل وهو اول من هاجر ومعه لوط
وسارة الى الشام وانما قال سيهدين ترغيبا لمن هاجر معه فى الهجرة وتوبيخا لقومه فلما قدما الارض المقدسة سال ابرهيم عم ربه
الولد فقال رب هب لى من الصالحين اى ولدا من الصالحين كما يقول اكلت من الطعام فحذف لدلالة الكلام عليه قوله تعالى
فبشرناه بغلام حليم ❁ فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان
شاء الله من الصابرين ❁ فلما اسلما وتله للجبين ❁ وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ❁
ان هذا لهو البلاء المبين ❁ وفديناه بذبح عظيم ❁ وتركنا عليه فى الآخرين ❁ سلام على ابرهيم كذلك نجزى المحسنين ❁
انه من عبادنا المؤمنين ❁ وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ❁ وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ❁ ثلث عشرة آية القراءة
قرا اهل الكوفة غير عاصم ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء والباقون بفتح التاء والراء وفى الشواذ قراءة الاعمش والضحاك بضم التاء
وفتح الراء وروى عن على ع وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والضحاك والاعمش وجعفر بن محمد فلما سلما بغير الف ولام مشددة
الحجة قال ابو على من فتح التاء فقال ماذا ترى كان مفعول ترى احد شيئين اما ان يكون ما فى موضع نصب بانه مفعول ويكون
بمنزلة اسم واحد واما ان يكون ذا بمنزلة الذي فيكون مفعول ترى الهاء المحذوفة من الصلة ويكون ترى على هذا التى معناها الرأى
وليس ادراك الحاسة كما تقول فلان يرى رأى ابى حنيفة واذا جعلت ذا بمعنى الذي صار تقديره ما الذى تراه فيصير ما فى موضع ابتداء و
الذي فى موضع خبره ويكون المعنى ما الذي تذهب اليه فيما القيت اليك هل تستسلم له وتتلقاه بالقبول او تأتى غير ذلك ومن قرأ
ماذا ترى فيجوز ان يكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد فيكونا فى موضع نصب والمعنى اجلدا ترى على ما تحمل عليه ام خورا ويجوز ان يكون ما
مبتدأ وذا بمعنى الذي ويعود اليه الذكر المحذوف من الصلة والفعل منقول من رأى زيد الامر واريته الشئ الا انه من باب اعطيت
فيجوز الاقتصار على احد المفعولين دون الآخر كما ان اعطيت كذلك ولو ذكرت المفعول الآخر كان اريت زيدا خالدا وقال ابن جنى من قرأ
ماذا ترى فالمعنى ماذا يلقى اليك ويوقع فى خاطرك ومن قرأ ماذا ترى فالمعنى ماذا تستريه وتدعو الى العمل بحسبه وهو من قولك
ما تراك فى كذا وما الذى يحضرك فى كذا ومنه قوله لتحكم بين الناس بما اراك الله اى بما يحضرك اياه الرأى والخاطر واما قوله اسلما
فمعناه فوضا واطاعا واما سلما فمن التسليم اى سلما انفسهما واراد هاكالتسليم باليد لما امرا به ولم يخالفا ما اريد منهما من اجماع ابرهيم

خمس عشر ع

الذبح

الذبيح واسحق واسمعيل الصبر اللغة التل الصرع ومنه التل من التراب وجمعه تلول والتلول العنق لانه يتل والجبين ما عن
يمين الجبهة وشمالها وللوجه جبينان والجبهة بينهما والذبح بكسر الذال المهيا لانه يذبح وبفتح الذال المصدر الاعراب اختلف في جواب
لما من قوله فلما اسلما فقيل هو محذوف فلما اسلما وتله للجبين وناديناه فاز وظفر بما اراد وقيل جوابه ناديناه والواو زائدة نبيا منصوب
بانه حال من بشرناه وذو الحال اسحق المعنى ثم اخبر سبحانه انه استجاب لابرهيم ع دعاه بقوله فبشرناه بغلام حليم اى بابن وقور عن الحسن
قال وما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئا اجل من الحلم والحليم الذي لا يعجل في الامر قبل وقته مع القدرة عليه وقيل الذي لا يعجل بالعقوبة
قال الزجاج وهذه البشارة تدل على ان الغلام يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم ثم اخبر سبحانه ان الغلام الذي بشر به
ولد له وترعرع بقوله فلما بلغ معه السعي اى شب حتى بلغ سعيه سعي ابرهيم عن مجاهد والمعنى بلغ ان يتصرف ويمشي معه ويعينه
على اموره قالوا وكان يومئذ ابن ثلث عشرة سنة وقيل يعني بالسعي العمل لله والعبادة عن الحسن والكلبي وابن زيد ومقاتل قال يا
بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى يعني رأى في الكلام على خمسة اوجه احدها البصر والثاني علم نحو رايت زيدا عالما
والثالث ظن كقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا والرابع اعتقد نحو قوله وانا القوم ما نرى القتل سنة اذا ما راته عامر وسلول
والخامس بمعنى الراى نحو رايت هذا الراى واما رايت في المنام فمن رؤية البصر فمعنى الاية ان ابرهيم قال لابنه اني ابصرت في المنام
رؤيا تاويلها الامر بذبحك فانظر ماذا تريه واى شيء ترى من الراى ولا يجوز ان يكون ترى ههنا بمعنى تبصر لانه لم يشر الى شيء يبصر بالعين
ولا يجوز ان يكون بمعنى علم او ظن او اعتقد لان هذه الاشياء تتعدى الى مفعولين وليس هنا الا مفعول واحد مع استحالة المعنى فلم يبق
الا ان يكون من الراى والاولى ان يكون الله تعالى قد اوحى اليه في حال اليقظة لما كان يجوز ان يعمل على ما يراه في المنام وقال سعيد بن جبير
عن ابن عباس رؤيا الانبياء وحي وقال قتادة رؤيا الانبياء حق اذا راوا شيئا فعلوا وقال ابو مسلم رؤيا الانبياء مع ان جميعها صحيحة ضربان
احدهما ان ياتي الشيء كما راه بعينه وقوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الاية والاخر ان يكون عبارة على
خلاف الظاهر مما راه في النوم وذلك كرؤيا يوسف ع احد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين وكان رؤيا ابرهيم ع من هذا القبيل
لكنه لم يؤثر ان يكون مما اراده مما يلزمه العمل به على الحقيقة ولا يسعه غير ذلك فلما اسلما اعلمه الله سبحانه انه صدق الرؤيا بما فعله وفدى
ابنه من الذبح بالذبح قال يا ابت افعل ما تؤمر اى ما امرت به ستجدني ان شاء الله من الصابرين اى ستصادفني بمشية الله وتوفيقه
ممن يصبر على الشدايد في جنب الله ويسلم لامره فلما اسلما اى استسلما لامر الله ورضيا به واطاعاه وقيل معناه سلم الاب ابنه لله وسلم
الابن نفسه لله وتله للجبين اى اضجعه على جبينه عن الحسن وقيل معناه وضع جبينه على الارض لئلا يرى وجهه فيلحقه رقة الاباء
عن ابن عباس وروى انه قال اذبحني وانا ساجد لا تنظر الى وجهي فعسى ان ترحمني فلا تذبحني وناديناه ان يا ابرهيم تقديره ناديناه
بان يا ابرهيم اى بهذا الضرب من القول قد صدقت الرؤيا اى فعلت ما امرت به في الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين اى كما جازيناه
بالعفو عن ذبح ابنه نجزي من سلك طريقتهما في الاحسان والاستسلام والانقياد لامر الله ان هذا لهو البلاء المبين اى ان هذا هو
الامتحان الظاهر والاختبار الشديد وقيل ان هذا هو النعمة الظاهرة وتسمى النعمة بلاء بسببها المودي اليها كما يقال لاسباب الموت
هي الموت لانها تودي اليه واختلف العلماء في الذبيح على قولين احدهما انه اسحق روى ذلك عن علي ع وابن مسعود وقتادة وسعيد بن
جبير ومسروق وعكرمة وعطا والزهري والسدي والجبائي والقول الاخر انه اسمعيل عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن و
الشعبي ومجاهد والربيع بن انس والكلبي ومحمد بن كعب القرظي وقد رواه اصحابنا عن ائمتنا عليهم السلم الا ان الاظهر في الروايات
انه اسمعيل ويعضده قوله بعد قصة الذبح وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ومن قال انه بشر بنبوة اسحق فقد ترك الظاهر لانه
قال في موضع آخر فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فبشرناه باسحق وبانه سيولد له يعقوب فكيف يبشره بذرية اسحق ثم يامره
بذبح اسحق مع ذلك وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انا ابن الذبيحين ولا خلاف انه من ولد اسمعيل والذبيح الاخر هو عبد الله
ابوه وحجة من قال انه اسحق ان اهل الكتابين اجمعوا على ذلك وجوابه ان اجماعهم ليس بحجة وقولهم غير مقبول وروى محمد بن اسحق
عن محمد بن كعب القرظي قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فسالني عن الذبيح فقلت اسمعيل واستدللت بقوله وبشرناه باسحق نبيا فارسل

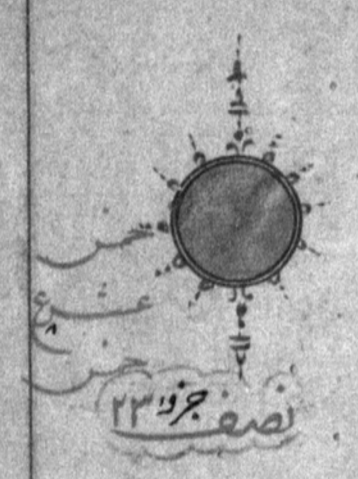
الى رجل بالشام كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال اسمعيل ثم قال
والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم الذي كان من امر الله فيه ما كان
فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم وقال الاصمعي سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق ام اسمعيل فقال
لي يا اصمعي اين ذهب عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان بمكة اسمعيل وهو بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة لا شك فيه وقد استدل
بهذه الآية من اجاز نسخ الشئ قبل وقت فعله فقال ان الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد ان امره به وقد اجيب عن ذلك باجوبة احدها انه
سبحانه لم يامر ابرهيم بالذبح الذي هو فرى الاوداج وانما امره بمقدمات الذبح من الاضجاع وتناول المدية وما يجري مجرى ذلك
والعرب قد يسمي الشئ باسم مقدماته ولهذا قال له قد صدقت الرؤيا ولو كان امره بالذبح لكان انما صدق بعض الرؤيا واما الفداء
بالذبح فلما كان يتوقعه من الامر بالذبح ولا يمتنع ايضا ان يكون فدية عن مقدمات الذبح فان الفدية لا يجب ان تكون من
جنس المفدي الا ترى ان حلق الراس قد يفدى بدم ما يذبح وكذلك لبس الثوب المخيط والجماع وغير ذلك وثانيها انه عليه
انما امره بصورة الذبح وقد فعله لانه فرى اوداج ابنه ولكنه كلما فرى جزءا منه وجاوزه الى غيره عاد في الحال ملتحما فان قلت ان
حقيقة الذبح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحيوة فالجواب ان ذلك غير مسلم لانه يقال ذبح هذا الحيوان ولم يمت بعد
ولو سلمنا ان حقيقة الذبح ذلك لكان لنا ان نحمل المذبح على المجاز للدليل الدال عليه وثالثها ان الله تعالى امره بالذبح الا انه سبحانه
جعل على عنقه صفحة من نحاس فكلما امر ابرهيم ع السكين عليه لم يقطع او كان كلما اعتمد على السكين انقلب على اختلاف الرواية
فيه وهذا التاويل يسوغ اذا قلنا انه كان مامورا بما يجري مجرى الذبح ولا يجوز اذا قلنا انه امر بحقيقة الذبح لانه يكون تكليفا لما
لا يطاق ثم قال سبحانه وفديناه بذبح عظيم الفداء جعل الشئ مكان الشئ لدفع الضرر عنه والذبح هو المذبوح وما يذبح والمعنى
انا جعلنا الذبح بدلا عنه كالاسير يفدى بشئ واختلف في الذبح فقيل كان كبشا من الغنم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وسعيد
بن جبير قال ابن عباس هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه وقيل فدى بوعل اهبط عليه من ثبير عن الحسن ولم سمي
عظيما فيه خلاف قيل لانه كان متقبلا عن مجاهد وقيل لان قدر غيره من الكباش يصغر بالاضافة اليه وقيل لانه رعى في الجنة اربعين
خريفا عن سعيد بن جبير لانه كان من عند الله كونه ولم يكن عن نسل وقيل لانه فداء عبد عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام
على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قد مضى تفسيره ذلك وبشرناه باسحق اي بولادة اسحق نبيا من الصلحين
اي ولدا نبيا من جملة الانبياء الصلحين وهذا ترغيب في الصلاح بان مدح مثله في جلالته بالصلاح ومن قال ان الذبيح اسحق
قال يعني بشرناه بنبوة اسحق واثبتنا اسحق بالنبوة لصبره وباركنا عليه وعلى اسحق اي وجعلنا فيما اعطيناهما من الخير والبركة يعني
النماء والزيادة ومعناه جعلنا ما اعطيناهما من الخير دائما ثابتا ناميا ويجوز ان يكون اراده كثرة ولدهما وبقاءهم قرنا بعد قرن الى ان تقوم
الساعة ومن ذريتهما اي من اولاد ابرهيم واسحق محسن بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعصية مبين بين الظلم القصة
من ذهب الى ان الذبيح اسحق ذكر ان ابرهيم ع لما فارق قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما حكى الله سبحانه عنه من قوله اني ذاهب
الى ربي سيهدين دعا الله تعالى ان يهب له ولدا ذكرا من سارة فلما نزل به اضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة وبشروه بغلام حليم
قال ابرهيم حين بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك الذي نذرت فكان هذا هو السبب في
امره ع بذبح ابنه فقال ابرهيم ع عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا لله واخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى اذا ذهب به
بين الجبال قال له الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام الى آخره عن السدي وقيل ان ابرهيم ع رأى في المنام ان يذبح
ابنه اسحق وقد كان حج بوالدته سارة واهله فلما انتهى الى منى رمى الجمرة هو واهله وامر سارة فزارت البيت وحبس الغلام فانطلق به الى
موضع الجمرة الوسطى فاستشاره في نفسه فامره الغلام ان يمضي لما امره الله وسلما لامر الله فلقيه شيخ فقال له يا ابرهيم ما تريد من هذا
الغلام قال اريد ان اذبحه فقال سبحان الله تريد ان تذبح غلاما لم يعص الله قط قال ابرهيم ع ان الله امرني بذلك قال ربك ينهيك
عن ذلك وانما امرك بهذا الشيطان فقال ابرهيم ع لا والله فلما عزم على الذبح قال الغلام يا ابتاه خمر وجهي وشد وثاقي قال ابرهيم ع

يابني الوثاق مع الذبح والله لا اجمعها عليك اليوم ورفع راسه الى السماء ثم انتحى اليه بالمدية فقلب جبرئيل عم بالمدية على قفاها و
اجتر الكبش من قبل ثبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكبش موضع الغلام ونودي من ميسرة مسجد الخيف يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا
انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين قيل ولحق ابليس لعنه الله بام الغلام حين زارت البيت فقال لها ما شيخ رايته
بمنى قالت ذاك بعلي قال فوصيف رايته معه قالت ذاك ابني قال فاني رايته وقد اضجعه واخذ المدية ليذبحه قالت كذبت ابرهيم ع
ارحم الناس فكيف يذبح ابنه قال فورب السماء والارض ورب هذه الكعبة قد رايته كذلك قالت ولم قال زعم ان ربه
امره بذلك قالت حق له ان يطيع ربه فوقع في نفسها انه قد امر في ابنها بامر فلما قضت نسكها اسرعت في الوادي راجعة الى
منى واضعة يدها على راسها وهي تقول يا رب لا تواخذني بما عملت بام اسمعيل فلما جاءت سارة واخبرت بالخبر قامت الى
ابنها تنظر فرات اثر السكين خدشا في حلقه ففزعت واشتكت فكان بدء مرضها الذي هلكت به رواه العياشي وعلي بن ابرهيم
بالاسناد في كتابيهما ومن قال انه الذبيح اسمعيل فمنهم محمد بن اسحق بن يسار ذكر ان ابرهيم ع كان اذا زار اسماعيل ع وهاجر
حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ معه السعي ارى في المنام انه يذبحه
فقال له يا بني خذ هذا الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلى ابرهيم ع بابنه في شعب ثبير اخبره بما قد ذكره
الله عنه فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه امي واشحذ شفرتك واسرع
من السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد فقال له ابرهيم ع نعم العون انت يا بني على امر الله ثم ذكر نحو ما
تقدم ذكره وروى العياشي باسناده عن بريد بن معوية العجلي قال قلت لابي عبد الله ع كان بين بشارة ابرهيم ع باسحق ع
باسماعيل ع وبين بشارته قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه فبشرناه بغلام حليم يعني اسمعيل ع وهي اول
بشارة بشر الله بها ابرهيم ع في الولد ولما ولد لابرهيم ع اسحق ع من سارة وبلغ اسحق ثلث سنين اقبل اسماعيل الى اسحق وهو
في حجر ابرهيم ع فنحاه وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت يا ابرهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو مكانه لا والله
لا تجاورني هاجر وابنها في بلد ابدا فنحهما عني وكان ابرهيم ع مكرما لسارة يعزها ويعرف حقها وذلك انها كانت من ولد
الانبياء وبنت خالته فشق ذلك على ابرهيم واغتم لفراق اسماعيل فلما كان في الليل اتى ابرهيم آت من ربه فاراه الرؤيا في ذبح ابنه
اسمعيل ع بموسم مكة فاصبح ابرهيم ع حزينا للرؤيا التي رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل ابرهيم ع هاجر واسمعيل ع في
ذي الحجة من ارض الشام فانطلق بهما الى مكة ليذبحه في الموسم فبدا بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعده خرج الى منى
حاجا وقضى نسكه بمنى ورجع الى مكة فطافا بالبيت اسبوعا ثم انطلقا الى السعي فلما صارا الى المسعى قال ابرهيم لاسمعيل يا بني
اني ارى في المنام اني اذبحك في موسم عامي هذا فما ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر فلما فرغا من سعيهما انطلق به ابرهيم ع الى
منى وذلك يوم النحر فلما انتهى به الى الجمرة الوسطى واضجعه لجنبه الايسر واخذ الشفرة ليذبحه نودي ان يا ابرهيم قد
صدقت الرؤيا الى آخره وفدى اسمعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه
قال سالته عن كبش ابرهيم ما كان لونه قال املح اقرن ونزل من السماء على الجبل الايمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى
وكان يمشي في سواد وياكل في سواد وينظر في سواد ويبعر ويبول في سواد وعن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله ع انه سئل
عن صاحب الذبح قال هو اسمعيل ع وعن زياد بن سوقة عن ابي جعفر ع قال سالته عن صاحب الذبح فقال اسمعيل عليه
قوله تعالى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمَا
الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ تسع آيات اللغة اصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون
اي غير منقطع وحبل منين اي منقطع والنصر المعونة الا ان كل نصر معونة وليس كل معونة نصرا لان النصر يختص بالمعونة على
الاعداء والمعونة عامة المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم بذكر موسى وهرون فقال ولقد مننا على موسى وهرون اي

خمس عشر

انعمنا عليهما نعما قطعت عنهما كل اذية فمنها النبوة ومنها النجاة من آل فرعون ومنها ساير النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما
بني اسرائيل من الكرب العظيم من تسخير قوم فرعون اياهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة وقيل من الغرق ونصرناهم على فرعون
وقومه فكانوا هم الغالبين القاهرين بعد ان كانوا مغلوبين مقهورين وآتيناهما الكتاب المستبين يعني التورية الداعي الى نفسه
بما فيه من البيان وكذلك كل كتب الله تعم بهذه الصفة وهديناهما الصراط المستقيم اى دللناهما على الطريق المؤدي الى الحق الموصل
الى الجنة وتركنا عليهما الثناء الجميل في الآخرين بان قلنا سلام على موسى وهرون وقد مر القول في ذلك انا كذلك اى مثل ما فعلنا
بهما نجزي المحسنين نفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعاتهم وفي هذا دلالة على ان ما فعل الله كان على وجه الثواب لموسى و
هرون ومن تقدم ذكره لان لفظ الجزاء يفيد ذلك انهما من عبادنا المؤمنين اى من جملة عبادنا المصدقين بجميع ما اوجبه الله
عليهم العالمين بذلك قوله تعالى وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ
اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ عشر آيات القراءة قرا اهل العراق غير ابي عمرو وابي بكر الله ربكم ورب
ابائكم بالنصب والباقون برفع الجميع وقرا ابن عامر ونافع ورويس عن يعقوب آل ياسين بفتح الالف وكسر اللام مقطوعة من
ياسين والباقون الياسين بكسر الالف وسكون اللام موصولة بياسين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والاعمش والحكم
بن عيينة وابن ادريس سلام على ادراسين وقراءة ابن محيصن وابي رجاء وابي الياس سلام على الياسين بغير همز الحجة
من قرا الله ربكم فهو على الاستيناف ومن نصب فعلى البدل من احسن الخالقين وقال ابو علي من قرا آل ياسين فحجته انها في
المصحف مفصولة من ياسين وفي فصلها دلالة على ان آل هو الذي تصغيره اهيل وقال الزجاج من قرا الياسين فانه جمع
الياس جمع هو واتباعه المؤمنون وكذلك يجمع ما ينسب الى الشيء بلفظ الشيء فتقول رايت المسامعة والمهالبة تريد بني المسمع وبني المهلب
وكذلك رايت المهلبين والمسمعين وفيها وجه آخر وهو ان يكون لغتان الياس والياسين كما قيل ميكال وميكائيل قال ابو علي هذا
لا يصح لان ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد وليس احدهما مفردا والآخر جمعا كالياس والياسين وادريس وادريسين ومثله
قد ذني من نصر الخبيبين قدى اراد عبد الله ومن كان على رايه فكذلك الياسين وادراسين من كان من شيعته واهل دينه على
ارادة ياء النسب التقدير الياسيين وادراسيين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم التي يراد الصفة نحو الاعجمين
والاشعرين الاعراب سلام في هذه الآي كلها مبتدا والجر بعده الجار والمجرور والجملة في موضع المفعول لقوله تركنا ولو اعمل
تركنا فيه فقال سلاما يجوز ان يكون التقدير وتركنا عليه في الآخرين الثناء الحسن فحذف مفعول تركنا ثم ابتدا فقال سلام
المعنى ثم بين سبحانه قصة الياس فقال وان الياس لمن المرسلين واختلف فيه فقيل هو ادريس عن ابن مسعود وقتادة
وقيل هو من انبياء بني اسرائيل من ولد هرون بن عمران ابن عم اليسع عن ابن عباس ومحمد بن اسحق وغيرهما قالوا ان الله بعثه بعد حزقيل
لما عظمت الاحداث في بني اسرائيل وكان يوشع لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاحل سبطا منهم ببعلبك
وهم سبط الياس بعث فيهم نبيا اليهم فاجابه الملك ثم ان امراته حملته الى ان ارتد فخالف الياس وطلبه ليقتله فهرب الى الجبال
والبراري وقيل انه استخلف اليسع على بني اسرائيل ورفعه الله تعالى من بين اظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشراب وكساه
الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله على الملك وقومه عدوا لهم فقتل الملك وامراته وبعث الله اليسع رسولا
فامنت به بنو اسرائيل وعظموه وانتهوا الى امره عن ابن عباس وقيل ان الياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزاير ويجتمعان
كل يوم عرفة بعرفات وذكر وهب انه ذو الكفل اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله ونقمته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه
اتدعون بعلا يعني صنما لهم من ذهب كانوا يعبدونه عن عطا والبعل بلغة اهل اليمن هو الرب والسيد عن عكرمة ومجاهد
وقتادة والسدي فالتقدير اتدعون ربا غير الله تعالى وتذرون احسن الخالقين اى تتركون عبادة احسن الخالقين الله ربكم اى
خالقكم ورازقكم فهو الذي يحق له العبادة ورب ابائكم الاولين وخالق من مضى من ابائكم واجدادكم فكذبوه فيما دعاهم

خمس عشر



نصف جزو ٢٣

اليه ولم يصدقوه فانهم لمحضرون فى العذاب والنار الا عباد الله المخلصين استثنى من جملتهم الذين اخلصوا عبادتهم لله من
قومه وتركنا عليه فى الآخرين فيه القولان اللذان ذكرناهما سلام على آل ياسين قال ابن عباس ال ياسين ال محمد ص وياسين
من اسمائه ومن قرأ الياسين قال اراد الياس ومن اتبعه وقيل ياسين اسم السورة فكانه قال سلام على من آمن بكتاب الله تع
والقرآن الذي هو ياسين انا كذلك نجزي المحسنين باحسانهم انه من عبادنا المؤمنين المصدقين العاملين بما اوجبناه عليهم
قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين • اذ نجيناه واهله اجمعين • الا عجوزا فى الغابرين • ثم دمرنا الآخرين • وانكم لتمرون
عليهم مصبحين • وبالليل افلا تعقلون • وان يونس لمن المرسلين • اذ ابق الى الفلك المشحون • فساهم فكان من المدحضين •
فالتقمه الحوت وهو مليم • فلولا انه كان من المسبحين • للبث فى بطنه الى يوم يبعثون • فنبذناه بالعراء وهو سقيم •
وانبتنا عليه شجرة من يقطين • وارسلناه الى مائة الف او يزيدون • فآمنوا فمتعناهم الى حين • ست عشرة آية القراءة
قرأ جعفر بن محمد الص ع ويزيدون بالواو والوجه فيها ظاهر اللغة الغابر الباقى قليلا بعد ما مضى ومنه الغبار لانه يبقى
بعد ذهاب التراب قليلا والتدمير الاهلاك على وجه التنكيل والآبق الفار الى حيث لا يهتدي اليه طالبه وقد ابق يابق ويابق
اباقا والمشحون المملو والمساهمة المقارعة ماخوذ من القاء السهام ودحضت حجته اى سقطت وادحضها الله ماخوذ من الدحض
وهو الزلق لانه يسقط المار فيه قال الشاعر وحدت كما حاد البعير عن الدحض والالتقام ابتلاع اللقمة يقال لقمه والتقمه وتلقمه
بمعنى ولام الرجل فهو مليم اى اتى بما يلام عليه قال لبيد سفها عذلت ولمت غير مليم وهواك قبل اليوم غير حكيم والعراء الفضاء
الذى لا يوارىه شجر ولا غيره وقيل العراء الوجه الارض الخالى قال رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابى
واليقطين كل شجرة تبقى من الشتاء الى الصيف ليس لها ساق قال امية بن ابى الصلت فانبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا
الله الفى ضاحيا وهو تفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به اقامة رايح والقطانى من الحبوب التى تقيم فى البيت
مثل الحمص والعدس والحلو واحدها قطنية وقطنية الاعراب مصبحين حال من قوله تمرون وبالليل الجار والمجرور فى
موضع نصب عطفا عليه وتقديره لتمرون عليهم مصبحين وممسين المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم خبر لوط
فقال وان لوطا لمن المرسلين اى رسولا من جملة من ارسله الله الى خلقه داعيا لهم الى طاعته ومنبها لهم على وحدانيته اذ نجيناه
واهله اجمعين اذ يتعلق بمحذوف كانه قيل اذكر يا محمد اذ نجيناه اى خلصناه ومن آمن به من قومه من عذاب الاستيصال
الا عجوزا فى الغابرين اى فى الباقين الذين اهلكوا استثنى من جملة قومه امراته ثم دمرنا الآخرين اى اهلكناهم وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل هذا خطاب لمشركى العرب اى تمرون فى ذهابكم ومجيئكم الى الشام على قريهم ومنازلهم بالنهار
وبالليل افلا تعقلون فتعتبرون بهم ومن كثرة مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان اللوم ممن قل ذلك منه والمعنى افلا تتفكرون
فيما نزل بهم لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر والضلال والوجه فى ذكر قصص الانبياء وتكريرها التشويق الى مثل
ما كانوا عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الخلال وصرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوى الخصال وقبايح الافعال
وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون اى فر من قومه الى السفينة المملوة من الناس والاحمال خوفا من ان
ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم فساهم يونس القوم بان القوا السهام على سبيل القرعة اى قارعهم فكان من المدحضين اى
المقروعين عن الحسن وابن عباس وقيل المسهومين عن مجاهد والمراد من الملقين فى البحر واختلف فى سبب ذلك فقيل
انهم اشرفوا على الغرق فراوا انهم ان طرحوا واحدا فى البحر لم يغرق الباقون وقيل ان السفينة احتبست فقال الملاحون
ان هنا عبدا ابقا فان من عادة السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري فلذلك اقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلث مرات
فعلموا انه المطلوب فالقى نفسه فى البحر وقيل انه لما وقعت القرعة عليه القوه فى البحر فالتقمه الحوت اى ابتلعه قيل
ان الله سبحانه اوحى الى الحوت انى لم اجعل عبدى رزقا لك ولكنى جعلت بطنك له مسجدا فلا تكسرن له عظما ولا تخدشن
له جلدا وهو مليم اى مستحق اللوم لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير امر ربه وعندنا ان ذلك انما

وقع منه تركا للمندوب وقد يلام الانسان على ترك المندوب ومن جوز الصغيرة على الانبياء قال وقع ذلك منه صغيرة
مكفرة واختلف فى مدة لبثه فى بطن الحوت فقيل كانت ثلثة ايام عن مقاتل بن حيان وقيل سبعة ايام عن عطا وقيل
عشرين يوما عن الضحاك وقيل اربعين يوما عن السدى ومقاتل بن سليمان والكلبى فلولا انه كان من المسبحين اى كان
من المصلين فى حال الرخا فنجاه الله عند البلاء عن قتادة وقيل لتسبيحه انه كان يقول لا اله الا انت سبحانك انى كنت
من الظالمين عن سعيد بن جبير وقيل من المسبحين اى المنزهين الله عما لا يليق به ولا يجوز فى صفة الذاكرين له للبث
فى بطنه الى يوم يبعثون اى لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيمة فنبذناه بالعراء اى فطرحناه بالمكان الخالى الذى لا نبت
فيه ولا شجر وقيل بالساحل الهم الله سبحانه الحوت حتى قذفه ورماه من جوفه على وجه الارض وهو سقيم اى مريض حين
القاه الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين وهو القرع عن ابن مسعود وقيل هو كل نبت يبسط على وجه الارض
ولا ساق له عن ابن عباس والحسن وروى عن ابن مسعود قال خرج يونس ع من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس له ريش
فاستظل بالشجرة من الشمس وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قيل ان الله سبحانه ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل
عن قتادة وكانت رسالته هذه بعد ما نبذه الحوت عن ابن عباس فعلى هذا يجوز ان يكون ارسل الى قوم بعد قوم ويجوز
ان يكون ارسل الى الاولين بشريعة فامنوا بها وقيل فى معنى او من قوله او يزيدون وجوه احدها انه على طريق الابهام
على المخاطبين كانه قال ارسلناه الى احدى العدتين وثانيها ان او للتخيير كان الرائى خير بين ان يقول هم مائة الف او
يزيدون عن سيبويه والمعنى انهم كانوا عددا لو نظر اليهم الناظر لقال هم مائة الف او يزيدون وثالثها ان او بمعنى الواو
كانه قال ويزيدون عن بعض الكوفيين وقال بعضهم معناه بل يزيدون وهذان القولان الاخيران غير مرضيين عند
المحققين واجود الاقوال الاول ثم الثانى واختلف فى الزيادة على مائة الف كم هى فقيل عشرون الفا عن ابن عباس ومقاتل
وقيل بضع وثلثون الفا عن الحسن والربيع وقيل سبعون الفا عن مقاتل بن حيان فامنوا فمتعناهم الى حين حكى سبحانه
عنهم انهم لو امنوا بالله وراجعوا التوبة لكشف عنهم العذاب ومتعهم بالمنافع واللذات الى انقضاء اجالهم قوله تعالى
فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ • أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ • أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ • وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ • مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ • أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ •
فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ •
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ • اثنتا عشرة اية القراءة قرا ابو جعفر ونافع برواية اسمعيل وورش
من طريق الاصفهانى لكاذبون اصطفى بالوصل والابتداء اصطفى بكسر الهمزة والباقون اصطفى بفتح الهمزة وكذلك
ورش من طريق البخارى الحجة قال ابو على الوجه الهمز على وجه التقريع لهم بذلك والتوبيخ ويقوى ذلك قوله تعالى
ام اتخذ مما يخلق بنات وقوله ام له البنات ولكم البنون الكم الذكر وله الانثى فكما ان هذه المواضع كلها استفهام كذلك
قوله اصطفى البنات ووجه القراءة الاخرى انه على وجه الخبر كانه اصطفى البنات فيما تقولون كقوله ذق انك انت
العزيز الكريم اى عند نفسك وفيما كنت تقوله وتذهب اليه ويجوز ان يكون اصطفى البنات بدلا من قوله ولد الله
لان ولادة البنات واتخاذهن اصطفاء لهن فيصير اصطفى بدلا من المثال الماضى كما كان قوله يضاعف له العذاب بدلا
من قوله يلق اثاما ويجوز ان يكون اصطفى البنات تفسير الكذبهم فى قوله وانهم لكاذبون كما ان قوله لهم مغفرة تفسير
للوعد ويجوز ان يكون متعلقا بالقول على انه اريد حرف العطف فلم يذكروا استغنى بما فى الجملة الثانية من الاتصال
عن حرف العطف كقوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم وغير ذلك المعنى ثم عاد الكلام الى الرد على مشركى العرب فقال
سبحانه فاستفتهم اى سلهم واطلب الحكم منهم فى هذه القضية الربك البنات ولهم البنون اى كيف اضفتم البنات الى الله
واخترتم لانفسكم البنين وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة ام خلقنا الملائكة

عشر
خمس
عشر

انا

اناثا معناه بل خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون اى حاضرون خلقنا اياهم اى كيف جعلوهم اناثا ولم يشهدوا خلقهم
ثم اخبر عن كذبهم فقال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله حين زعموا ان الملائكة بنات الله وانهم لكاذبون فى قولهم
اصطفى البنات على البنين دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومثله قول ذى الرمة استحدث
الركب من اشياعهم خبرا ام راجع القلب من اطرابه طرب والمعنى كيف يختار الله سبحانه الادون على الاعلى مع كونه مالكا
حكيما ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون لله بالبنات ولانفسكم بالبنين افلا تذكرون اى افلا تتعظون فتنتهون عن مثل
هذا القول ام لكم سلطان مبين اى حجة بينة على ما تقولون وتدعون وهذا كله انكار فى صورة الاستفهام فاتوا بكتابكم ان
كنتم صادقين المعنى فاتوا بكتابكم الذى لكم فيه الحجة ان كنتم صادقين فى قولكم والمراد انه لا دليل لكم على ما تقولونه من
جهة العقل ولا من جهة السمع وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اختلف فى معناه على اقوال احدها ان المراد به قول الزنادقة
ان الله وابليس اخوان وان الله تعالى خلق النور والخير والحيوان النافع وابليس خلق الظلمة والشر والحيوان الضار عن
الكلبى وعطية وثانيها انه قول المشركين ان الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد
وقتادة والجبائى وثالثها انهم قالوا صاهر الله الجن فحدثت الملائكة تعالى الله عن قولهم ورابعها انهم اشركوا الشيطان
فى عبادة الله تعالى فذلك هو النسب الذى جعلوه بينه وبين الجنة عن الحسن ولقد علمت الجنة وهم الجن الذى دعوهم انهم
لمحضرون اى علمت الملائكة ان هؤلاء الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب يوم القيمة عن السدى وقيل معناه قد علمت
الجنة وهم الجن الذين دعوهم انهم محضرون للعذاب بدعائهم الى هذا القول سبحان الله عما يصفون نزه سبحانه نفسه عما
يصفونه به ويضافوه اليه الا عباد الله المخلصين استثنى سبحانه عباده المخلصين من جملة الكفار القائلين فيه ما لا يليق به
قوله تعالى فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ
وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عشر آيات القراءة
فى الشواذ قراءة الحسن صال الجحيم بضم اللام الحجة قال ابن جنى كان الشيخ ابو على يحمله على انه حذف لام صال تخفيفا واعرب
اللام بالضم كما حذفت لام البالية من قولهم ما باليت به بالة وذهب قطرب الى انه جمع صال اى صالون فحذفت النون للاضافة
والواو لالتقاء الساكنين وحمل على معنى من لانه جمع كقوله ومنهم من يستمعون اليك وهذا احسن عندى وقول ابى على مأخوذ به
اللغة الفاتن الداعى الى الضلال بتزيينه واصل تفتنه من قولهم فتنت الذهب بالنار اذا اخرجته الى حال الخلاص
الصالى اللازم للنار المحترق بها والمصطلى المستدفى بالنار ومنه الصلوة للزوم الدعاء فيها والمصلى الذى يجى بعد
السابق للزومه اثره المعنى ثم خاطب الكفار بان قال لهم فانكم وما تعبدون موضع ما نصب عطفا على الكاف و
المعنى انكم يا معشر الكفار والذين تعبدونهم ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم الهاء فى عليه الى ما يعود فيه
قولان احدهما انه يعود الى ما تعبدون والتقدير انكم وما تعبدونه ما انتم عليه بفاتنين على عبادته احدا الا من يصلى
الجحيم ويحترق بها بسوء اختياره وقيل معناه ما انتم بمضلين احدا اى لا تقدرون على اضلال احد الا من سبق فى علم
الله تعالى انه سيكفر بالله ويصلى الجحيم والآخر ان الضمير فى عليه يعود الى الله والتقدير ما انتم على الله وعلى دينه
بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم باختياره وهذا كما يقال لا يهلك على الله هالك وفلان يربح على فلان ويخسر
على فلان وما منا الا له مقام معلوم هذا قول جبرائيل للنبى صلى الله عليه وآله وقيل انه قول الملائكة وفيه مضمر اى وما
منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم فى السموات يعبد الله فيه وقيل معناه انه لا يتجاوز ما امر به ورتب له كما لا
يتجاوز صاحب المقام مقامه الذى حد له فكيف يجوز ان يعبد من هو بهذه الصفة وهو عبد مربوب وانا لنحن الصافون
حول العرش ننتظر الامر والنهى من الله تعالى وقيل القائمون صفوفا فى الصلوة قال الكلبى صفوف الملائكة فى السماء
كصفوف اهل الدنيا فى الارض وقال الجبائى صفوفا باجنحتها فى الهواء للعبادة والتسبيح وانا لنحن المسبحون المصلون المنزهون

الرب عما لا يليق به ومنه قيل فرغت من سبحتي اى من صلوتي وذلك لما في الصلوة من تسبيح الله وتعظيمه والمسبحون
القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله وان كانوا ليقولون ان هذه هي المخففة من الثقيلة الا ترى ان اللام قد لزم
خبرها والمعنى وان هؤلاء الكفار يعني اهل مكة كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اى كتابا من الاولين اى من كتب الاولين التي
انزلها الله على انبيائه وقيل ذكرا اى علما من الاولين الذين تقدمونا وما فعل الله بهم فسمي العلم ذكرا لان الذكر من اسباب
العلم لكنا عباد الله المخلصين الذين يخلصون العبادة لله فجعلوا العذر في امتناعهم من الايمان انهم لا يعرفون اخبار
من تقدمهم وهل حصلوا في جنة او نار فكفروا به اى في الكلام حذف تقديره فلما اتيتهم الكتاب وهو القرآن كفروا به فسوف يعلمون
عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم قوله تعالى وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ
حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اثنتا عشرة آية المعنى ثم اقسم سبحانه فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي
سبق الوعد منا لعبادنا المرسلين اى سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم الى الخلق انهم لهم المنصورون في الدنيا
والآخرة على الاعداء بالقهر والغلبة وبالحجج الظاهرة وقيل معناه سبقت كلمتنا لهم بالسعادة ثم ابتدأ فقال انهم اى
ان المرسلين لهم المنصورون واللام للتاكيد وهم فصل وقيل عنى بالكلمة قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي الآية وسميت
جملة من الكلام بانها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار بمنزلة الواحد وقصة واحدة كالشيء الواحد قال الحسن المراد
بالآية نصرتهم في الحرب فانه لم يقتل نبي من الانبياء قط في الحرب وانما قتل من قتل منهم غيلة او على وجه آخر في غير الحرب
وان مات نبي قبل النصرة او قتل فقد اجرى الله تعالى العادة بان ينصر قومه من بعده فيكون في نصرة قومه نصرة له فقد
تحقق قوله هم المنصورون وقال السدي المراد بالآية النصر بالحجة وان جندنا لهم الغالبون اضاف المؤمنين الى نفسه
ووصفهم بانهم جنده تشريفا لهم وتنويها بذكرهم حيث قاموا بنصرة دينه وقيل معناه ان رسلنا هم المنصورون
لانهم جندنا وان جندنا هم الغالبون يقهرون الكفار بالحجة تارة وبالفعل اخرى ثم قال لنبيه ع فتول عنهم اى اعرض
عن هؤلاء الكفار حتى حين اى الى وقت نامرك فيه بقتالهم يوم بدر عن مجاهد والسدي وقيل الى يوم الموت عن ابن عباس
وقتادة وقيل الى يوم القيمة وقيل الى انقضاء مدة الامهال وابصرهم فسوف يبصرون اى انظرهم وابصر ما ضيعوا من امر
الله فسوف يروا العذاب عن ابن زيد وقيل وابصرهم اذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون ذلك وقيل وابصر حالهم بقلبك
فسوف يبصرون ذلك في القيمة ومعانيه وفي هذا اخبار بالغيب لانه وعد نبيه صلى الله عليه وآله بالنصر والظفر فوافق الخبر المخبر
وكانهم قالوا متى هذا العذاب فانزل الله تعالى افبعذابنا يستعجلون اى يطلبون تعجيل عذابنا فاذا نزل بساحتهم اي
اذا نزل العذاب بافنية دورهم كما يستعجلونه فساء صباح المنذرين اى فبئس الصباح صباح من خوف وحذر فلم
يحذر وعلم فلم يخف والساحة فناء الدار وفضاؤها الواسع فالمراد ان العذاب لعظمه لا يسعه الا الساحة ذات الفضاء الواسع
وقيل نزل بساحتهم اى بدارهم عن السدي وكانت العرب تفاجئ اعداءها بالغارات صباحا فخرج الكلام على عادتهم
ولان الله سبحانه اجرى العادة بتعذيب الامم وقت الصباح كما قال ان موعدهم الصبح وتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون مضى تفسيره وانما كرر ما سبق للتاكيد وقيل لان المراد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اى فكن
على بصيرة من امرك فسوف يبصرون على بصيرة من امرهم حين لا ينفعهم ثم نزه سبحانه نفسه عن وصفهم وبهتهم فقال سبحان
ربك رب العزة عما يصفون اى تنزيها لربك مالك العزة يعز من يشاء من الانبياء والاولياء لا يملك احد اعزاز احد
سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات وهو قولهم باتخاذ الاولاد واتخاذ الشريك وسلام على المرسلين
اى سلامة وامان لهم من ان ينصر عليهم اعداؤهم وقيل هو خبر معناه امر اى سلموا عليهم كلهم لا تفرقوا بينهم والحمد لله رب العالمين

اى احمدوا الله الذي هو مالك العالمين وخالقهم والمنعم عليهم واخلصوا له الثناء والحمد ولا تشركوا به احدا فان النعم كلها
منه وروى الاصبغ بن نباتة عن علي ع وقد روى ايضا مرفوعا الى النبي ص انه من اراد ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة
فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين سورة ص
مكية عدد آيها هي ثمان وثمانون آية كوفي وست حجازي بصري شامي وخمس في عدد يعقوب بن المتوكل وحده
اختلافها ثلث آيات ذي الذكر كوفي وبصري وغواص غير البصري والحق اقول كوفي وبصري وفي رواية المعلى
عن [illegible] وتركها ايوب وهو يوافق الجحدري الا في هذا الحرف فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال
من قرأ سورة ص اعطي من الاجر بعدد كل جبل سخره الله لداود حسنات وعصمه الله ان يصر على ذنب صغير او كبير
وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر ع قال من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة اعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط
احد من الناس الا نبي مرسل او ملك مقرب وادخله الله الجنة وكل من احب من اهل بيته حتى خادمه الذي يخدمه وان
كان ليس في حد عياله ولا في حد من يشفع له تفسيرها لما ختم سبحانه سورة الصافات بذكر القرآن والرسول ص وآله
وانكار الكفار لما دعاهم اليه افتتح هذه السورة بالقرآن ذي الذكر والرد على الكفار ايضا بسم الله الرحمن الرحيم
صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ
وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ خمس آيات القراءة
في الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحق صاد بكسر الدال وقراءة الثقفي صاد بفتح الدال والقراءة بالوقف
هو الصحيح لان حروف الهجاء يوقف عليها وقراءة عيسى بن عمر وابي عبد الرحمن السلمي عجاب بتشديد الجيم الحجة من كسر
فلاجتماع الساكنين ولانه جعله من المصاداة وهي المعارضة اي عارض القرآن بعملك ومن فتح فلان الفتحة اخف من
الكسرة وقد يجوز ان يكون من فتح جعل ص علما للسورة فلم يصرف والعجاب بالتشديد هو المفرط في العجب يقال شيء عجيب
ثم عجاب بالتخفيف ثم عجاب بالتشديد كما قالوا رجل وضيء ووضاء وانشدوا المرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس
بالوضاء وقال آخر جاءوا بصيد عجب من العجب ازيرق العينين طوال الذنب اللغة الشقاق والمشاقة الخلاف
واصله ان يصير كل واحد من الفريقين في شق اي في جانب ومنه يقال شق فلان العصى اذا خالف والمناص من النوص
وهو التأخر ناص ينوص اذا تأخر وباص يبوص بالباء تقدم قال امرؤ القيس امن ذكر ليلى ان نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة
وتبوص وقال آخر حتى ينوص على يديه الارجل الاعراب اختلف في جواب القسم على وجوه احدها ان جوابه محذوف
فكانه قال والقرآن ذي الذكر لقد جاء الحق وظهر الامر لان حذف الجواب في مثل هذا ابلغ فان ذكر الجواب يقصر المعنى على
وجه والحذف يصرف الفكر الى كل وجه فيعم والثاني ان جوابه ص فان معناه صدق اقسم الله سبحانه بالقرآن ان محمدا قد
صدق فهذا كما يقولوا صدق والله وفعل والله والثالث ان الجواب مما كفي منه قوله كم اهلكنا وقيل ما كفى منه بل الذين
كفروا فكانه قال والقرآن ذي الذكر ولام كما قال واحدهما عن الفراء والآخر عن قتادة والرابع ان جوابه كم اهلكنا
والتقدير لكم اهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام ومثله قد افلح من زكيها والتقدير لقد افلح عن الفراء وهذا غلط لان اللام
لا تدخل على المفعول وكم مفعول والخامس ان الجواب في آخر السورة ان ذلك لحق تخاصم اهل النار الا انه بعد من اول
الكلام عن الكسائي ولات حين مناص فيه قولان احدهما ان التاء متصلة بلا وانهما بمنزلة ليس قال الزجاج ويجوز
ولات حين مناص في اللغة فاما النصب فعلى ان المعنى ليس الوقت حين مناص والرفع على ان يجعل حين اسم ليس
ويضمر الخبر والمعنى ليس حين ملجأ لنا والوقف على لات بالتاء والكسائي يقف بالهاء لاه والاول اصح لان هذه التاء
نظيرة التاء في الفعل نحو ذهبت وفي الحرف نحو رايت زيدا ثمت عمرا فانها دخلت في الموضعين على ما لا يعرب ولا هو
في طريق الاسماء وقال الاخفش ان لات حين مثل لا رجل في الدار فدخلت التاء للتانيث كما قال الشاعر تذكر حب

ليلى لات حينا واضحى الشيب قد قطع القرينا والقول الاخر ان التاء متصلة بحين كما قال الشاعر العاطفين بحين ما من
عاطف مع المطعمين زمان ما من مطعم وقد اجاز والجر بلات وانشد والابى زبيد طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس
حين بقاء قال الزجاج والذي انشدناه ابو العباس المبرد بالرفع وقد يجي بالكسر النزول قال المفسرون ان اشراف
قريش وهم خمسة وعشرون فيهم الوليد بن المغيرة وهو اكبرهم وابو جهل وابي وامية ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعه
والنضر بن الحرث اتوا اباطالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فانه سفه احلامنا وشتم
الهتنا فدعا ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وقال يا ابن اخ هؤلاء قومك يسئلونك فقال وما يسئلوني فقالوا دعنا والهتنا
ندعك والهك فقال صلى الله عليه وآله تعطيني كلمة تملكون بها العرب والعجم فقال ابو جهل لله ابوك انعطونني كلمة واحدة ذلك وعشر
امثالها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا فنزلت هذه الايات وروى ان النبي صلى الله عليه وآله
استعبر ثم قال يا عم والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى انفذه او اقتل دونه فقال
له ابو طالب امض لامرك فوالله لا اخذلك ابدا المعنى ص اختلفوا في معناه فقيل هو اسم للسورة وقيل غير ذلك على ما
ذكرناه في اول البقرة وقال ابن عباس هو اسم من اسماء الله تعالى اقسم به وروي ذلك عن الصادق ع وقال الضحاك معناه صدق
وقال قتادة هو اسم من اسماء القران فعلى هذا يجوز ان يكون موضعه نصبا على تقدير حذف حرف القسم ويجوز ان يكون
رفعا على تقدير هذه صاد في مذهب جعله اسما للسورة والقرآن ذي الذكر اي ذي الشرف عن ابن عباس يوضحه قوله
وانه لذكر لك ولقومك وقيل معناه ذي البيان الذي يؤدي الى الحق ويهدي الى الرشد لان فيه ذكر الادلة التي اذا تفكر فيها
العاقل عرف الحق عقلا وشرعا وقيل ذي التذكر لكم عن قتادة وقيل فيه ذكر الله وتوحيده واسمائه الحسنى وصفاته العليا
وذكر الانبياء واخبار الامم وذكر البعث والنشور وذكر الاحكام وما يحتاج اليه المكلف من الامور عن الجبائي ويؤيده قوله
ما فرطنا في الكتاب من شيء بل الذين كفروا من اهل مكة في عزة اي في تكبر عن قبول الحق وحمية جاهلية عن قتادة ويدل عليه
قوله اخذته العزة بالاثم وقيل في ملكهم واقتدارهم وقوتهم بتمكين الله اياهم وشقاق اي عداوة وعصيان ومخالفة لانهم
يانفون عن متابعتك ويطلبون مخالفتك ثم خوفهم سبحانه فقال كم اهلكنا من قبلهم من قرن بتكذيبهم للرسل فنادوا
عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثة ولات حين مناص اي ليس الوقت حين منجا ولا فوت وقيل لات حين نداء ينجي قال
قتادة نادى القوم على غير حين النداء وعجبوا ان جاءهم منذر منهم يعني رسولا من انفسهم مخوف من جهة الله تعالى يحذرهم
المعاصي وينذرهم النار فقال الكافرون هذا ساحر كذاب حين يزعم انه رسول اجعل الالهة الها واحدا هذا استفهام انكار
وتعجيب وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله ابطل عبادة ما كانوا يعبدونه من الالهة مع الله ودعاهم الى عبادة الله وحده فتعجبوا من ذلك
وقالوا كيف جعل لنا الها واحدا بعد ما كنا نعبد الهة ان هذا الذي يقول محمد من ان الاله واحد لشيء عجاب لامر عجيب
مفرط في العجب قوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة
ان هذا الا اختلاق أانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب خمس آيات اللغة الانطلاق الذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه و
الخلق والاختلاق والفرى والافتراء متقاربة والارتقاء الصعود من سفل الى علو درجة درجة قال ولو لم يجد سلما كان
مرتقيا والمرتقى والذي رقاه شيآن والاسباب جمع سبب والسبب ما يوصل به الى المطلوب واسباب السموات ابوابها
قال زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو نال اسباب السماء بسلم والفرق بين السبب والعلة في عرف المتكلمين ان
السبب ما يوجب ذاتا والعلة ما توجب صفة الاعراب ان امشوا ان هذه هي التي تسمى المفسرة بمعنى اي امشوا قال الزجاج
ويجوز ان يكون تقديره بان امشوا اي بهذا القول المعنى وانطلق الملأ منهم هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين تقدم ذكرهم
اي وانطلق الاشراف منهم ان امشوا اي يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على الهتكم يعني انهم خرجوا من مجلسهم الذي كانوا فيه

عند ابي طالب وهم يقولون اثبتوا على عبادة الهتكم واصبروا على دينكم وتحملوا المشاق لاجله وقيل ان القائل لذلك عقبة بن
ابي معيط ان هذا الذي نريد من زيادة اصحاب محمد لشئ يراد اي امر يراد بنا وقيل معناه ان هذا فساد في الارض وعن قريب
يتكل به الهلاك وتخلص منه وقيل ان هذا الامر يراد بنا من زوال نعمة او نزول شدة لانهم كانوا يعتقدون في الاصنام انهم
لو تركوا عبادتها اصابهم القحط والشدة ثم حكى عنهم ايضا بانهم قالوا ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه محمد من التوحيد وخلع
الانداد من دون الله في الملة الاخرة يعنون ملة قريش اي في ملة زماننا هذا عن مجاهد وقتادة وقيل معناه ما سمعنا بان هذا
يكون في آخر الزمان عن الحسن ان هذا اي ما هذا الذي يقول محمد الا اختلاق اي تخرص وكذب وافتعال ثم انكروا تخصيص الله اياه
بالقرآن والنبوة بان قالوا اانزل عليه الذكر من بيننا اي كيف انزل على محمد القرآن من بيننا وليس باكرمنا نسبا ولا باعظمنا شرفا فقال
سبحانه بل هم في شك من ذكري اي ليس يحملهم على هذا القول الا الشك في الذكر الذي انزلته على رسولي بل لما يذوقوا عذابي وهذا
تهديد لهم والمعنى انهم سيذوقونه ثم اجابهم عن انكارهم نبوته بقوله ام عندهم خزائن رحمة ربك يقول افبايديهم
مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤا اي انها ليست بايديهم ولكنها بيد العزيز في ملكه الوهاب الكثير الهبات والعطايا
على حسب المصالح فيختار للنبوة من يشاء من عباده ونظيره قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما فيتهيا لهم ان يمنعوا الله عن مراده فليرتقوا اي ان ادعوا ذلك فليصعدوا في الاسباب في ابواب السماء
وطرقها عن مجاهد وقتادة وقيل الاسباب الحيل اي فليحتالوا في اسباب توصلهم الى السماوات ليأتوا بالوحي الى من اختاروا

قوله تعالى جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ۝ خمس آيات

القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم من فواق بضم الفاء والباقون بفتحها الحجة وهما لغتان مثل قصاص الشعر وقصاصه وجمام
الملوك وجمامه وهو من الافاقة وما بين الرضعتين فواق وقيل بينهما فرق فبالفتح تكون بمعنى الراحة وبالضم بمعنى المهلة
والانتظار عن ابي عبيدة والفراء اللغة هنالك اشارة الى المكان البعيد وهناك بين القريب والبعيد وهنا للقريب
ومثله ذا وذاك وذلك والاحزاب جمع حزب الجماعة التي تجتمع من كل اوب وقال الزجاج ما لها من فواق اي رجوع وفواق
الناقة مشتق من الرجوع ايضا لانه يعود اللبن الى الضرع بين الحلبتين وافاق من مرضه اي رجع الى الصحة الاعراب
ما مزيدة في قوله جند ما مثلها في قول الاعشى فاذهبي ما اليك ادركني الحلم عداني عن هيجكم اشغالي وجند مبتدأ وهنالك
صفة له اي جند ثابت هنالك ومهزوم خبر المبتدأ ويجوز ان يكون هنالك ظرفا للمهزوم اي جند مهزوم في ذلك الموضع
كذبت قبلهم قوم نوح يجوز ان يقف على قوله نوح ويكون عاد مبتدأ وما بعده عطف عليه ويكون اولئك الاحزاب خبرا عن
الجميع ويجوز ان يكون الخبر قوله ان كل الا كذب الرسل ويجوز ان يكون اولئك الاحزاب ابتداء ويقف على قوم لوط المعنى ثم اخبر
الله سبحانه عن الكفار انهم سيهزمون ببدر فقال جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قال قتادة اخبر الله سبحانه وهو بمكة انه سيهزم
جند المشركين فجاء تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم بها ومعناه ان هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند
مهزومون مغلوبون من جملة الكفار الذين تحزبوا على الانبياء وانت منصور عليهم مظفر غالب وقيل هم الاحزاب الذين
حاربوا نبينا صلى الله عليه وآله يوم الخندق ووجه اتصاله بما قبله ان المعنى كيف يرتقون الى السماء وهم فرق من قبائل شتى مهزومون
كذبت قبلهم اي قبل هؤلاء قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قيل في معناه اقوال احدها انه كانت له ملاعب من اوتاد
يلعب له عليها عن ابن عباس وقتادة وعطا والثاني انه كان يعذب الناس بالاوتاد وذلك انه اذا غضب على احد وتد
يديه ورجليه وراسه على الارض عن السدي والربيع بن انس ومقاتل والكلبي والثالث ان معناه ذو البنيان والبنيان
اوتاد عن الضحاك والرابع ان المعنى ذو الجنود والجموع الكثيرة بمعنى انهم يشدون ملكه ويقوون امره كما يقوي الوتد الشئ
عن الجبائي والقتيبي والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد والاصل فيه ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقال الاسود بن يعفر ولقد

عنوا فيهم بانعم عيشه فی ظل ملك ثابت الاوتاد وللخامس انه سمی ذو الاوتاد لكثرة جيوشه السايرة فی الارض وكثرة اوتاد خيامهم
فعبر عن كثرة الاجناد بكثرة الاوتاد وثمود يعنی قوم صالح وقوم لوط واصحاب الايكة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب
لما ذكر هؤلاء المكذبين ان مشركی قريش حزب من هؤلاء الاحزاب ومعناه هم الاحزاب حقا ای احزاب الشيطان كما يقال
هم هم قال ان الذی حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد ان كل الا كذب الرسل فحق عقابی ای فوجب
عليهم عقابی بتكذيبهم رسلی وما ينظر ای ما ينتظر هؤلاء يعنی كفار مكة الا صيحة واحدة وهی النفخة الاولی فی الصور ما لها
من فواق ای لا يكون لتلك الصيحة افاقة بالرجوع الی الدنيا عن قتاده والسدی والمراد ان عقوبة امة محمد صلعم والمعذبين
بالاستيصال موخرة الی يوم القيمة وعقوبة ساير الامم معجلة فی الدنيا كما قال بل الساعة موعدهم والساعة ادهی
وامر قال الفراء اذا ارضعت البهيمة امها ثم تركتها حتی تنزل ثم تلك الافاقة والفواق ثم قيل لكل راحة والظاهر للاستراحة
فواق وقيل ما لها شیء ای حرف ورد عن الضحاك وقيل ما لها من فتور كما يفعل المريض عن ابن زيد قوله تعالی وقالوا ربنا
عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر علی ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشی
والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب خمس آيات اللغة القط الكتاب
قال الاعشی ولا الملك النعمان يوم لقيته بنعمته يعطی القطوط ويافق ای كتب الجوايز واشتقاقها من القط وهو القطع لانها
تقطع النصيب لكل واحد بما كتب فيها والقط النصيب ايضا قال ابو عبيدة والقط الحساب وفی الاثار عمر وزيدا كانا
لا يريان ببيع القطوط باسا اذا خرجت والفقهاء لا يجيزون وهی الجوايز والارزاق وقولهم ما رايته قط ای قطع الدهر الذی
مضی المعنی وقالوا يعنی هؤلاء الكفار الذين وصفهم ربنا عجل لنا قطنا ای قدم لنا نصيبنا من العذاب قبل يوم الحساب
قالوه علی وجه الاستهزاء رضی الله تعم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه ارنا حظنا من النعيم فی الجنة حتی نؤمن
عن السدی وسعيد بن جبير وقيل لما نزل واما من اوتی كتابه بيمينه واما من اوتی كتابه بشماله قال قريش زعمت يا محمد انا نوتی
كتابنا بشمالنا فعجل لنا كتابنا الذی نقراها فی الآخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد وتكذيبا به عن ابی العالية والكلبی ومقاتل
فقال الله عز اسمه لنبيه صلعم اصبر يا محمد ای احبس نفسك علی ما يقولون من تكذيبك فان وبال ذلك يعود عليهم واذكر
عبدنا داود ذا الايد ای ذا القوة علی العبادة عن ابن عباس ومجاهد وذكر انه يقوم نصف الليل ويصوم نصف النهار
كان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد الصوم وقيل ذا القوة علی الاعداء وقهرهم وذلك لانه رمی بحجر من مقلاع صدر
الرجل فانفذه من ظهره فاصاب اخر فقتله وقيل معناه ذا التمكين العظيم والنعم العظيمة وذلك انه كان يبيت كل ليلة حول
محرابه الوف كثيرة من الرجال انه اواب ای تواب رجاع عن كل ما يكره الله تعم الی ما يحب من آب يؤب اذا رجع عن مجاهد
وابن زيد وقيل مسبح عن سعيد بن جبير وقيل مطيع عن ابن عباس انا سخرنا الجبال معه يسبحن الله اذا سبح ويحتمل ان يكون
سبحانه خلق فی الجبال التسبيح ويمكن ان يكون بنی فيها بنية يتأتی منها التسبيح بالعشی والاشراق ای بالرواح والصباح
والطير ای وسخرنا الطير محشورة مجموعة اليه تسبح الله تعم معه كل يعنی كل الطير والجبال له اواب رجاع الی ما يريد مطيع
له بالتسبيح معه قال الجبائی لا يمتنع ان الله تعم خلق فی الطيور من المعارف ما تفهم به امر داود ونهيه فتطيعه فيما يريد
منها وان لم تكن كاملة العقل مكلفة وشددنا ملكه ای قوينا ملكه بالحرس والجنود والهيبة وكثرة العدد والعدة وآتيناه
الحكمة وهی النبوة وقيل الاصابة فی الامور وقيل العلم بالله وشرايعه عن ابی العالية والجبائی وفصل الخطاب يعنی
الشهود والايمان واداء البينة علی المدعی واليمين علی من انكر لان خطاب الخصوم لا ينفصل ولا ينقطع الا بهذا وهو قول
الاكثرين وقيل فصل الخطاب هو العلم بالقضاء والفهم عن ابن مسعود والحسن ومقاتل وقتادة وقال البلخی يجوز ان
يكون المراد بتسبيح الجبال معه ما اعطاه الله تعم من حسن الصوت بقراءة الزبور فكان اذا قرا الزبور ورفع صوته بالتسبيح
بين الجبال ردد الجبال عليه مثله من الصدی فسمی الله تعالی ذلك تسبيحا قوله تعالی وهل اتيك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب

عشر

تشطط

اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ❁ ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب ❁ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ❁ فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ❁ خمس آيات القراءة

فى الشواذ قراءة ابى رجاء وقتادة ولا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وقراءة الحسن والاعرج نعجة ولى نعجة بكسر النون وقراءة ابى حيوة وعزنى بتخفيف الزاء وقراءة عمر بن الخطاب فتناه بتشديد التاء والنون وقراءة قتادة وابى عمرو فى بعض الروايات الشاذة بتشديد التاء والنون وقراءة قتادة وابى عمرو فى بعض الروايات الشاذه بتشديد التاء والنون وقراءة قتادة وابى عمرو فى بعض الروايات الشاذة فتناه بتخفيف النون الحجة اما قوله ولا تشطط من شط يشط ويشط اذا بعد قال عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت عسرا على طلابك ابنة مخرم قال ابن جنى معناه بعدت عن مزار العاشقين ولما بلغ فى ذكر استضراره بها خاطبها بذلك لانه ابلغ فعدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال طلابك واما النعجة فهى لغة فى النعجة ومثله لقوة ولقوة وقوم شجعه وشجعه اى شجعان واما عزنى بالتخفيف فيمكن ان يكون اصله عززنى غير انه خفف بحذف الزاى الثانية او الاولى كما قالوا فى مسست وظللت مست وظلت واما قوله فتناه فانما هو فعلناه للمبالغة واما فتناه بتخفيف النون فان المراد بالتثنية هنا الملكان اللذان اختصما اليه اى اختبراه اللغة الخصم هو المدعى على غيره حقا من الحقوق المنازع له فيه ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد لان اصله المصدر فيقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم يقال خاصمته فخصمته اخصمه خصما والتسور الاتيان من جهة السور يقال تسور فلان الدار اذا اتاها من قبل سورها والمحراب مجلس الاشراف الذى يحارب دونه لشرف صاحبه ومنه سمى المصلى محرابا وموضع القبلة محرابا واشط الرجل فى حكمه اذا جار فهو مشط وشط عليه فى السوم يشطط شططا قال الاحوص قد اشطت عواذلى ويزعمن ان اودى بحقى باطل الاعراب اذ دخلوا بدل من قوله اذ تسوروا وقيل ان التسور فى زمان غير زمان الدخول خصمان خبر مبتدا محذوف اى نحن خصمان وقليل ما هم هم مبتدا وقليل خبره وما زايدة ويجوز ان يكون ما بمعنى الذى وهو مبتدا والخبر محذوف اى وقليل الذين هم كذلك المعنى لما ذكر سبحانه انه اتى داود الحكمة وفصل الخطاب عقبه بذكر من تحاكم اليه فقال وهل اتيك يا محمد نبؤا الخصم اى هل بلغك خبرهم والمراد بالاستفهام هنا الترغيب فى الاستماع والتنبيه على موضع اخلاله ببعض ما كان ينبغى ان يفعله اذ تسوروا المحراب صعدوا اليه المحراب واتوه من اعلى سوره وهو مصلاه وانما جمعهم لانه اراد المدعى والمدعى عليه ومن معهما فقد يتعلق به من قال ان اقل الجمع اثنان واجيب عن ذلك بانه اراد الفريقين اذ دخلوا على داود ففزع منهم لدخولهم عليه فى غير الوقت الذى يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذى كان تدخل منه الخصوم ولانهم دخلوا بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان اى فقالوا لداود نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فجئناك لتقضى بيننا وذلك قوله فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اى لا تجر علينا فى حكمك ولا تجاوز الحق فيه بالميل لاحدنا على صاحبه واهدنا الى سواء الصراط اى دلنا وارشدنا الى وسط الطريق الذى هو طريق الحق ثم حكى سبحانه ما قال احد الخصمين لصاحبه بقوله ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة قال الخليل النعجة الانثى من الضان والبقر الوحشية والشاء الجبلى والعرب تكنى عن النساء بالنعاج والظباء والشاء قال الاعشى فرميت غفلة عينه من شاته فاصبت حبة قلبها وطحالها وقال عنترة يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت على وليتها لم تحرم فقال اكفلنيها اى ضمها الى واجعلنى كافلها الذى يلزم نفسه القيام بها وحياطتها والمعنى اعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها حتى تصير فى نصيبى عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعزنى فى الخطاب اى غلبنى فى مخاطبة الكلام وقيل معناه انه ان تكلم كان ابين منى وان بطش كان اشد منى وان دعا كان اكثر منى عن الضحاك قال داود لقد ظلمك

بسؤال نعجتك معناه ان كان الامر كما تدعيه لقد ظلمك بسؤاله ضم نعجتك الى نعاجه فاضاف المصدر الى المفعول به
وان كثيرا من الخلطاء اى الشركاء المخالطين جمع خليط ليبغي بعضهم على بعض ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين يبغي بعضهم
على بعض الذين امنوا فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى فانهم لا يظلم بعضهم بعضا وقليل ما هم اى وقليل هم وما مزيده
وظن داود انما فتناه اى وعلم داود انا اختبرناه وابتليناه وقيل انا شددنا عليه في التعبد عن علي بن عيسى وقيل اراد الظن
المعروف الذى هو خلاف اليقين فاستغفر ربه اى سال الله سبحانه المغفرة والستر عليه وخر راكعا اى صلى لله تعالى
واناب اليه وقيل سقط ساجدا لله تعم ورجع اليه وقد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر فخر على وجهه راكعا وتاب الى الله
من كل ذنب قال الحسن انما قال وخر راكعا لانه لا يصير ساجدا حتى يركع وقال مجاهد مكث ساجدا اربعين يوما لا يرفع راسه
الا لصلوة مكتوبة يقيمها او لحاجة لا بد منها فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى اى قربى وكرامه وحسن مآب في الجنة واختلف
في استغفار داود ع من اى شئ كان فقيل انه حصل منه على سبيل الانقطاع الى الله تعم والخضوع له والتذلل بالعبادة والسجود
كما حكى سبحانه عن ابرهيم ع بقوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتي يوم الدين واما قوله فغفرنا له ذلك فالمعنى انا قبلنا
منه واثبناه عليه فاخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله الله يستهزئ بهم فلما كان المقصود
من الاستغفار التوبة القبول قيل في جوابه فغفرنا وهذا قول من نزه الانبياء عن جميع الذنوب من الامامية وغيرهم ومن
جوز على الانبياء الصغاير قال ان استغفاره ع كان لذنب صغير وقع منه ثم انهم اختلفوا في ذلك على وجوه احدها
ان اوريا بن حيان خطب امرأة وكان اهلها ارادوا ان يزوجوها منه فبلغ داود ع جمالها فخطبها ايضا فزوجوها منه فقدموه
على اوريا فعوتب داود ع على الحرص على الدنيا عن الجبائى وقيل انه اخرج اوريا الى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه
جزعه على امثاله من جنده اذ مالت نفسه الى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين وثالثها انه كان في شريعته
ان الرجل اذا مات وخلف امرأة فاولياؤه احق بها الا ان يرغبوا عن التزوج بها فحينئذ يجوز لغيرهم ان يتزوج بها فلما
قتل اوريا خطب داود ع امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته اولياؤه ان يخطبوها فعوتب على ذلك ورابعها ان داود ع
كان متشاغلا بالعبادة فاتاه رجل وامرأة متحاكمين اليه فنظر الى المرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح فمالت نفسه
اليها ميل الطباع ففصل بينهما وعاد الى عبادة ربه فشغله الفكر في امرها عن بعض نوافله فعوتب وخامسها انه عوتب
على عجلته في الحكم قبل التثبت وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من احدى الخصمين ان يسال الآخر عما عنده فيها
ولا يحكم عليه قبل ذلك وانما انساه التثبت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في غير وقت العادة فاما ما ذكر في القصة
ان داود ع كان كثير الصلوة فقال يا رب فضلت على ابرهيم فاتخذته خليلا وفضلت على موسى فكلمته تكليما فقال يا داود
انا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فان شئت ابتليتك فقال نعم يا رب فابتلني فبينا هو في محرابه ذات يوم اذ وقعت
حمامة فاراد ان ياخذها فطارت الى كوة المحراب فذهب لياخذها فاطلع من الكوة فاذا امرأة اوريا بن حيان تغتسل فهويها
وهم بتزويجها فبعث باوريا الى بعض السرايا وامر بتقديمه امام التابوت الذى فيه السكينة ففعل ذلك وقتل فلما انقضت
عدتها تزوجها وبنى بها فولد له منها سليمان فبينا هو ذات يوم في محرابه يقرأ اذ دخل عليه رجلان ففزع منهما فقالا لا تخف
خصمان بغى بعضنا على بعض الى قوله وقليل ما هم فنظر احد الرجلين الى صاحبه ثم ضحك فتنبه داود ع على انهما ملكان
بعثهما الله اليه في صورة خصمين ليبكتاه على خطيئته فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه فمما لا شبهة في فساده
فان ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز ان يكون انبياء الله تعم الذين هم امناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه
بصفة من لا يجوز قبول شهادته وعلى حالة تنفر عن الاستماع اليه والقبول منه جل انبياء الله عن ذلك وقد روى عن امير المؤمنين
علي ع انه قال لا اوتى برجل يزعم ان داود ع تزوج امرأة اوريا الا جلدته حدين حدا للنبوة وحدا للاسلام وقال ابو مسلم لا يمتنع
ان يكون الداخلان على داود ع كانا خصمين من البشر وان يكون ذكر النعاج محمولا على الحقيقة دون الكناية وانما فزع منهما

٢٣٢

ع ١١

لدخولهما من غير اذن وعلى غير مجرى العادة وانما عوتب على انه حكم بالظلم على المدعى عليه قبل ان يسأله قوله تعالى
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن
سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين
كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب اربع آيات القراءة قرأ ابو جعفر والاعشى والبرجمي
لتدبروا بالتاء وتخفيف الدال والباقون بالياء وتشديد الدال الحجة لتدبروا اصله لتتدبروا فحذف التاء الثانية التي
هي فاء التفعل وقوله ليدبروا اصله ليتدبروا فادغم التاء في الدال اللغة الخليفة هو المدبر للامور من قبل غيره بدلا من تدبيره
وفلان خليفة الله في ارضه معناه انه جعل اليه تدبير عباده بامره المعنى ثم ذكر سبحانه اتمام نعمته على داود ع بقوله
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي صيرناك خليفة تدبر امور العباد من قبلنا بامرنا وقيل معناه جعلناك خلفا من
مضى من الانبياء في الدعاء الى توحيد الله وعدله وبيان شرايعه عن ابي مسلم فاحكم بين الناس بالحق اي افصل امورهم
بالحق وضع كل شيء موضعه ولا تتبع الهوى اي ما يميل طبعك اليه ويدعوا هواك اليه اذا كان مخالفا للحق فيضلك
عن سبيل الله معناه انك اذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله ان الذين يضلون عن
سبيل الله اي يعدلون عن العمل بما امرهم الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي لهم عذاب شديد يوم الحساب
بتركهم طاعات الله في الدنيا عن عكرمة والسدي ويكون على هذا يتعلق يوم الحساب بعذاب شديد وقيل معناه لهم
عذاب شديد باعراضهم عن ذكر يوم القيمة فيكون يوم متعلقا بنسوا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا لا غرض
فيه حكمي بل خلقناهما لغرض حكمي وهو ما في ذلك من اظهار الحكمة وتعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة وتعريض العقلاء
منهم للثواب العظيم وهذا ينافي قول اهل الجبر ان كل باطل وضلال فهو من فعل الله ذلك ظن الذين كفروا بالله ويجحدون حكمته
فويل للذين كفروا من النار ظاهر المعنى ثم قال سبحانه على وجه التوبيخ للكفار على وجه الاستفهام ام نجعل الذين آمنوا
معناه بل انجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات والطاعات كالمفسدين في الارض العاملين بالمعاصي
ام نجعل المتقين كالفجار اي بل انجعل الذين اتقوا معاصي الله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بالمعاصي وتركوا الطاعات
اي ان هذا لا يكون ابدا ثم خاطب نبيه ص وآله فقال كتاب انزلناه اليك مبارك اي هذا القرآن كتاب منزل اليك مبارك
اي كثير نفعه وخيره فان في التدين به سيستديم الناس ما انعم الله عليهم به ليدبروا آياته اي ليتفكر الناس فيه ويتعظوا بمواعظه
وليتذكر اولوا الالباب اي اولوا العقول فهم المخاطبون به قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا
بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين
مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب عشر آيات اللغة
الصافنات جمع الصافنة من الخيل وهي التي تقوم على ثلث قوائم وترفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر يقال صفنت
الخيل تصفن صفونا اذا وقفت كذلك قال الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا والجياد جمع جواد وياؤها
منقلبة عن واو والاصل جواد وهي السراع من الخيل كانها تجود بالركض وقيل هو جمع جود فيكون مثل سوط وسياط و
الكرسي السرير اصله من التكرس وهو الاجتماع ومنه الكراسة لاجتماعها والرخاء الريح اللينة وهي من رخاوة المرور وسهولته
والاصفاد جمع صفد وهو الغل ومنه يقال للعطاء صفد لانه يرتبط بشكره كما قيل من وجد الاحسان قيدا تقيدا الاعراب
حب الخير نصب على انه مفعول به والتقدير اخترت حب الخير وعن في عن ذكر ربي بمعنى على وعلى هذا فيكون احببت بمعنى

عشر

خمس عشر ع ١٢

استحببت مثل ما فی قوله الذین یستحبون الدنیا علی الآخرة ای یوثرونها وقال ابو علی احببت بمعنی قعدت ولزمت من قولهم
احب البعیر اذا برك وقوله حب الخیر مفعول له ای لزمت الارض لحب الخیر معرضا عن ذکر ربی فعن فی موضع نصب علی الحال
ذکر مصدر مضاف الی المفعول ویجوز ان یکون مضافا الی الفاعل ای عما ذکرنی ربی حیث امرنی فی التوریة باقامة الصلوة
توارت بالحجاب ای توارت الشمس ولم یجر لها ذکر لانه شیء قد عرف کقوله سبحانه انا انزلناه یعنی القرآن ولم یجر له ذکر وقوله کل
من علیها فان یعنی الارض قال الزجاج فی الآیة دلیل یدل علی ذکر الشمس وهو قوله اذ عرض علیه بالعشی فهو فی معنی عرض علیه
بعد زوال الشمس حتی توارت الشمس بالحجاب قال ولیس یجوز الاضمار الا ان یجری ذکر او دلیل بمعنی لة الذکر وقوله مسحا مصدر
فعل محذوف وهو خبر طفق التقدیر فطفق یمسح مسحا وقوله رخاء منصوب علی الحال والعامل فیه تجری فهو حال من حال لان تجری
فی محل نصب بکونه حالا وکل بناء بدل من الشیطان بدل البعض من الکل وقوله بغیر حساب فی موضع نصب علی الحال تقدیره
غیر محاسب المعنی ثم عطف سبحانه علی قصة داود حدیث سلیمن ع فقال ووهبنا لداود سلیمان ای وهبناه له ولدا
نعم العبد ای نعم العبد سلیمن انه اواب ای رجاع الی الله تعالی فی اموره ابتغاء مرضاته اذ عرض علیه یجوز ان یتعلق اذ بنعم
العبد ای نعم العبد هو حین عرض علیه ویجوز ان یتعلق باذکر یا محمد المحذوف لدلالة الکلام علیه بالعشی ای فی اخر النهار
بعد زوال الشمس الصافنات الخیل الواقفة علی ثلث قوایم الواضعة طرف السنبك الرابع علی الارض الجیاد السریعة
المشی الواسعة الخطو قال مقاتل انه ورث من ابیه الف فرس وکان ابوه قد اصاب ذلك من العمالقة وقال الکلبی غزا سلیمن ع
دمشق ونصیبین فاصاب الف فرس وقال الحسن کانت خیلا خرجت من البحر لها اجنحة وکان سلیمن قد صلی الصلوة
الاولی وقعد علی کرسیه والخیل تعرض علیه حتی غابت الشمس فقال انی احببت حب الخیر عن ذکر ربی قال الفراء کل من احب
شیئا فقد آثره وفی قراءة ابن مسعود حب الخیل وسمی النبی صلی الله علیه وآله زید الخیل زید الخیر وقال ع الخیر معقود بنواصی
الخیل الی یوم القیمة وقیل معناه حب الخیر المال عن سعید بن جبیر والخیل مال والخیر یعنی المال کثیر فی التنزیل وقیل ان هذه الخیل
کانت شغلته عن صلوة العصر حتی فات وقتها عن علی ع وقتادة والسدی وفی روایات اصحابنا انه فاته اول الوقت وقال
الجبائی لم یفته الفرض وانما فاته نفل کان یفعله آخر النهار لاشتغاله بالخیل وقیل ان ذکر ربی کنایة عن کتاب الله التوریة فالمعنی
انی احببت الخیل عن کتاب الله وکما ان ارتباط الخیل ممدوح فی کتابنا کذلك کان فی کتابهم عن ابی مسلم حتی توارت بالحجاب ای
غربت الشمس عن ابن مسعود وجماعة المفسرین وجاز وان لم یجر للشمس ذکر کما قال لبید حتی اذا القت یدا فی کافر واجن
عورات الثغور ظلامها وقیل الضمیر للخیل یعنی حتی توارت الخیل بالحجاب بمعنی انها شغلت فکره الی تلك الحال وهو غیبوبتها
عن بصره وذلك انه امر باجراء الخیل فاجریت حتی غابت عن بصره عن ابی مسلم وعلی بن عیسی ردوها علی ای قال لاصحابه
ردوا الخیل عن اکثر المفسرین وقیل معناه انه سال الله تعالی ان ترد الشمس علیه فردوها علیه حتی صلی العصر فالهاء فی ردوها کنایة
عن الشمس عن علی ع فطفق مسحا بالسوق والاعناق قیل فیه وجوه احدها ان المسح ههنا القطع والمعنی انه اقبل یضرب
سوقها واعناقها لانها کانت سبب فوت صلوته عن الحسن ومقاتل وقال ابن عبیدة تقول العرب مسح علاوته ای ضرب
عنقه وقیل انه انما فعل ذلك لانها کانت اعز ماله فتقرب الی الله تعالی بان ذبحها لیتصدق بلحومها یشهد بصحته قوله تعالی
لن تنالوا البر حتی تنفقوا مما تحبون وثانیها ان معناه فجعل یمسح اعراف خیله وعراقیبها بیده حبا لها عن ابن عباس والزهری وابن
کیسان قال ابن عباس سالت علیا ع عن هذه الآیة فقال ما بلغك فیها یا ابن عباس قلت سمعت کعبا یقول اشتغل سلیمن ع
بعرض الافراس حتی فاتته الصلوة فقال ردوها علی یعنی الافراس وکانت اربعة عشر فامر بضرب سوقها واعناقها بالسیف
فقتلها فسلبه الله ملکه اربعة عشر یوما لانه ظلم الخیل بقتلها فقال علی کذب کعب لکن اشتغل سلیمن بعرض الافراس ذات
یوم لانه اراد جهاد العدو حتی توارت الشمس بالحجاب فقال بامر الله للملائکة الموکلین بالشمس ردوها علی فردت فصلی العصر فی
وقتها وان انبیاء الله لا یظلمون ولا یامرون بالظلم لانهم معصومون مطهرون وثالثها انه مسح اعناقها وسوقها وجعلها مسبلة

في سبيل الله وقيل لثعلب ان قطربا يقول مسحها وبارك عليها فانكر ذلك وقال القول ما قال الفراء انه ضرب اعناقها وسوقها
ثم قال سبحانه ولقد فتنا سليمن اى اختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه والقينا على كرسيه جسدا اى وطرحنا على كرسيه
جسدا والجسد الذي لا روح فيه ثم اناب سليمن ع واختلف العلماء في زلته وفتنته والجسد الذي القى على كرسيه على اقوال
منها ان سليمن ع قال يوما في مجلسه لاطوفن الليلة على سبعين امراة تلد كل امراة منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق ولد رواه ابو هريرة عن النبي ص وآله قال ثم قال
والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا فالجسد الذي القي على كرسيه كان هذا ثم اناب
الى الله تعالى وفزع الى الصلوة والدعاء على وجه الانقطاع اليه سبحانه وهذا لا يقتضي انه وقع منه ع معصيته صغيرة ولا
كبيرة لانه ع وان لم يستثن ما ذكر لفظا فلا بد من ان يكون قد استثناه ضميرا واعتقادا اذ لو كان قاطعا للقول بذلك
لكان مطلقا لما يأمن ان يكون كذبا الا انه لما لم يذكر لفظة الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب اليه
ومنها ما روى ان الجن والشياطين لما ولد لسليمن ع ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا من ابيه
من البلاء فاشفق ع منهم عليه فاسترضعه في المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على كرسيه ميتا تنبيها على
ان الحذر لا ينفع من القدر وانما عوتب ع على خوفه من الشيطان عن الشعبي وهو المروي عن ابي عبد الله ع ومنها انه ولد
له ولد ميت جسدا بلا روح فالقي على سريره عن الجبائي ومنها ان الجسد المذكور هو جسد سليمن لمرض امتحنه الله تعالى به
وتقدير الكلام والقيناه منه على كرسيه جسدا لشدة المرض فيكون جسدا منصوبا على الحال والعرب تقول في الانسان
اذا كان ضعيفا هو جسد بلا روح ولحم على وضم ثم اناب اى رجع الى حال الصحة عن ابي مسلم واستشهد على ذلك بقوله سبحانه
ومنهم من يستمع اليك الى قوله يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ولو اتى بالكلام على شرحه لقال يقول الذين كفروا
منهم اى من المجادلين كما قال سبحانه محمد رسول الله الى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة ومثله قول
الاعشى وكان السموط علقها السلك بعطفي جيداء ام غزال ولو اتى بالشرح لقال علقها السلك منها وقال كعب بن زهير
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل ولو اتى بالشرح لقال فما زال منهم انكاس واما ما ذكر عن ابن
عباس انه القي شيطان اسمه صخر على كرسيه وكان ماردا عظيما لا يقوى عليه جميع الشياطين وكان نبي الله لا يدخل الكنيف
بخاتمه فجاء صخر في صورة سليمان ع حتى اخذ الخاتم من امراة من نسائه واقام اربعين يوما في ملكه وسليمن ع هارب وعن
مجاهد ان شيطانا اسمه اصف قال له سليمن ع كيف تفتنون الناس قال ارني خاتمك اخبرك بذلك فلما اعطاه اياه نبذه في
البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمن فلم يقربهن وكان سليمن ع يستطعم فلا يطعم
حتى اعطته امراة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه فيه فرد الله ملكه عليه وعن السدي ان اسم ذلك الشيطان
حبقيق وما ذكر ان السبب في ذلك ان الله سبحانه امره ان لا يتزوج في غير بني اسرائيل فتزوج من غيرهم وقيل بل السبب
فيه انه وطئ امراة في حال الحيض فسال منها الدم فوضع خاتمه ودخل الحمام فجاء شيطان واخذه وقيل تزوج امراة مشركة ولم
يستطع ان يكرهها على الاسلام فعبدت الصنم في داره اربعين يوما فابتلاه الله تعالى بحديث الخاتم والشيطان اربعين
يوما وقيل احتجب ثلثة ايام لم ينظر في امر الناس فابتلي بذلك فان جميع ذلك مما لا يعول عليه لان النبوة لا تكون في خاتم ولا
ولا يجوز ان يسلبها النبي ولا ان يمكن الشيطان من التمثل بصورة النبي والقعود على سريره والحكم بين عباده وبالله التوفيق ثم
حكى سبحانه دعاء سليمن ع حين اناب الى الله بقوله قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب
يسال عن هذا فيقال ان هذا القول من سليمن يقتضي الظن والمنافسة لانه لم يرض بان يسال الملك حتى اضاف الى ذلك
ان يمنع غيره منه واجيب عنه بأجوبة احدها ان الانبياء لا يسالون الا ما يؤذن لهم في مسألته وجايز ان يكون الله تعالى اعلم سليمن ع
انه ان سال ملكا لا يكون لغيره كان اصلح له في الدين واعلمه انه لا صلاح لغيره في ذلك ولو ان احدنا صرح في دعائه بهذا

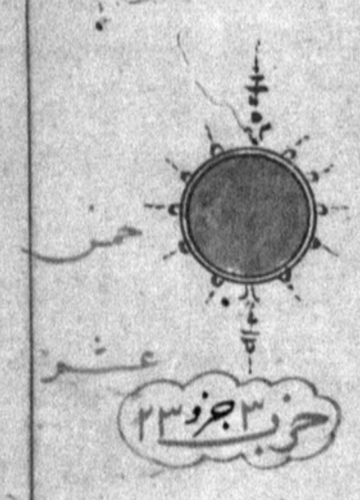
الشرط حتى يقول اللهم اجعلني اكثر اهل زماني مالا اذا علمت ان ذلك اصلح لي لكان ذلك الدعاء منه حسنا جائزا ولا ينسب
في ذلك الى شح وظن واختاره الجبائي وثانيها انه يجوز ان يكون ع التمس من الله تعالى اية لنبوته يبين بها من غيره واراد لا ينبغي لاحد
غيري ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعده الى يوم القيمة من النبيين كما يقال انا لا اطيع احدا بعدك اى لا اطيع احدا سواك
وثالثها ما قاله المرتضى قدس سره انه يجوز ان يكون انما سال ملك الآخرة وثواب الجنة ويكون معنى قوله لا ينبغي لاحد
من بعدي لا يستحقه بعد وصولي اليه احد من حيث لا يصح ان يعمل ما يستحق به ذلك لانقطاع التكليف ورابعها انه التمس
معجزة تختص به كما ان موسى ع اختص بالعصى واليد واختص صالح ع بالناقة ومحمد ص وآله بالمعراج والقرآن ويدل عليه
ما روي مرفوعا عن النبي ص وآله انه صلى صلوة فقال ان الشيطان عرض لي ليفسد علي صلوتي فامكنني الله منه فدعته
ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا وتنظروا اليه اجمعين فذكرت قول سليمن ع هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي فرده الله خاسئا وخائبا اورده البخاري ومسلم في الصحيحين ثم بين سبحانه انه اجاب دعاه بقوله فسخرنا له الريح
تجري بامره رخاء اى لينه سهله عن ابن زيد وقيل طيبة سريعة عن قتادة وقيل مطيعة تجري الى حيث يشاء عن ابن
عباس حيث اصاب اى حيث اراد سليمن من النواحي عن اكثر المفسرين وحقيقته حيث تصد والمعنى انه ينطاع له كيف
اراد قال الحسن كان يغدو من ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل سوالي كيف وصف سبحانه الريح بالعاصف في قوله و
لسليمن الريح عاصفة ووصفها هنا بخلافه جوابه يجوز ان يكون الله سبحانه جعلها عاصفة تاره ورخاء اخرى بحسب ما اراد
سليمن ع والشياطين اى وسخرنا له الشياطين ايضا كل بناء في البر يبني له ما اراد من الابنية الرفيعة وغواص في البحر على اللآلى
والجواهر يستخرج له ما شاء منها وآخرين مقرنين في الاصفاد اى وسخرنا له آخرين من الشياطين مشددين في الاغلال والسلاسل
من الحديد وكان يجمع بين اثنين وثلثة منهم في سلسلة لا يمتنعون عليه اذا اراد ذلك بهم عند تمردهم وقيل انه انما كان يفعل
ذلك بكفارهم فاذا آمنوا اطلقهم هذا عطاؤنا اى هذا الذي تقدم ذكره من الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعدك عطاؤنا فامنن
او امسك اى فاعط من الناس من شئت وامنع منهم من شئت والمن الاحسان الى من لا يستثيبه بغير حساب لا تحاسب
يوم القيمة على ما تعطي وتمنع فيكون اهنا لك عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل معناه بغير جزاء اى اعطيناكه تفضلا لا
مجازاة عن الزجاج وقيل ان المعنى فانعم على من شئت منهم في وثاقه وصرف في عمله من غير حرج عليك فيما تفعله بهم وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب معناه وان لسليمن عندنا القربى وحسن مرجع في الآخرة وهذا من اعظم النعم اذ هي النعمة الباقية الدائمة

قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب

اربع آيات القراءة قرا ابو جعفر بنصب بضمتين وقرا يعقوب بنصب
بفتحتين والباقون بضم النون وسكون الصاد الحجة قال الزجاج النَصَب والنُصب لغتان كالرَشَد والرُشد والبَخَل
والبُخل يقول نصبت نصبا ونصبا وقال ابو عبيدة النصب البلاء والشر وانشد لبشر بن ابي حازم تعناك نصب من اميمة منصب
ومن قرا بنصب بضمتين فانه اتبع الصاد ما قبله فهي اربع لغات اللغة الركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع ومنه
ركض الفرس لاسراعه اذا دفعه برجله قال سيبويه يقال ركضت الدابة وركضتها فهو مثل جبر العظم وجبرته والضغث ملاء
الكف من الشجر والحشيش والشماريخ وما اشبه ذلك المعنى ثم ذكر سبحانه قصة ايوب ع فقال واذكر يا محمد عبدنا ايوب شرفه
سبحانه بان اضافه الى نفسه واقتدى به في الصبر على الشدائد وكان في زمان يعقوب بن اسحق ع وتزوج ليا بنت يعقوب
اذ نادى ربه اى حين دعا ربه رافعا صوته يقول يا رب لان الدعاء بطريقه يا فلان وحتى قال اللهم افعل لي كذا وكذا كان داعيا ولا يكون
مناديا اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اى بتعب ومكروه ومشقة وقيل بوسوسته فيقول له طال مرضك ولا يرحمك ربك عن
مقاتل وقيل بان يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الاهل والولد والمال وكيف زال ذلك كله وحصل فيما هو فيه من البلية طمعا

٢٢٣

ان يزله بذلك ويجد طريقا الى تضجره وتبرمه فوجده صابرا مسلما لامر الله وقيل انه اشتد مرضه حتى تجنبه الناس فوسوس
الشيطان الى الناس ان يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا تترك امراته التي تخدمه ان تدخل عليهم فكان ايوب يتاذى بذلك
ويتالم به ولم يشك الالم الذي كان من امر الله تعالى قال قتادة دام ذلك سبع سنين وروى ذلك عن ابي عبد الله ع قال اهل
التحقيق انه لا يجوز ان يكون بصفة تستقذره الناس عليها لان في ذلك تنفيرا فاما المرض والفقر وذهاب الاهل فيجوز ان
يمتحنه الله بذلك فاجاب الله سبحانه دعاه وقال له اركض برجلك اي ادفع برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب وفي
الكلام حذف اي فركض برجله فنبعت بركضته عين ماء وقيل نبعت عينان فاغتسل من احديهما فبرأ وشرب من الاخرى فروى
عن قتادة والمغتسل الموضع الذي يغتسل منه عن مقاتل وقيل هو اسم للماء الذي يغتسل به عن ابن قتيبه ووهبنا له اهله ومثلهم
معهم هذا مفسر في سورة الانبياء وروى عن ابي عبد الله ع ان الله تعالى احيا له اهله الذين كانوا ماتوا قبل البليه واحيا له اهله
الذين ماتوا وهو في البلية رحمة منا اي فعلنا ذلك به لرحمتنا اياه فيكون منصوبا بانه مفعول به ويجوز ان يكون مفعولا على
المصدر لما كانت الموهبه بمعنى الرحمة وذكرى لاولي الالباب اي وليتذكر ويعتبر به ذوو العقول فيعرفوا حسن عاقبة الصبر
فيصبروا كما صبر قالوا انه اطعم جميع اهل قريته سبعة ايام وامرهم بان يحمدوا الله ويشكروه وخذ بيدك ضغثا وهو ملء
الكف من الشماريخ وما اشبه ذلك اي وقلنا له ذلك وذلك انه حلف على امراته لامر انكره من قولها لئن عوفي ليضربنها مائة
جلدة فقيل له خذ ضغثا بعدد ما حلفت به واضربها به دفعة واحدة فانك اذا فعلت ذلك برت يمينك ولا تحنث في
يمينك نهاه عن الحنث وروى عن ابن عباس انه قال كان السبب في ذلك ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة
ايوب ع فقال اداويه على انه اذا برأ قال انت شفيتني لا اريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت الى ايوب ع بذلك فحلف ليضربنها
وقيل انها كانت ذهبت في حاجة فابطات في الرجوع فضاق صدر المريض فحلف ليضربنها ثم اخبر سبحانه عن حال ايوب وعظم
منزلته فقال انا وجدناه صابرا على البلاء الذي ابتليناه به نعم العبد هو انه اواب اي رجاع الى الله منقطع اليه وروى العياشي
باسناده ان عباد المكي قال قال لي سفيان الثوري اني ارى لك من ابي عبد الله ع منزلة فاسئله عن رجل زنا وهو مريض فان اقيم
عليه الحد خافوا ان يموت ما تقول فيه قال فسالته فقال لي هذه المسئلة من تلقاء نفسك او امرك بها انسان فقلت ان سفيان
الثوري امرني ان اسئلك عنها فقال ان رسول الله ص واله اتي برجل قد استسقى بطنه وبدت عروق فخذيه وقد زنا بامراة مريضة فامر
رسول الله ص واله فاتي بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وضربها به ضربة وخلى سبيلهما وذلك قوله وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث قوله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان
للمتقين لحسن ماب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة
وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد عشر آيات القراءة
قرا ابن كثير وحده واذكر عبدنا ابرهيم والباقون عبادنا وقرا اهل المدينة وهشام بخالصة ذكرى غير منون على الاضافة و
الباقون بالتنوين وخلافهم في واليسع مذكور في سورة الانعام وقرا ابن كثير وابو عمرو هذا ما يوعدون بالياء وابن كثير وحده يقرأ
في سورة ق بالياء ايض والباقون بالتاء في الموضعين وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي اولي الايد بغير ياء الحجة قال ابو علي
من قرا عبدنا فانه اختصه بالاضافة على وجه التكرمة له والاختصاص بالمنزلة الشريفة كما قيل في مكة بيت الله ومن قرا عبادنا
اجرى هذا الوصف على غيره من الانبياء ايض وجعل ما بعده بدلا من العباد والاول جعل ابرهيم بدلا وما بعده معطوفا على المفعول
به المذكور وقوله بخالصة ذكرى الدار يحتمل امرين احدهما ان يكون ذكرى بدلا من الخالصة تقديره انا اخلصناهم بذكرى الدار
ويجوز ان يقدر في قوله ذكرى التنوين فيكون الدار في موضع نصب تقديره بان يذكروا الدار بالتاهب للاخرة والثاني ان لا
يقدر البدل ولكن تكون الخالصة مصدرا فيكون مثل قوله من دعاء الخير ويكون المعنى بخالصة تذكير الدار ويقوى هذا الوجه



ما روي عن قراءة الاعمش بخالصتهم ذكرى الدار فهذا يقوي النصب فكانه قال بان اخلصوا تذكير الدار فاذا نونت خالصة احتمل
امرين احدهما ان يكون المعنى بان خلصت لهم ذكرى الدار فيكون ذكرى في موضع رفع بانه فاعل والآخر ان يقدر المصدر الذي
هو خالصة من الاخلاص فحذفت الزيادة فيكون المعنى باخلاص ذكرى فيكون ذكرى في موضع نصب والدار يجوز ان يعني بها
الدنيا ويجوز ان يعني بها الآخرة والذي يدل على انه يجوز ان يراد بها الدنيا قوله تعالى في الحكاية عن ابرهيم واجعل لي لسان صدق
في الآخرين وقوله وجعلنا لهم لسان صدق فاللسان هو القول الحسن والثناء عليه لا الجارحة كما في قول الشاعر ندمت
على لسان فات مني فليت بانه في جوف علم وكذلك قول الآخر اني اتاني لسان لا اسر بها من علو لا كذب فيه ولا سخر وقوله تعالى وتركنا
عليه في الآخرين سلام على ابرهيم وسلام على نوح في العالمين والمعنى ابقينا عليهم الثناء الجميل في الدنيا فالدار في هذا التقدير
ظرف والقياس ان يتعدى الفعل والمصدر اليه بالحرف ولكنه على ذهبت الشام عند سيبويه وكما عسل الطريق الثعلب ولما
جاز ان تكون الدار الآخرة في قوله اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار فيكون ذلك باخلاصهم ذكرى الدار ويكون ذكرهم لها وجل
قلوبهم منها ومن حسابها كما قال وهم من الساعة مشفقون فالدار على هذا مفعول بها وليست كالوجه المتقدم واما من اضاف
فقال بخالصة ذكرى الدار فان الخالصة تكون على ضروب تكون للذكر وغير الذكر فاذا اضيف الى ذكرى اختصت الخالصة بهذه الاضافة
فتكون هذه الاضافة الى المفعول به كان باخلاصهم ذكر الدار بان اخلصوا ذكرها والخوف منها لله ويكون على اضافة المصدر الذي
هو الخالصة الى الفاعل تقديره بان خلصت لهم ذكرى الدار والدار على هذا تحتمل الوجهين اللذين تقدما من كونها للآخرة
والدنيا فاما قوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا فيجوز في خالصة وجهان احدهما ان يكون مصدرا كالعافية
والآخر ان يكون وصفا وكلا الوجهين يحتمل الآية فيجوز ان يكون ما في الانعام ذات خلوص ويجوز ان يكون الصفة والتانيث على المعنى
لانه كثرة والمراد به الاجنة والمضامير فيكون التانيث على هذا ومن قرا والليسع جعله اسما على صورة الصفات كالحرث والعباس
الا ترى ان فيعلا مثل ضيغم وحيدر كثير في الصفات ووجه قراءة من قرا واليسع ان الالف واللام قد تدخلان الكلمة على وجه
الزيادة كما حكى ابو الحسن الخمسة عشر درهما قال ولقد جنيتك اكموء وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر وبنات اوبر ضرب
من الكماة معرفة فادخل في المعرفة الالف واللام على وجه الزيادة فكذلك التي تكون في اليسع ومن قرا هذا ما توعدون
بالتاء فعلى معنى قل للمتقين هذا ما توعدون فالياء على معنى ان للمتقين لحسن مآب هذا ما يوعدون والتاء اعم لانه يصلح
ان يدخل فيه الغيب من الانبياء ولما في سورة ق فنحو هذا وازلفت الجنة للمتقين هذا ما توعدون ايها المتقون على الرجوع من
الغيبة الى الخطاب او على قل لهم هذا ما توعدون والياء على اخبار النبي بما وعد وكانه هذا ما يوعدون ايها النبي ومن قرا اولى الايدي
بغير ياء فانه يحتمل ان يكون اراد الايدي فحذف الياء تخفيفا كقوله يوم يدع الداع ونحو ذلك ويحتمل ان يكون اراد بالايد
القوة في طاعة الله ويدل عليه انه مقرون بالابصار اي البصر بما يحظى عند الله وعلى ذلك فالايدي هنا انما هو جمع اليد التي
هي القوة لا التي هي الجارحة ولا النعمة لكنه كقولك له يد في الطاعة الاعراب قال الزجاج جنات بدل من حسن مآب مفتحة
لهم الابواب منها وقال بعضهم مفتحة لهم ابوابها والمعنى واحد الا ان على تقدير العربية الابواب منها اجود ان تجعل الالف
واللام بدلا من الهاء والالف لان معنى الالف واللام ليس من معنى الهاء والالف في شيء لان الهاء والالف اسم والالف
واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف جاء لمعنى من اسم ولا ينوب عنه قال ابو علي مفتحة صفة لجنات عدن وفي مفتحة
ضمير يعود الى الجنات والابواب بدل من ذلك الضمير لانك تقول فتحت الجنان اذا فتحت ابوابها فيكون من بدل البعض من الكل
نحو ضرب زيد راسه وفي القرآن وفتحت السماء فكانت ابوابا وليس جنات عدن بمعرفة اذ ليس عدن بعلم وانما هو
بمنزلة جنات اقامة وقوله هذا خبر مبتدا محذوف تقديره الامر هذا ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر اي هذا ذكرهم المعنى
ثم عطف سبحانه على ما تقدم حديث الانبياء فقال واذكر يا محمد لقومك ولامتك عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب ليقتدوا بهم
في جميل افعالهم وكريم خلالهم فيستحقوا بذلك حسن الثناء في الدنيا وجزيل الثواب في العقبى كما استحق اولئك واذا اوى عبدنا

فيكون

التقديس واذكر عبدنا ابرهيم خصه بشرف الاضافة الى نفسه واذكر اسحق ويعقوب ثم وصفهم جميعا فقال اولى الايدي اى ذوى
القوة على العبادة والابصار للفقه فى الدين عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعناه اولى العلم والعمل والايدي العمل والابصار
العلم عن ابى مسلم وقيل اولى الايدى اولى النعم على عباد الله بالدعاء الى الدين والابصار جمع البصر وهو العقل انا اخلصناهم
بالذكر بخالصة ذكرى الدار اى جعلناهم خالصين بان خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى الذكر
اى خلص لهم تذكر الدار وهو انهم كانوا يتذكرونها بالتأهب لها ويزهدون فى الدنيا كما هو عادة الانبياء وقيل المراد
بالدار الدنيا عن الجبائى وابى مسلم اى خصصناهم بالذكر فى الاعقاب من بين اهل الدنيا وانهم عندنا وبحسب ما سبق فى علمنا
لمن المصطفين للنبوة وتحمل اعباء الرسالة الاخيار جمع خير كالاموات جمع ميت وهو الذى يفعل الافعال الكثيرة الحسنة
وقيل هو جمع خير فيكون كالاقيال جمع قيل وهذا مثل قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل
اى واذكر لامتك هؤلاء ايضا ليقتدوا بهم ويسلكوا طريقتهم وقد تقدم ذكرهم وكل من الاخيار قد اختارهم الله تعالى للنبوة هذا
ذكر اى شرف لهم وذكر جميل وثناء حسن يذكرون به فى الدنيا ابدا وان للمتقين لحسن مآب اى حسن مرجع ومنقلب يرجعون
فى الآخرة الى ثواب الله ومرضاته ثم فسر حسن المآب بقوله جنات عدن فهى فى موضع جر على البدل اى جنات اقامة وخلود مفتحة
لهم الابواب اى يجدون ابوابها مفتوحة حين يردونها ولا يحتاجون الى الوقوف عند ابوابها حتى تفتح وقيل معناه لا يحتاجون
الى مفاتيح بل تنفتح بغير مفتاح وتنغلق بغير مغلاق قال الحسن تكلم يقال انفتحى انغلقى وقيل معناه انها معدة لهم غير ممنوعين منها
وان لم تكن ابوابها مفتوحة قبل مصيرهم اليها كما يقول الرجل لغيره متى نشطت لزيارتى فالباب مفتوح والدست مطروح متكئين
فيها اى مستندين فيها الى المساند جالسين فيها جلسة الملوك يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب اى يتحكمون فى ثمارها وشرابها
فاذا قالوا لشىء منها اقبل حصل عندهم وعندهم قاصرات الطرف اى وعندهم فى هذه الجنان ازواج قصرن طرفهن على ازواجهن
راضيات بهم ما لهن فى غيرهم رغبة والقاصر نقيض الماد يقال فلان قاصر طرفه عن فلان وماد عينه الى فلان قال امرؤ القيس
من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا اتراب اى اقران على سن واحد ليس فيهن عجوز ولا هرمة و
قيل امثال واشباه عن مجاهد اى متساويات فى الحسن ومقدار الشباب لا يكون لواحدة على صاحبتها فضل فى ذلك وقيل اتراب
على مقدار سن الازواج كل واحدة منهن ترب زوجها لا تكون اكبر منه قال الفراء الترب اللدة ماخوذ من اللعب بالتراب ولا يقال فى
الاناث قال عمر بن ابى ربيعة ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب اتراب هذا يعنى ما ذكر فيما تقدم ما توعدون اى يوعده
المتقون او يخاطبون فيقال لهم هذا القول ليوم الحساب اى ليوم الجزاء ان هذا الذى ذكرنا لرزقنا اى عطاؤنا الجارى المتصل
ما له من نفاد اى فناء وانقطاع وانه على سبيل الدوام عن قتادة وقيل انه ليس لشىء فى الجنة نفاد ما اكل من ثمارها خلف مكانه مثله
وما اكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حيا عن ابن عباس قوله تعالى هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس
المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار
قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار
ضعفا فى النار سبع آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير ابى بكر غساق بالتشديد حيث كان فى القرآن والباقون بالتخفيف وقرأ
اهل البصرة واخر بضم الالف والباقون وآخر على الواحد الحجة قال ابو على اما الغساق بالتشديد فلا يخلو ان يكون اسما او وصفا
والاسم لا يجىء على هذا الوزن الا قليلا نحو الكلاء والقذاف والجبان فينبغى ان يكون وصفا قد اقيم مقام الموصوف والاحسن ان لا
يقيم الصفة مقام الموصوف الا ان تكون صفة قد غلبت نحو العبد والابطح والابرق فالقراءة بالتخفيف احسن من حيث ذكرنا ومن قرأ
واخر على الجمع كان اخر مبتدأ ومن شكله فى موضع صفته اى من ضربه وازواج خبر المبتدأ لانه جمع كالمبتدأ فقد وصفت النكرة
فحسن الابتداء بها والضمير فى شكله يعود الى قوله حميم ويجوز ان يكون المعنى من شكل ما ذكرنا ومن قرأ اخر على الافراد فاخر يرتفع بالابتداء
فى قول سيبويه وفيه ذكر مرفوع عنده بالظرف فى قول ابى الحسن ولا ذكر فى الظرف لارتفاع الظاهر به فان لم يجعل آخر مبتدا وفى هذا

الوجه خاصة قلت انه يكون ابتداء بالنكرة فلا احمل على ذلك ولكن لما قال حميم وغساق دل هذا الكلام على ان لهم حميما وغساقا
فحمل المعطوف على المعنى فجعل لهم المدلول عليه خبرا آخر فهو قوله وكان التقدير لهم عذاب آخر من شكله ازواج فيكون من شكله
فى موضع الصفة ويكون ارتفاع الازواج به فى قول سيبويه وابى الحسن لا يجوز ان يجعل قوله من شكله ازواج فى قول من قرأ واخر
على الجمع وصفا وتضمر الخبر كما فعلت ذلك فى قول من وحد لان الصفة لا يرجع منها ذكر الى الموصوف الا ترى ان الازواج اذا ارتفع بالظرف
لم يجز ان يكون فيه ذكر مرفوع والهاء التى للافراد لا يرجع الى الجمع فى الوجه البين فحصل الصفة بلا ذكر يعود منها الى الموصوف
الا ترى ان الازواج اذا ارتفع بالظرف واما امتناع آخر من الصرف فى النكرة فللعدل والوصف فمعنى العدل فيه ان هذا النحو لا يوصف
به الا بالالف واللام نحو الاصغر والصغر ولا يستعمل شئ من ذلك الا بالالف واللام واستعملت آخر بلا الف ولام فصارت بذلك
معدولة عن الالف واللام اللغة المهاد الفراش الموطا يقال مهدت له تمهيدا مثل وطات له توطية والحميم الحار الشديد
الحرارة ومنه الحمى لشدة حرارتها والغساق قيح شديد النتن يقال غسقت القرحه تغسق غسوقا وقيل هو مشتق من الغسق
وهو السواد والظلمة اى هو على ضد ما يراد فى الشراب من الضياء والرقة عن ابى مسلم ومنه يقال لليل غاسق وغسقت عينه
اظلمت واغسق المؤذن المغرب اخره الى الظلمة والشكل بفتح الشين الضرب المشابه والشكل بالكسر النظير فى الحسن وهو الدل
ايضا والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة وصعوبة قال ابو عبيدة قولهم لا مرحبا به اى لا رحبت عليه الارض القتيبى قولهم مرحبا
بك اى اتيت رحبا وسعة قال النابغة لا مرحبا بغد ولا اهلا به ان كان تفريق الاحبة فى غد الاعراب هذا مبتدا وحميم
وغساق معطوف عليه وفليذوقوه خبر بعد خبر والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا مبتدا وخبر
وحميم خبر مبتدا محذوف اى هو حميم ويجوز ان يكون هذا فى موضع نصب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر المعنى لما بين سبحانه
احوال اهل الجنة وما اعد لهم من جزيل الثواب عقبه ببيان اهل النار وما لهم من اليم العذاب فقال هذا اى هذا ما ذكرناه
للمتقين ثم ابتداء فقال وان للطاغين الذين طغوا على الله وكذبوا رسله لشر مآب وهو ضد مآب المتقين ثم فسر ذلك
فقال جهنم يصلونها اى يدخلونها فيصيرون صلا لها فبئس المهاد اى فبئس المسكن وبئس المهد عن ابن عباس هذا
فليذوقوه حميم وغساق اى هذا حميم وغساق فليذوقوه عن الفراء والزجاج وقيل معناه هذا الجزاء للطاغين فليذوقوه
واطلق عليه لفظ الذوق لان الذائق يدرك الطعم بعد طلبه فهو اشد احساسا به والحميم الماء الحار والغساق البارد
الزمهرير عن ابن مسعود وابن عباس فيكون المعنى انهم يعذبون فى بحار الشراب الذى انتهت حرارته وبباردة الذى
انتهت برودته فبرده يحرق كما تحرق النار وقيل ان الغساق عين فى جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمة من حية وعقرب
عن كعب وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم عن السدى وقيل هو القيح الذي يسيل منهم يجمع ويسقونه عن
ابن عمر وقتادة وقيل هو عذاب الله لا يعلمه الا الله عن الحسن واخر اى وضرب اخر من شكله اى من شكل هذا العذاب
وجنسه ازواج اى انواع والوان متشابهه فى الشدة لا نوع واحد هذا فوج مقتحم معكم ههنا حذف اى يقال لهم هذا فوج
وهم قادة الضالة اذا دخلوا النار ثم يدخل الاتباع فيقول الخزنة للقادة هذا فوج اى قطع من الناس وهم الاتباع
مقتحم معكم فى النار داخلوها كما دخلتم عن ابن عباس وقيل يعنى بالاول اولاد ابليس وبالفوج الثانى بنى آدم اى يقال
لبنى ابليس بامر الله تعالى هذا جمع بنى آدم مقتحم معكم يدخلون النار وعذابها وانتم معهم عن الحسن لا مرحبا بهم انهم صالوا النار
اى لا اتسعت بهم اماكنهم انهم لازموا النار فيكون المعنى على القول الاول ان القادة والرؤساء يقولون للاتباع لا مرحبا بهؤلاء
انهم يدخلون النار مثلنا فلا فرج لنا فى مشاركتهم ايانا فيقول الاتباع لهم بل انتم لا مرحبا بكم اى لا نلتم رحبا وسعة انتم قدمتموه
لنا اى حملتمونا على الكفر الذي اوجب لنا هذا العذاب ودعوتمونا اليه واما على القول الثانى ان اولاد ابليس يقولون لا مرحبا بهؤلاء
فقد ضاقت اماكننا بهم اذ كانت النار مملوءة منا فليس لنا منهم الا الضيق والشدة وهذا كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله ان النار تضيق
عليهم كضيق الزج بالرمح قالوا بل انتم لا مرحبا بكم اى يقول بنو آدم بل لا كرامة لكم انتم شرعتموه لنا وزينتموه فى نفوسنا فبئس القرار

الذي

الذي استقر بنا عليه قالوا ربنا من قدم لنا هذا اي يدعون عليهم بهذا اذا حصلوا فى نار جهنم اى من سبب لنا هذا العذاب ودعانا
الى ما استوجبنا به وذلك فزده عذابا ضعفا اى مثله مضاعفا الى مثل ما يستحقه فى النار احد الضعفين لكفرهم بالله والضعف
الاخر لدعائهم ايانا الى الكفر قوله تعالى وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ
قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
تسع آيات القراءة قرا اهل العراق غير عاصم اتخذناهم موصولة الهمزة والباقون أتخذناهم بقطع الهمزة وقرا اهل المدينة و
الكوفة غير عاصم سُخريا بضم السين والباقون بكسرها وقراءة ابو جعفر ان يوحى الي الا انما بكسر الالف والباقون الا انما بالفتح الحجة
قال ابو علي من لحق الهمزة الاستفهام فى قوله اتخذناهم سخريا بعض البعد لانهم قد علموا انهم اتخذوهم سخريا فكيف يستقيم ان يستفهم
عنه ويدل على علمهم بذلك انه قد اخبر عنهم بذلك فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري فالجملة التي هي اتخذناهم سخريا صفة للنكرة
فاما وجه فتح الهمزة فانه يكون على التقرير وعودلت بام لانها على لفظ الاستفهام كما عودلت بام فى قوله سواء عليهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم وان لم يكن استفهاما فى المعنى وكذلك قولهم ما ابالي اضربت زيدا ام عمروا فان قلت فما الجملة المعادلة لقوله زاغت
عنهم الابصار فى قول من كسر الهمزة فى قوله اتخذناهم فالقول فيه ان الجملة المعادلة لام محذوف والمعنى افقدناهم ام زاغت عنهم الابصار
وكذلك قوله ام كان من الغائبين لان المعنى اخبرونى عن الهدهد احاضر هو ام كان من الغائبين هذا قول ابي الحسن ويجوز عندي
فى قوله نعم قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت آناء الليل ان يكون المعادلة لام حذفت تقديره اأصحاب النار
خير امن هو قانت وحكي عن ابي عمرو انه قال ما كان من مثل العبودية فسخري مضموم وما كان من مثل الهزء فسخري مكسور العين وقد تقدم
ذكر هذا قال ابن جني من قرا انما فعلى الحكاية فكانه قال ان يقال لي الا انت نذير مبين وهذا كما تقول لصاحبك وانت قلت انك شجاع
ونحو ذا قول الشاعر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي قال واجاز ابو علي ثلثة اضرب من الاعراب بالرحيل والرحيل والرحيل رفعا
ونصبا وجرا فمن رفع او نصب فقد دخل في الحكاية والقول البتة فكانهم قالوا الرحيل غدا فاما الجر فعلى اعمال الباء فيه وهو يعني ما قالوه
ولكن حكيت منه قولك غدا وحده وهو خبر المبتدا وفي موضع رفع لانه خبر المبتدا ولا يكون ظرفا لقوله تنادوا لان الفعل الماضي
لا يعمل في الزمان الاتي واذا قال بالرحيل غدا فان غدا يجوز ان يكون ظرفا لنفس الرحيل ويجوز ان يكون ظرفا لفعل آخر نصب
الرحيل اى يحدث الرحيل غدا المعنى ثم حكى سبحانه عن اهل النار ايضا بقوله وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
اى يقولون ذلك حين ينظرون فى النار فلا يرون من كان يخالفهم فيها معهم وهم المؤمنون عن الكلبي وقيل نزلت في ابي جهل
والوليد بن المغيرة وذويهما يقولون ما نرى عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا الذين كنا نعدهم فى الدنيا من جملة الذين يفعلون الشر
والقبيح ولا يفعلون الخير عن مجاهد وروى العياشي بالاسناد عن جابر عن ابي جعفر ع انه قال ان اهل النار يقولون ما لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار يعنونكم لا يرون والله واحدا منكم فى النار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار
ومعناه انهم يقولون لما لم يروهم فى النار اتخذناهم هزوا فى الدنيا فاخطأنا ام عدلت عنهم ابصارنا فلا نريهم وهم معنا فى
النار ان ذلك لحق اى انما ذكر قبل هذا لحق اى كاين لا محالة ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار يعني تخاصم الاتباع والقادة او
مجادلة اهل النار بعضهم لبعض على ما اخبر به عنهم ثم خاطب نبيه ص وآله فقال قل يا محمد انما انا منذر اى مخوف من معاصي الله
ومحذر من عقابه وما من اله تحق له العبادة الا الله الواحد القهار لجميع خلقه المتعالي بسعة مقدوراته فلا يقدر احد على
الخلاص من عقوبته اذا اراد عقابه رب السموات والارض وما بينهما من الانس والجن وكل خلق العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا
يمتنع منه شيء الغفار لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم قل يا محمد هو نبأ عظيم اختلف فيه فقيل يعني القرآن وهو حديث
عظيم لانه كلام الله المعجز وكان فيه انباء الاولين انتم عنه اى عن تدبره والعمل به معرضون عن ابن عباس وقتادة ومجاهد
والسدي وقيل خبر القيمة خبر عظيم انتم عنه معرضون اى عن الاستعداد لها غافلون وبها مكذبون عن الحسن وقيل معناه النبأ

الذي انبأكم به عن الله نبأ عظيم عن الزجاج يعني ما انبأكم به من قصص الاولين انتم عنه معرضون لا تتفكرون فيه فتعلموا
صدقي في نبوتي قال ويدل على صحة هذا المعنى قوله ما كان لي من علم بالملاء الاعلى يعني الملائكة اذ يختصمون يعني ما ذكر من قوله اني
جاعل في الارض الى آخر القصة وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي اي ما علمت بما كانوا فيه الا بوحي من الله تعم وروى ابن
عباس عن النبي صعوآله قال قال لي اتدري فيم يختصم الملاء الاعلى فقلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات فاما الكفارات
فاسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة واما الدرجات فافشاء السلام واطعام
الطعام والصلوة بالليل والناس نيام ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين معناه ما كان لي علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا لولا ان
الله تعالى اخبرني به لم يمكني اخبارُكم ولكن ما يوحى الي الا الانذار البين الواضح وقيل معناه ليس يوحى الي الا اني نذير مبين مخوف
مظهر للحق قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها
فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثلث عشرة آية المعنى
ثم ذكر سبحانه ان اختصام الملائكة كان في امر آدم عم بقوله اذ قال ربك للملائكة فالظاهر ان اذ يتعلق بقوله يختصمون ولن اعترض
بينهما كلام اني خالق بشرا من طين يعني آدم عم فاذا سويته اي فاذا سويت خلق هذا البشر وتممت اعضاءه وصورته ونفخت
فيه من روحي اي احييته ونفخت فيه الروح واضاف الروح الى نفسه تشريفا له ومعنى نفخت فيه اي توليت فعله من غير سبب
وواسطة كالولادة المؤدية الى ذلك فان الله تعم شرف آدم وكرمه بهذه الحالة فقعوا له ساجدين اي فاسجدوا له راجعين وفي الكلام
حذف والتقدير ثم ان الله تعم خلق آدم ذلك البشر الذي وعدهم بخلقه فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين
مفسر في سورة البقرة قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي هذا سؤال توبيخ وتعريف للملائكة انه لا عذر له في الامتناع
من السجود ومعنى قوله لما خلقت بيدي توليت خلقه بنفسي من غير واسطة عن الجبائي ومثله مما عملت ايدينا وذكر اليدين
لتحقيق الاضافة لخلقه الى نفسه وهو قول مجاهد ومثله قوله ويبقى وجه ربك اي ربك وقيل معناه خلقته بقدرتي عن ابي مسلم
وغيره والعرب كما تطلق لفظ اليد للقدرة والقوة فقد يطلق لفظ اليدين قال تحملت من ذلفاء ما ليس لي به ولا للجبال
الراسيات يدان وقال آخر ايا لعزا انكم لم تبلغوها وما لكم بذلك يدان وقال عروة بن حزام فان تحملي بدى وودك تفدحي وما لك
بالحمل الثقيل يدان استكبرت ام كنت من العالين اي ارفعت نفسك فوق قدرك وتعظمت عن امتثال امري ام كنت من الذين
تعلوا اقدارهم عن السجود فتعاليت عنه قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فضل النار على الطين قال فاخرج منها
اي من الجنة فانك رجيم اي طريد مبعد وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال ابليس عند ذلك رب فانظرني الى يوم يبعثون اي
اخرني الى يوم يحشرون للحساب وهو يوم القيمة قال الله تعم له فانك من المنظرين اي المؤخرين الى يوم الوقت المعلوم وقد فسرنا
جميع ذلك فيما تقدم قال ابليس فبعزتك اي اقسم بقدرتك التي تقهر بها جميع خلقك لاغوينهم يعني بني آدم كلهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين اي ادعوهم الى الغي وازين لهم القبائح الا عبادك الذين استخلصتهم واخترتهم وعصمتهم فلا سبيل لي عليهم
قوله تعالى قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسئلكم عليه من اجر
وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين اربع آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير الكسائي وجبيرة
وروح وزيد عن يعقوب فالحق بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي من نصب الحق الاول كان منصوبا بفعل مضمر
يدل انتصاب الحق عليه وذلك الفعل هو ما ظهر في قوله ويحق الله الحق بكلماته ويجوز ان ينتصب على التشبيه بالقسم فيكون
الناصب له ما ينصب القسم من نحو والله لافعلن فيكون التقدير الحق لاملان وقد يجوز ان يكون الحق الثاني الاول وكرر على وجه التاكيد

ومن رفع كان محتملا لوجهين احدهما ان يكون خبر مبتداء محذوف تقديره انا الحق والاخر ان يكون مبتدء محذوف الخبر اى فالحق منى
كما قال الحق من ربك المعنى ثم حكى سبحانه ما اجاب به ابليس لعنه فقال فالحق والحق اقول اى حقا لاملأن والحق اقول اعتراض
بين القسم والمقسم عليه وجاز ذلك لانه ما يؤكد القصة كما قال الشاعر ارانى ولا كفران لله انه لنفسى لقد طالبت غير منيل فاعترض
بقوله ولا كفران لله بين المفعول الاول والثانى ومن رفع فعلى معنى فانا الحق والحق منى واقول الحق لاملأن جهنم منك وممن تبعك
وقيل قولك منهم اى من بنى آدم اجمعين ثم خاطب النبى ص وآله فقال قل يا محمد للكفار بمكة ما اسئلكم عليه اى على تبليغ الوحى والقرآن
والدعاء الى الله سبحانه من اجر اى مال تعطونيه وما انا من المتكلفين لهذا القرآن من تلقاء نفسى وقيل معناه انى ما اتيتكم رسولا من
قبل نفسى ولم اتكلف هذا القرآن بل امرت به وقيل معناه لست ممن يتعسف فى طلب الامر الذى لا يقتضيه العقل وروى عن
عبد الله بن مسعود انه قال يا ايها الناس من علم شيئا فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا تعلم الله
اعلم فان الله تعالى قال لنبيه ص وآله قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين اورده البخارى فى الصحيح ان هو الا ذكر للعالمين
اى ما القرآن الا موعظة للخلق اجمعين وقيل ما القرآن الا شرف لمن آمن به ولتعلمن نباءه بعد حين اى ولتعلمن يا كفار مكة خبر
صدقه بعد الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل بعد يوم بدر عن السدى وقيل من عاش علم ذلك اذا ظهر امره وعلا دينه ومن مات
علمه بعد الموت عن الكلبى سورة الزمر وتسمى ايضا سورة الغرف وهى مكية كلها عن مجاهد وقتادة والحسن وقيل سوى ثلث آيات
نزلن بالمدينة فى وحشى وقاتل حمزة قل يا عبادى الى آخرهن وقيل غير آية قل يا عبادى عدد آيها خمس وسبعون آية كوفى ثلث
شامى اثنتان فى الباقين اختلافها سبع آيات فيما هم فيه يختلفون غير الكوفى مخلصا له الدين الثانى مخلصا له دينى د
من هاد الثانى فسوف تعلمون ابعهن كوفى فبشر عبادى عراقى شامى والمدنى الاخير من تحتها الانهار مكى شامى والمدنى
الاول فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه واعطاه ثواب الخائفين الذين
خافوا الله تعالى وروى هرون بن خارجه عن ابى عبد الله ع قال من قرأ سورة الزمر اعطاه الله شرف الدنيا والاخرة واعزه بلا مال
ولا عشيرة حتى يهابه من يراه وحرم جسده على النار وبنى له فى الجنة الف مدينة فى كل مدينة الف قصر فى كل قصر مائة حوراء
وله مع ذلك عينان نضاختان وعينان تجريان وجنتان مدهامتان وحور مقصورات فى الخيام تفسيرها ختم سبحانه سورة ص
بذكر القرآن وافتتح هذه السورة ايضا به وقال بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب
كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار اربع آيات اللغة
التكوير طرح الشىء بعضه على بعض يقال كور المتاع اذا القى بعضه على بعض ومنه كور العمامة الاعراب تنزيل مبتداء وخبره
من الله اى تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما يقول استقامه الناس من الانبياء اى انها لا تكون الا منهم ويجوز ان يكون تنزيل الكتاب
خبر مبتداء محذوف والتقدير هذا تنزيل الكتاب فعلى هذا يجوز ان يكون من الله خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون فى موضع نصب لانه
تعلق بتنزيل وبالحق مفعول انزلنا ويجوز ان يكون فى موضع الحال والتقدير انزلنا الكتاب محقين او محقا فيكون ذو الحال نا من
انزلنا او الكتاب زلفى فى موضع نصب على المصدر والتقدير ليقربونا قربى والتقدير يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا فيكون يقولون
خبر الذين اتخذوا لانه مبتداء او يكون حالا من الضمير فى اتخذوا ويكون الخبر ان الله يحكم بينهم ويحتمل ان يكون حالا ويحتمل ان
يكون استيناف كلام فلا يكون له محل المعنى عظم الله سبحانه امر القرآن وحث المكلفين على القيام بما فيه واتباع اوامره ونواهيه
بان قال تنزيل الكتاب من الله العزيز المتعال عن المثل والشبيه الحكيم فى افعاله واقواله فوصف نفسه هنا بالعزة تحذيرا من مخالفة
كتابه وبالحكمة اعلاما بانه يحفظه حتى يصل الى المكلفين من غير تغيير لشىء منه انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اى لم ننزله باطلا

لغير غرض وقيل معناه بالامر الحق اى بالدين الصحيح فاعبد الله اى فوجه عبادتك الى الله وحده مخلصا له الدين من شرك الاوثان
والاصنام والاخلاص ان يقصد العبد بنيته وعمله الى خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدنيا الا لله الدين الخالص والخالص ما لا يشوبه
الريا والسمعة ولا وجه من وجوه الدنيا والدين الخالص الاسلام عن الحسن وقيل هو شهادة ان لا اله الا الله عن قتادة وقيل معناه
الا لله الطاعة بالعبادة التى يستحق بها الجزاء فهذا لله وحده لا يجوز ان يكون لغيره وقيل هو الاعتقاد الواجب فى التوحيد والعدل
والنبوات والشرايع والاقرار بها والعمل بها وبموجبها والبراءة من كل دين سواها فهذا تفصيل قول الحسن انه الاسلام والذين
اتخذوا من دونه اولياء اى زعموا ان لهم دون الله مالكا يملكهم وههنا حذف يدل الكلام عليه اى يقولون ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى اى ليشفعوا لنا الى الله والزلفى القربى وهى اسم اقيم مقام المصدر ان الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما هم
فيه يختلفون من امور الدين فيعاقب كلا منهم على قدر استحقاقه ان الله لا يهدي الى طريق الجنة او لا يحكم بهدايته الى الحق
من هو كاذب على الله تعالى وعلى رسوله كفار بما انعم الله تعالى عليه جاحد لاخلاص العبادة لله ولم يرد بالهداية الى الايمان
لقوله سبحانه فاما ثمود فهديناهم لو اراد الله ان يتخذ ولدا على ما يقولونه هؤلاء من ان الملائكة بنات الله او ما تقول النصارى
من ان المسيح ابن الله او اليهود ان عزير ابن الله لاصطفى اى لاختار مما يخلق ما يشاء اى لما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى
يضيفوا اليه من شاؤوا بل كان يختص من خلقه ما يشاء لذلك لانه غير ممنوع من مراده ومثله قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا
لاتخذناه من لدنا ثم اعلم انه منزه عن اتخاذ الاولاد بقوله سبحانه اى تنزيها له عن ذلك هو الله الواحد لا شريك له ولا صاحبة
ولا ولد القهار لخلقه بالموت وهو حي لا يموت ثم نبه سبحانه على كمال قدرته فقال خلق السموات والارض بالحق اى لم يخلقهما
باطلا لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكمى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل اى يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة
والنقصان فما يزيد فى احدهما ينقص من الآخر عن الحسن وجماعة المفسرين وقيل يغشى هذا كما قال يغشى الليل النهار ويولج
النهار فى الليل ويولج الليل عن قتادة وسخر الشمس والقمر بان اجراهما على وتيرة واحدة كل يجري لاجل مسمى اى الى مدة قدرها الله
لهما ان يجريا اليها وقيل الى قيام الساعة وقيل لاجل مسمى اى لوقت معلوم فى الشتاء والصيف هو المطلع والمغرب لكل واحد منهما الا
هو العزيز الغفار معناه وفايدة الآيتان من قدر على خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر وادخال الليل فى النهار فهو منزه عن
اتخاذ الولد والشريك فان ذلك من صفة المحتاجين قوله تعالى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ۝ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝
ست آيات القراءة قرا ابو عمرو فى رواية اوقية وابى شعيب السوسى وابى عمرو الدوري عن اليزيدي عنه وحمزة فى رواية العجلى يرضه
لكم ساكنة الهاء وقرا ابن كثير وابن عامر والكسائى وخلف ونافع برواية اسمعيل وابو بكر برواية البرجمى يرضه مضمومة الهاء مشبعة
وقرا الباقون بضم الهاء مختلسة غير مشبعة وقرا ابن كثير ونافع وحمزة امن هو قانت خفيفة الميم والباقون بتشديد الميم الحجة
قال ابو على حجة من قرا يرضهو فالحق الواو ان ما قبل الهاء متحرك فيكون بمنزلة ضربهو وهذا لهو ومن قال يرضه فحرك الهاء ولم
يلحق الواو ان الالف المحذوفة للجزم ليس بلازمها حذفها لان الكلمة اذا نصبت او رفعت عادت الالف فصار الالف فى حكم الثبات واذا
ثبتت الالف فالاحسن ان لا يلحق الواو ونحو قوله القى موسى عصاه وذلك ان الهاء خفيفة فلو الحقتها الواو وقبلها الالف لاشبه الجمع

نصف الحزب

ع ١٥

عشر

بين الساكنين ولما من اسكن فقال يرضه لكم فان ابا الحسن يزعم ان ذلك لغة وعلى هذا قوله ونضواى مشتاقان له ارقان ومن
قرا امن هو قانت ففيه وجهان احدهما ان المعنى الجاهد الكافر خير امن هو قانت ويدل على المحذوف قوله قل هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ودل عليه ايضا قوله قل تمتع بكفرك قليلا وقد تقدم ذكره والاخر ان المعنى بل امن هو قانت كغيره اى امن هو
مطيع كمن هو عاص ويكون على هذا الخبر محذوفا لدلالة الكلام عليه كقوله افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت افمن يتقى بوجهه سوء
العذاب ولما من خفف فقال امن هو قانت فالمعنى ايضا امن هو قانت كمن هو بخلاف هذا الوصف فلا وجه للنداء هنا لان هذا موضع
معادلة فانما يقع منه الجمل التى تكون اخبارا وليس النداء كذلك وقال ابو الحسن القراءة بالتخفيف ضعيفة لان الاستفهام انما يبتدأ
ما بعده ولا يحمل على ما قبله وهذا الكلام ليس قبله شى يحمل عليه الا فى المعنى اللغة التخويل العطية العظيمة على جهة الهبة وهى المنحة
خوله الله مالا ومنه الحديث كان يتخولهم بالموعظة مخافة السامة عليهم اي يتعهدهم والحديث الاخر اذا بلغ بنو ابى العاص ثلثين رجلا
اتخذوا مال الله دولا ودين الله دغلا وعباد الله خولا اى يظنون عباد الله عبيدهم اعطاهم الله ذلك قال ابو النجم اعطى فلم يبخل
ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول والقانت الداعى والقانت المصلى قال قانتا لله يتلو كتبه وعلى عمد من الناس اعتزلا وآناء
وآناء الليل ساعاته واحدها انى وانى الاعراب ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدا والله عطف بيان وربكم بدل من لفظ الله وله
شيئت كان خبر المبتدا له الملك يرتفع الملك بالظرف والظرف مع ما ارتفع به فى موضع الحال والعامل فيه معنى الاشارة والتقدير
ثابتا له الملك ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وكذا قوله لا اله الا هو جاز ان يكون فى موضع الحال اى منفردا بالوحدانية وجاز ان يكون
خبرا آخر فانى تصرفون انى فى موضع نصب على الحال او على المصدر ومعناه كيف تصرفون المعنى ثم ابان سبحانه عن كمال قدرته بخلق
آدم وذريته فقال خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم ع لان جميع البشر من نسله ثم جعل منها زوجها حوا اى من فضل طينته
وقيل من ضلع من اضلاعه وفى قوله ثم جعل منها زوجها وثم يقتضى التراخي والمهلة وخلق الوالدين قبل الولد ثلثة اقوال احدها
انه عطف يوجب ان الكلام الثاني بعد الاول ويجرى مجرى قول القايل قد رايت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك امس وان
كان امس قبل ما يكون اليوم ونحوه قول الشاعر ولقد ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده وثانيها انه معطوف على معنى
واحدة فكانه قال خلقكم من نفس وحدت اوجدها وحيدها ثم جعل منها زوجها وثالثها انه خلق الذرية فى ظهر آدم واخرجها من
ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا من ضلع من اضلاعه على ما ورد فى الاخبار وهذا ضعيف وقد مضى الكلام فيه وانزل لكم من
الانعام ثمانية ازواج اختلف فى معناه على وجوه احدها ان معنى الانزال هنا الانشاء والاحداث كقوله قد انزلنا عليكم لباسا ولم ينزل
اللباس ولكن انزل الماء الذي هو سبب القطن والصوف واللباس يكون منهما فكذلك الانعام تكون بالنبات والنبات يكون بالماء
والثانى انه انزلها بعد ان خلقها فى الجنة عن الجبائى قال وفى الخبر الشاة من دواب الجنة والابل من دواب الجنة والثالث ان المعنى
وجعلها نزلا لكم ورزقا لكم ويعنى بالازواج الثمانية من الانعام الابل والبقر والضان والمعز من كل صنف اثنين هما زوجان وهو
مفسر فى سورة الانعام يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم نكسى العظام لحما
ثم ننشاء خلقا آخر عن قتادة ومجاهد والسدى وقيل خلقا فى بطون الامهات بعد الخلق فى ظهر آدم عن ابن زيد فى ظلمات ثلث
ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة عن ابن عباس ومجاهد والسدى وابن زيد وهو المروي عن ابى جعفر ع وقيل ظلمة الليل
او ظلمة صلب الرجل وظلمة الرحم وظلمة البطن ثم خاطب سبحانه خلقه فقال ذلكم الله الذي خلق هذه الاشياء ربكم الذي يملك
التصرف فيكم له الملك على جميع المخلوقات لا اله الا هو فانى تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان ثم قوله فانى تؤفكون وان تكفروا
اى تجحدوا نعمة الله تعم ولم تشكروه فان الله غنى عنكم وعن شكركم فلا يضره كفركم ولا يرضى لعباده الكفر وفى هذا اوضح دلالة على
انه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد لانه لو اراده لوجب متى وقع منه ان يكون راضيا به لعبده لان الرضا بالفعل ليس الا ما ذكره
الا ترى انه يستحيل ان يريد من غيره شيا ويقع منه على ما يريده فلا يكون راضيا به او ان يرضى شيا او لم يرده البته وان تشكروا يرضه
لكم اى وان تشكروا الله تعالى على نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويريده منكم ويثيبكم عليه والهاء فى يرضه كناية عن المصدر الذى دل

عليه وان تشكروا والتقدير يرضى الشكر لكم كقولهم من كذب كان شرا له اى كان الكذب شرا له ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل
حاملة ثقل اخرى والمعنى لا يواخذ بالذنب الا من يرتكبه ويفعله ثم الى ربكم مرجعكم اى مصيركم فينبئكم بما كنتم تعملون اى يخبركم
بما عملتموه ويجازيكم بحسب ذلك انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه سره وعلانيته واذا مس الانسان ضر من شدة ومرض وقحط وغير
ذلك دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه وحده لا يرجو سواه ثم اذا خوله اى اعطاه نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل اى نسى الضر
الذى كان يدعوا الله الى ان يكشفه من قبل نيل هذه النعمة قال الزجاج معناه نسى الدعاء الذى كان يتضرع به الى الله عز وجل من قبل
وجايز ان يكون المعنى نسى الله الذى كان يتضرع اليه من قبل ومثله ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد فكانت ما يدل على
الله تعم ومن عباده عن كل مميز ومما يكون لكل شيء وجعل لله اندادا اى سمى له امثالا فى توجيه عبادته اليها من الاصنام والاوثان
ليضل الناس عن سبيله اى عن دينه او ليضل هو عن الدين والاسلام وذلك انهم لم يفعلوا ما فعلوه وغرضهم ذلك لكن عاقبتهم
كان اليه قل تمتع بكفرك قليلا هذا امر معناه الخبر كقوله اذا لم تستحيى فاصنع ما شئت والمعنى ان مدة تمتعه فى الدنيا بكفره قليلة
زايلة انك من اصحاب النار تعذب فيها دايما امن هو قانت اى هذا الذى ذكرناه خير امن هو دايم على الطاعة عن ابن عباس والسدى
وقيل على قراءة القرآن وقيام الليل عن ابن عمر وقيل يعنى صلوة الليل عن ابى جعفر عم آناء الليل اى ساعات الليل ساجدا وقايما
يسجد تارة فى الصلوة ويقوم اخرى يحذر الآخرة اى عذاب الآخرة ويرجوا رحمة ربه اى يتردد بين الخوف والرجاء اى ليسا سواء وهو
قوله قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اى لا يستوى الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين
لا يعلمون ذلك انما يتذكر اولوا الالباب اى انما يتعظ ذووا العقول من المومنين وروى عن ابى عبد الله عم انه قال نحن الذين يعلمون
واعداؤنا الذين لا يعلمون وشيعتنا اولوا الالباب قل يا محمد لهم يا عبادى الذين آمنوا اى صدقوا بتوحيد الله اتقوا ربكم اى اتقوا
عقاب ربكم باجتناب معاصيه وتم الكلام ثم قال للذين احسنوا اى فعلوا الحسنة واحسنوا الى غيرهم فى هذه الدنيا حسنة
اى لهم على ذلك فى هذه الدنيا حسنة اى ثناء حسن وذكر جميل ومدح وشكر وصحة وسلامة عن السدى وقيل معناه للذين
احسنوا العمل فى هذه الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وهو الخلود فى الجنة وارض الله واسعة هذا حث لهم على الهجرة من مكة عن
ابن عباس اى لا عذر لاحد فى ترك طاعة الله فان لم يتمكن منها فى ارض فليتحول الى اخرى يتمكن منها فيها كقوله الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها وقيل معناه وارض الله واسعة فاطلبوها بالاعمال الصالحة عن مقاتل وابى مسلم انما يوفى الصابرون اجرهم اى ثوابهم
على طاعاتهم وصبرهم على شدايد الدنيا بغير حساب لكثرته لا يمكن عده وحسابه وروى العياشى بالاسناد عن عبد الله بن سنان
عن ابى عبد الله عم قال قال رسول الله ص وآله اذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لاهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان
ثم تلى هذه الآية انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قوله تعالى قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ
لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا
شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ • لَهُمْ مِنْ
فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ • وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ
أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ • الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ • أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ • لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ
لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ • عشر آيات اللغة الظلة
السترة العالية جمعها ظلل والانقاذ الانجاء والغرف المنازل الرفيعة واحدها غرفة الاعراب ذلك مبتدا ويخوف الله به عباده خبره
ان يعبدوها فى موضع نصب بدل من الطاغوت والتقدير والذين اجتنبوا قوله لهم البشرى والبشرى يرتفع بالظرف ويجوز خبرا
على المبتدا قال الزجاج افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى النار معناه معنى الشرط والجزاء والف الاستفهام ههنا
معناه معنى التوقيف فالالف الثانية جاءت موكدة معادة لما طال الكلام والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه ومثله

حس

عشر

ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اعاد ان الثاني والمعنى انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون ويكون على وجه
آخر على انه حذف الجزء في الكلام دليل على المحذوف على معنى افمن حق عليه كلمة العذاب يتخلص منه او ينجو منه افانت تنقذ اى لا يقدر
احد ان ينقذه المعنى ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
اى موحدا له لا اعبد معه سواه والعبادة الخالصة هي التي لا يشوبها شيء من المعاصي وامرت ايضا ان اكون اول المسلمين اى امرت ان
اعبد الله مخلصا لان اكون اول المسلمين فيكون لي فضل السبق وثوابه ثم قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اى عذاب
يوم القيمة قل لهم الله اعبد مخلصا له ديني وطاعتي فاعبدوا انتم معاشر الكفار ما شئتم من دونه من الاصنام وهذا على وجه التهديد
لهم بذلك قل لهم ان الخاسرين في الحقيقة هم الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة فلا ينتفعون بانفسهم ولا يجدون في
النار اهلا كما كان لهم في الدنيا اهل فقد فاتتهم المنفعة بانفسهم واهليهم عن مجاهد وابن زيد وقيل خسروا انفسهم بان قذفوها بين
اطباق الجحيم وخسروا اهليهم الذين اعدوا لهم في جنة النعيم عن الحسن قال ابن عباس ان الله تعالى جعل لكل انسان في الجنة منزلا
واهلا فمن عمل بطاعته كان له ذلك ومن عصاه صار الى النار ودفع منزله واهله الى من اطاع فذلك قوله اولئك هم الوارثون
الا ذلك هو الخسران المبين اى البين الظاهر الذى لا يخفى لهم من فوقهم ظلل من النار اى سرادقات واطباق من النار ودخانها
نعوذ بالله منها ومن تحتهم ظلل اى فرش ومهاد منها وقيل انما سمي ما تحتهم من النار ظللا لانها ظلل لمن تحتهم اذ النار دركات وهم بين
اطباقهما وقيل انما اجرى اسم الظلل على قطع النار على سبيل التوسع والمجاز لانها في مقابلة ما لاهل الجنة من الظلل والمراد ان
النار محيط بجوانبهم ذلك يخوف الله به عباده اى ذلك الذى وصف من العذاب يخوف الله به عباده رحمة لهم وليتقوا عذابه
بامتثال اوامره ثم امرهم بالاتقاء فقال يا عباد فاتقوني فقد انذرتكم والزمتكم الحجة وانما حذف الياء في الموضعين لان الكسرة تدل
عليها والذين اجتنبوا الطاعوت اى الاوثان والشيطان وقيل كل ما دعا الى عبادة غير الله تعالى وانما انث للجماعة وفي قراءة الحسن
اجتنبوا الطواغيت ان يعبدوها اى اجتنبوا عبادتها وانابوا الى الله اى تابوا اليه واقلعوا عما كانوا عليه لهم البشرى اى البشارة
وهي الاعلام بما يظهر به السرور في بشرة وجوههم جزاء على ذلك وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال انتم هم ومن اطاع
جبارا فقد عبده ثم قال سبحانه مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله فبشر عباد اجتزاء بالكسرة عن الياء الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اى اولاه بالقبول والعمل به وارشده الى الحق وقيل فيتبعون احسن ما يؤمرون به ويعملون به عن السدى وروى عن ابي عبد الله عليه السلام
الدرداء قال لولا ثلث لما احببت ان اعيش يوما واحدا الظما بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون من خير الكلام
كما ينتقى طيب التمر وقيل معناه يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن عن الزجاج وقيل يستمعون ما في القرآن والسنة من
الطاعات والمباحات فيتبعون الطاعة التي هي احسن اذ يستحق الثواب عليه اكثر وهو ان ياخذ بافضل الامرين كما ان القصاص
حق والعفو افضل فياخذون بالعفو اولئك الذين هديهم الله اى هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين هديهم الله فاهتدوا به
الى الحق واولئك هم اولوا الالباب اى ذووا العقول الذين انتفعوا بعقولهم وقال عبد الرحمن بن زيد نزل قوله والذين اجتنبوا
الطاعوت الايتين في ثلث نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا اله الا الله زيد بن عمرو بن نفيل وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي افمن
حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اختلف في تقديره فقيل معناه افمن وجب عليه وعيد الله بالعقاب افانت تخلصه
من النار فاكتفى بذكر من في النار عن الضمير العايد الى المبتداء عن الزجاج والاخفش وقيل تقديره افانت تنقذ من في النار منهم ثم اتى
بالاستفهام مرتين توكيد للتنبيه على المعنى وقال ابن الانباري الوقف على قوله كلمة العذاب والتقدير كمن وجبت له الجنة ثم يبتدي
افانت تنقذ واراد بكلمة العذاب قوله لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وانما قال ذلك للنبي صلى الله عليه وآله لحرصه على اسلام
المشركين والمعنى انك لا تقدر على ادخال الاسلام في قلوبهم شاؤا ام ابوا فلا عليك اذا لم يؤمنوا فانما اتوا اذ لك من قبل
نفوسهم وهذا كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم الاية ثم بين سبحانه ما اعده للمؤمنين كما بين ما اعده للكفار فقال لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف في الجنة او قصور من فوقها غرف قصور مبنية وهذا في مقابلة قوله من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فان في الجنة